

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي -

جامعة الحاج لخضر - باتنة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
والعلوم الإسلامية - قسم العلوم الإسلامية -
نيابة العمادة المكلفة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

تفسير القرآن بالقرآن محمد عبد الكريم الخطيب

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية

- تخصص علوم القرآن والتفسير -

إشراف الأستاذ الدكتور:

رمضان يخلف

إعداد الطالبة:

جميلة موجاري

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الحليم بوزيد	أستاذ	جامعة باتنة	رئيسا
رمضان يخلف	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	مقررا ومشرفا
منصور كافي	أستاذ	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
حسان موهوبي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضوا مناقشا
رابح دوب	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضوا مناقشا
صالح عسكر	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1433-1434هـ / 2012-2013م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين:

لقد تبين بيان جل ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ، ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا بيان الرسول ﷺ وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره وصنوف نهييه، وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها إلا بيان رسول الله ﷺ لأمتيه، وهذا لا يجوز لأحد القول فيه إلا بيان رسول الله ﷺ بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصها دالة أمتيه على تأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصها دالة أمتيه على تأويله.

وأن منه مالا يعلم تأويله إلا الله، كوقت قيام الساعة، وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن.

قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾⁽¹⁾. وقال أيضا جل ذكره: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾⁽³⁾.⁽⁴⁾

لذلك فإن أولى مصادر التفسير النقل الثابت عن النبي ﷺ وعن الصحابة وعن السلف الصالح، وحديث العلماء عن تفسير القرآن بالقرآن كأصح وأحسن طرق التفسير داخل في ذلك. فإذا قيل أن التفسير القرآني للنص مقدم على التفسير المنقول له حالة التعارض بينهما، وجب النظر في المنهج المتبع في ذلك التفسير؛ فإما أن ذلك التعارض قائم بين نظر الناظر

(1) _ سورة النحل: الآية 44.

(2) _ سورة النحل: الآية 64.

(3) _ سورة آل عمران: الآية 7.

(4) _ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر، ط1، دار الأعلام، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، 2002م، 41/40/1/بتصرف.

والتفسير الثابت لذلك النص، وإما أن ذلك التفسير المنقول غير ثابت وغير صحيح، فهل ثمة تفاصيل لهذا المنهج يدرس على ضوءها هذا البحث؟

سنعرف ذلك عقب التطرق لجملة من العناصر تعرفنا بـ "تفسير القرآن بالقرآن" عند عبد الكريم الخطيب-دراسة نقدية" موضوع هذه الدراسة:

1-شرح عنوان البحث:

أ-عنوان البحث "تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب"-دراسة نقدية- مركب من جزأين:

-جزء يتعلق بمسألة تفسير القرآن بالقرآن كمنهج في التفسير والألفاظ الواردة فيه: التفسير، القرآن، تفسير القرآن بالقرآن، معناها مشهور:

أما التفسير فيدور حول الكشف والبيان، والقرآن هو كلام الله المتبع دبه وتفسير القرآن بالقرآن هو بيان النص القرآني بنص قرآني آخر أو بما يدل عليه القرآن ذاته.

-والجزء الثاني ورد فيه لفظان: الدراسة والنقد، والنقد هنا هو تمييز الصواب من الخطأ عند تطبيق عبد الكريم الخطيب لمنهج تفسير القرآن بالقرآن.

ب- وثمة ألفاظ استعملت في ثنايا البحث وهي:

*النص القرآني: والمقصود به مطلق القرآن حرفاً كان، أو كلمة أو جزءاً من آية أو آية أكثر.

*الجانب التنظيري: والمقصود به أقوال العلماء التي تقوم بمثابة القواعد، أو الأمر المتفق عليه عند الأغلبية ويصلح استعماله كدليل.

* الجانب التطبيقي: والمقصود به ذات المنهج المتبع عند كل مفسر، ومع كل نص قرآني، فهو المعنى الذي يسجل للنص، ومن خلاله يفهم الجانب التنظيري أكثر فأكثر.

2-أهمية الموضوع:

تكمن أهمية بحث "تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب"- دراسة نقدية - في أمرين:

الأول:إضافة جديد فيما يتعلق بمنهج تفسير القرآن بالقرآن من حيث الجانب التنظيري له.

والثاني: تقديم مزيد من التفصيل لدحض شبهة تعارض العقل والنقل في تفسير القرآن، لأن تدبر القرآن الكريم هو النظر الشرعي، والنظر الشرعي يكون بإعمال العقل المقيد بفقه منهج التعامل مع النقل.

3- إشكالية البحث:

اعتمد عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن الكريم على القرآن ذاته، فإذا تعارض معنى النص القرآني ومعنى التفسير المأثور له؛ أي الحديث أو الأثر أو التفسير اللغوي أو تفسير السلف كالإجماع، قدم معنى النص على ذلك، هذا ما صرح به المفسر في كتابه "التفسير القرآني للقرآن"، وطبقه في التفسير كله. فهل يقدم تفسير القرآن بالقرآن الذي مصدره العقل على تفسير القرآن بالقرآن الذي مصدره النقل حالة التعارض بينهما؟

تلك هي إشكالية البحث، وهي تنقسم إلى شطرين:

الشرط الأول: إن دعوى تعارض العقل مع النقل قائمة في حالتين؛ حالة عدم ثبوت النقل، أو حالة التعارض بين نظر الناظر والنقل، فهي دعوى افتراضية وليست حقيقة.

الشرط الثاني: إن تفسير القرآن الكريم له قواعد وأصول، وفي مقدمة ذلك، الاعتماد على السنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، والرجوع إلى اللغة، وأقوال السلف الصالح، وهذا هو النقل الذي يجب التقيد به عند إعمال العقل في تفسير القرآن، فإذا قال المفسر هذه الآية تبينها الآية الفلانية طلب منه الدليل، بعد التحقق من عدم ثبوت نقل عن النبي ﷺ أو عن الصحابة، أو عن السلف الصالح في تفسير تلك الآية.

إذن في كل الأحوال النقل الثابت أول مصدر يعتمد عند تفسير القرآن، ومن باب أولى يكون الاعتماد عليه عند الجمع بين النصوص القرآنية، لأنه يكون بمثابة الدليل على صحة ذلك الجمع. فكيف كان يفسر عبد الكريم الخطيب للقرآن بالقرآن، خاصة في المواضع التي صرح فيها برد الأحاديث، أو أسباب التزول، أو الإجماع أو غير ذلك من التفسير المنقول؟

4- أسباب اختيار الموضوع:

أ- أسباب ذاتية:

حينما تم اختيار موضوع البحث "تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب" كانت

الفرحة تغمرني لسببين:

أولهما: إني عثرت على مجال محدد؛ وهو تفسير معاصر في أجزاء معدودة أبحث من خلاله التفسير القرآني للمسألة القرآنية: آية أو موضوعاً أو سورة بل وحتى مصطلحاً قرآنياً من الجانب التقعيدي، فيكون البحث شاملاً للقرآن كله من جهة ومن جهة أخرى تنسب مسؤولية هذا التقعيد لمفسر يغلب الظن عليه الالتزام بالمنهج المعروف عند المفسرين حسب ما يبدو.

والثاني: مسألة تفسير القرآن بالقرآن، هذا المنهج الذي يلح العلماء على ضرورة تطبيقه في العصر الحالي لفهم القرآن فهماً صحيحاً، في حاجة ماسة لوضعه في قالب تنظير معين يعتمد ولو إلى حد ما، وقد أطلق عليه مصطلح التفسير الموضوعي، وقصد به بادئ الأمر منهج دراسة الموضوع الذي تفرق ذكره في القرآن الكريم.

فلما رفض هذا الموضوع بعد اقتراحه للبحث، مع أي كنت على يقين من أن اتساعه وصعوبته ودقته تفوق القدرة، اغتنمت الفرصة للتقليص من حجم مجال الدراسة قدر المستطاع، فیمت وجهي نحو "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، واكتفيت بما ظهر لي عند الإطلاع الأول له. إنه يفي بالغرض ولو إلى حد ما، فازداد تمسكي به لبحثه ودراسته:

ب- الأسباب موضوعية:

1- موقفه من النقل وهو يفسر القرآن الكريم؛ حيث تجده يرد أحاديث نبوية، وآثاراً، وينتقد المنهج المتبع في التفسير، ويصرح بمخالفة الإجماع، بل ويتحدث بأسلوب فيه نظر.

2- فهل تفسير القرآن بالقرآن كما قال هو الذي أوصله إلى مثل هذه المواقف؟

3- ثم قد تجد في تفسيره تضارباً في الأقوال في نفس المسألة، أو عدم تطابق ما يقول والواقع، سواء كان نقلاً عن مصدر ما أو عالم من العلماء، أو انتقاداً للمسألة من المسائل القرآنية كمسألة النسخ.

4- فأين إذن التوافق بين ما يظهر للقارئ من إتباع لمنهج التفسير الموضوعي ولم أجزاء المسألة القرآنية، وبين ما يتبين بعد تتبع التفسير كلمة كلمة⁽¹⁾.

5- ثم إن ملاحظة عدم التوافق بين الظاهر والحقيقة في تفسير من ستة عشر جزء، يقتضي الباحث ضرورة تطبيق منهج الاستقراء هذا مع كل مصدر، وذلك أمر يفوق القدرة.

6- لذلك لابد من الاحتكام إلى الأصول والقواعد التي يقررها أهل العلم في كل مسألة.

7- فهل ثمة أصول وقواعد تتبع عند تطبيق منهج تفسير القرآن بالقرآن كأصح طرق التفسير كما قال الجمهور؟

5- أهداف البحث:

أ- أهم أهداف هذا البحث:

- ضرورة فهم المقصود من المصطلحات المتداولة في الفن، نحو مصطلح النسخ عند السلف.

- ضرورة فهم منهج التعامل مع النقل عند تفسير القرآن الكريم.

- عدم الاعتراض على الكبراء أول قل الإنصاف بأدب التعامل مع العلماء.

كل ذلك مشروط فيمن يقدم على تفسير القرآن خاصة في وقتنا الحالي، لأن الزلة في أمر جلل كهذا أثرها خطير، فكيف بكثرة مخالفة تفسير السلف.

ب- ومن الأهداف أيضا:

- ضرورة الرجوع إلى المصادر الأولى واستقراء الأقوال، وفهمها بشكل صحيح عند بحث أي مسألة؛ لتفادي تسجيل نتائج فيها نظر.

- الابتعاد عن إصدار أحكام على مناهج المفسرين من السلف والخلف، وهي غير مبنية على داست دقيقة.

6- المنهج:

يتمثل المنهج المتبع في هذا البحث فيما يلي:

أ- تطبيق المنهج التحليلي لوجهة نظر عبد الكريم الخطيب، القائمة على إعمال العقل لبيان النص القرآني من القرآن ذاته، ثم الإفادة من النقل حالة التوافق بين المعنى المنقول والمعنى الذي طريقة الرأي.

ب- ثم تطبيق منهج المقارنة بأولى مقررات العلماء والمحققين فيما يتعلق بمحورين أساسيين لموضوع البحث:

أولهما: مسألة الإفادة من النقل، أو منهج التعامل مع النقل؛ كنقطة انطلاق لا يجوز تقديم تفسير النص القرآني بالقرآن اعتماداً على الرأي والتفسير المنقول ثابت له.
وثانيهما: مسألة تفسير القرآن بالقرآن كمنهج يحتل المرتبة الأولى عند التفسير نظرياً وتطبيقياً.

وبتطبيق منهج المقارنة عقب منهج التحليل؛ تكون الدراسة النقدية لموضوع "تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب" قد أوصلتنا إلى الهدف المنشود.

7- خطة البحث:

بعد تحديد مجال الدراسة لموضوع "تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب" في مدخل بعنوان: "التعريف بمجال الدراسة" كان الرأي تقسيم البحث إلى قسمين، أولهما نحل فيه منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن الكريم، والقسم الثاني نخصه للدراسة النقدية لمنهجه في تفسير القرآن بالقرآن وتفصيل خطة هذا العمل كما يلي:

مقدمة

مدخل التعريف بمجال الدراسة

اخترنا في هذا المدخل ثلاثة نماذج، لتبسيط الضوء على ثلاثة مسائل، من شأنها التعريف بالمجال الذي سيدرس فيه الموضوع:

المسألة الأولى: أنموذج من التفسير القرآني للقرآن عند عبد الكريم الخطيب.

المسألة الثانية: أنموذج من نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير.

المسألة الثالثة: أنموذج يعرفنا بمنهجه في التعامل مع المصطلح المشهور عند أهل الفن.

بعد ذلك عقدنا باين:

الباب الأول: قدمنا فيه دراسة تحليلية لمنهج عبد الكريم الخطيب في "التفسير القرآني للقرآن" وقد خصصنا:

الفصل الأول : منه لعرض نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير، وهذه هي الميزة الأولى والظاهرة التي يتميز بها كتابه، فهو ينتقد المنهج المتبع في تفسير القرآن، لعدم اعتماد القرآن ذاته مصدرا للتفسير، ولذلك قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يعرفنا بكتابه "التفسير القرآني للقرآن"

والمبحث الثاني: يعرفنا بمنهجه في التعامل مع أهم مآخذ أو مصادر التفسير، وهما السنة النبوية وأسباب النزول.

والمبحث الثالث: يعرفنا بمنهجية في التعامل مع اللغة والتراث، لتكتمل الصورة في تعامله مع تلك المصادر.

أما الميزة الثانية لهذا الكتاب؛ وهي التصريح بأن المنهج المعتمد هو تفسير القرآن بالقرآن فقد خصصنا لها:

الفصل الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن، ولمعرفة ذلك المنهج عقدنا ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يوقفنا على معرفة هذا المنهج بتصريح من المفسر.

والمبحث الثاني: يعرفنا بمنهجه في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر.

أما المبحث الثالث: فنعرف من خلاله منهجه في تفسير النص القرآني بما يدل عليه القرآن ذاته.

وبعد تحليل المنهج المتبع في هذا التفسير نتقل إلى:

الباب الثاني: لنقدم فيه دراسة نقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن، وقد قسمنا هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: أسميناه "نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير فيه نظر" لأن النقد الذي قدمه المفسر في كتابه يومهم-حسب ما يظهر للباحث- بأن تفسير القرآن بالقرآن يؤخذ من القرآن ذاته ولا يشترط في ذلك التقيد بالنقل: سنة وآثارا ولغة وآراء السلف المعترين: فهل ثمة سند نظري أو تطبيقي لهذا الرأي؟ لذلك خصصنا:

المبحث الأول من الفصل: لنقد منهجه في التعامل مع السنة النبوية، كمصدر أساسي لا يجوز إغفاله عند تفسير القرآن بالقرآن.

ولما كان الحديث عن تفسير القرآن بالنقل فيه تفصيل، بات من الضروري إتمام صورة نقد منهج تعامل عبد الكريم الخطيب مع النقل عند التفسير في:

المبحث الثاني من الفصل: حيث نقف على نقد منهج التعامل مع أسباب النزول واللغة والتراث.

وفي ختام هذا الفصل نتأكد لنا مسألة ضرورة عدم إغفال النقل عند تطبيق منهج تفسير القرآن بالقرآن، فالسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح، وهي المصادر الأولى لمن يريد تطبيق هذا المنهج: بدليل ما سيأتي في:

الفصل الثاني: دراسة نقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بمعرفة أمرين أساسيين في مبحثين:

المبحث الأول: نعرف من خلاله حقيقة هذا المنهج عند العلماء والمحققين. أي ما هو تفسير القرآن بالقرآن بالضبط؟ فإذا اتضح لنا أن هذا المنهج دعامة الأساسية للتدبر وإعمال العقل المقيد بالنقل الثابت والصحيح ولذلك سمي النظر الشرعي أو الرأي المحمود، تأكد لنا الاستنتاج المتوصل إليه سابقا في الباب الأول، ومع ذلك ولزيد من التأكيد نعقد:

المبحث الثاني: لنقف على الجانب التطبيقي لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بمقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب لمجموعة من النصوص القرآنية، بتفسير ثلة من المفسرين المعبرين في هذا الفن والنتائج المتوصل إليها تؤكد مسألة تقديم تفسير القرآن بالقرآن الذي مصدره النقل -تصريحا أو تلميحا- الصحيح، على تفسير القرآن بالقرآن الذي مصدره التدبر المحض بصفة عامة.

وقبل ذكر أهم نتائج هذا البحث رأينا تقديم كلمة تحت عنوان تذييل.

ثم تأتي خاتمة البحث.

8- الدراسات السابقة:

ونقصد بذلك دراسات لمسألة تفسير القرآن ، ودراسات لتفسير عبد الكريم الخطيب:

أ- أما مسألة تفسير القرآن بالقرآن: كمنهج قائم بذاته له قواعد وضوابط تتبع عند التفسير، فالظاهر أنه مودع في كتب التفسير بين مقل ومكثر⁽¹⁾. وفي كتب علوم القرآن المختلفة، فهي مسألة تتجلى في الجانب التطبيقي لها، أي عند تفسير النص.

ولذلك يصعب حصر معالم معينة جامعة ودقيقة لهذا المنهج في مصنف واحد. فالتنظير لها إذن يمكن أن يظهر في عدة مصنفات نحو: تفسير القرآن بالقرآن النبي ﷺ وتفسير القرآن بالقرآن عند الصحابة وغيرها، وهذا ما تشير إليه البحوث التي تمكنت من الاطلاع عليها فيما يتعلق بهذا المنهج نحو:

* تفسير القرآن بالقرآن-دراسة تاريخية ونظرية-رسالة دكتوراه⁽²⁾.

* تفسير القرآن بالقرآن من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء "جمعا ودراسة"، رسالة ماجستير⁽³⁾.

* تفسير القرآن بالقرآن مقال قيم لأحمد بن محمد البريدي⁽⁴⁾.

* تفسير القرآن بالقرآن لسليمان بن ناصر الطيار⁽⁵⁾.

والقول بأن مسألة تفسير القرآن لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث الدقيق بغية التنظير لها كمنهج يؤكد لنا موضوع هذا البحث.

(1) _ نحو مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن للأمر الصنعاني، وأضواء البيان في إيضاح القرآن للشنقيطي والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب موضوع هذا البحث.

(2) _ محمد قجوي، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة سيدي بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراس فاس، 2001م.

(3) _ حجم الرسالة 786ص، صاحبها عمر بن بكري جاكيتي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نوقشت عام 1431هـ، تحصلت عليها من الانترنت سنة 2010-2011م.

(4) _ جامعة القصيم، من 13ص، تحصلت عليها من الانترنت.

(5) _ مساعد صاحب عدة مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن، أخرجه من الانترنت.

ب- وأما تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب: فهو موضوع لم يتبين لي دراسته من قبل، والحديث عنه كان بصفة إجمالية، وملاحظا فيه الاختلاف، بل وفيه نظر عند البعض؛ والظاهر أن السبب في ذلك يعود إلى الاطلاع العابر لتفسير عبد الكريم الخطيب.

ومما كتب عن المفسر وعن كتابه:

- ما قاله قجوي: «وصنف توحى عناوينه أيضا بالتخصص والتعمق في هذا الفن، ولكنه في حقيقته تجربة شخصية في تذوق نصوص القرآن: كالتفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، وهو تفسير أدبي بسيط، سجل فيه صاحبه ما كان يغمر وجدانه من النفحات الروحانية، ويعن له من الخواطر الفكرية وهو يحيل النظر في آيات القرآن الكريم، وبذلك كان أسلوبه بعيدا عن الأسلوب العلمي المعروف في تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان حديثه على العموم لا يخلو من استدلال بالقرآن، ولكنه ليس على النحو المعروف في مباحث هذا اللون من التفسير، اللهم إلا ما كان إشارته إلى بعض وجوه التناسب في القرآن، وقد نبه على منهجه هذا في مقدمة تفسيره....

أما وجه مناسبة هذا العنوان لمنهج الكتاب، فيظهر في اقتصار المفسر في فهمه لنصوص القرآن على ما توحى به في دلالاتها اللغوية، وانصرافه عن آراء الناس واختلافاتهم التي حجبت حقائق القرآن عن الناس، وهذا ما أشار إليه في مقدمة كتابه»⁽¹⁾.

وقال جاكيتي: يؤخذ على الكتاب اعتماد مؤلفه فيه على عقله فنحى منحى المدرسة العقلية، ومال للتأويل، ويرد بعض أخبار الآحاد التي تعارض القرآن حسب وجهة نظره كسحر النبي ﷺ، وبعض أخبار المعراج وبعض علامات الساعة، فجاء تفسيره مغايرا للمعنى المعروف للتفسير، وبعيدا عن الأسلوب العلمي المعروف في "تفسير القرآن بالقرآن" وفي الهامش أضاف قائلا: وقد نقد الكتاب في منهجه العقلي غير واحد من العلماء والباحثين، فقد وصفه فضيلة شيخنا الدكتور محمد بكر عابد بالجرأة والمخالفات الخطيرة، وقد تعرض-حفظه الله- لبعض هذه المخالفات، كما تعرض لبعضها وفندها الدكتور محمد بن عبد الله بن الصديق الشنقيطي - المفتي بدائرة القضاء الشرعي أبو ظبي- في بحث له بعنوان "غرائب المفسرين في القرن

(1) _ تفسير القرآن بالقرآن: 6/1.

العشرين" (1).

* وقال صلاح عبد الفتاح الخالدي: وممن ينتمي إلى المدرسة العقلية التفسيرية من المفسرين: جمال الدين القاسمي وعبد الكريم الخطيب (2).

وينقل عن المحتسب أنه جعل تفسير عبد الكريم الخطيب ينتمي إلى الاتجاه السلفي، بينما يرى الخالدي أنه ذا اتجاه عقلي، حيث «يركز هذا الاتجاه على أعمال العقل، وعلى التحليلات النظرية، وعلى تقديم الرأي المحمود، ومن أشهر التفاسير التي برز فيها الاتجاه...التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب» (3).

9- مصادر البحث:

ينقسم هذا البحث إلى قسمين:

* **القسم الأول:** قدمت فيه تحليل منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن الكريم، فهذا القسم مصدره "التفسير القرآني للقرآن" بأجزائه الستة عشر.

* **أما القسم الثاني:** فقد خصص لنقد وجهة نظر المفسر في تفسير القرآن بالقرآن من جانبين:

أ- الجانب النظري لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وقد وقع الاختيار على مصدر أساسي، ومصادر معضدة:

-
- (1) _ تفسير القرآن بالقرآن - جمعا ودراسة -، ص 73 بتصرف.
- (2) _ تعريف الدراسين بمناهج المفسرين، ط 2، دار القلم، دمشق، 2006م، ص 564 بتصرف.
- (3) _ المصدر السابق: ص 565-566 وممن تكلم في عبد الكريم الخطيب وفي تفسيره -د. سعيد ظلام. انظر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مجلة الأزهر، التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، المجلد الأول، الجزء الأول والثاني، دراسة وعرض ونقد، السنة 49، ج 6، 1977م، ص 1163-1169، وأتم مقاله في ج 4 من المجلد السنة 50، 1978م، ص 908-916 وفي هذا المقال نظر من حيث النقد العلمي.
- محمد عبد الله بن الصديق (المفتي بدائرة القضاء الشرعي بأبو ظبي) من غرائب المفسرين في أواخر القرن العشرين 1997م، من 28 ص، أخرجه من الانترنت.
- وأشار إليه وإلى من تحدث عنه، محمد إبراهيم شريف في كتابه: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، ط 1، دار السلام، القاهرة، 2008م، ص 111-113.
- والملاحظ أن البريدي صاحب المقال المقيم: تفسير القرآن بالقرآن "اكتفى بالإشارة إليه فقط. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن انتقاد الفكرة مشروط فيها الاحتكام إلى المنهج العلمي المبني على الاستقراء.

أما المصدر الأساسي فهو كتاب الموافقات للشاطبي، هذا الكتاب لاحظت فيه دقة في التنظير للقواعد والأصول التي يجب الأخذ بها لفهم نصوص القرآن، وعلى رأسها آيات الأحكام، والراجح أن تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر يتجلى بصفة خاصة في هذه الآيات، فعمدت إلى تلخيص الموافقات، وسجلت أقواله خاصة فيما يتعلق بالتفسير كعلم له أصول وقواعد، والملاحظ أن ما يسمى بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن مضمن التنظير له في هذا الكتاب، بل إن شارحه وهو العالم الجليل عبد الله دراز زاد هذا التنظير تأكيداً وتوضيحاً⁽¹⁾. والذي أكد لي مناسبة هذا الاختيار؛ الاتفاق في جملة من المسائل التعقيدية لتفسير القرآن بينه وبين ابن تيمية من خلال مجموع الفتاوى، بل إن ما جاء في الإحياء للغزالي، والبرهان للزكشي، وإيثار الحق لابن الوزير وما جاء في الفوز الكبير للدهلوي، وقبل هؤلاء الطبري في تفسيره في مواضع مختلفة: المقدمة وتفسير نصوص قرآنية متنوعة؛ كل ذلك يصب في نفس المصب.

لذلك رأيت الاعتماد على هذا المصدر النافع، وعضدت ذلك بما جاء في المصادر السابقة الذكر لبيان الجانب التنظيري.

ب- أما الجانب التطبيقي فيتمثل في: منهج تفسير النصوص القرآنية بالقرآن عند ثلة من العلماء المعبرين من السلف والخلف، باعتبار أن موضوع الدراسة معاصر، وقد وقع الاختيار على أربعة تفاسير:

-تفسير الطبري:

أو عمدة المفسرين كما يقال، هذا التفسير لا يستغني عنه في كل المسائل المتعلقة بالتفسير كعلم، ومن أهم المسائل التي تؤخذ منه كمصدر: التفسير بالمأثور، ومنهج التعامل مع هذا النوع من التفسير؛ فحينما يريد أي ناظر أن يفسر القرآن بالقرآن، لابد من تقديم ما ثبت نقلاً في تفسير ذلك النص، على ما يوصل إليه العقل والرأي، وهذا ما يلاحظه المطلع على تفسير الطبري، فهو يذكر عند تفسير النص ما روي في ذلك ثم تجده يرجح ما يراه أنسب أو يسكت.

فإذا كان الوصف الغالب في عصرنا الحالي؛ عدم حكاية الروايات عند تفسير القرآن

(1)

الكريم، فإن "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" مصدر هام من المصادر التي يحتكم إليها في تأصيل نوع البيان الذي يسجل لنصوص القرآن.

-تفسير ابن كثير:

وهذا هو المصنف الثاني الذي ذاع صيته بيننا كطلبة علم ونحن مبتدئين؛ "تفسير القرآن العظيم" وهو الآخر يتميز بتقديم النقل الثابت عند تفسير النصوص، وترجيح القول الصائب منه. وتلك ميزة تقوي الهدف المرجو عند مقارنة ما يسجله عبد الكريم الخطيب من تفسير للنص بما يقوله هذان العالمان الجليلان، فلقد ألزم نفسه عدم الخروج عن حدود القرآن في فهم القرآن؛ والتفسير بالمأثور-خاصة ما ثبت عن النبي ﷺ وما أجمع عليه الصحابة-أول مصدر يؤخذ منه ذلك، ولما كان الوصف الغالب لتفسير عبد الكريم الخطيب؛ عدم التصريح بالروايات المنقولة في تفسير النصوص، بل وكثرة التصريح بمخالفة غيره من المفسرين؛ بات من الضروري معرفة أصل ما يوصله إليه تدبره للنص، من خلال أهم المصنفات المعتمدة في التفسير: كتفسير الطبري وتفسير ابن كثير.

-تفسير القاسمي:

الراجح أن العصر والظروف التي يعيشها المفسر لها الأثر الكبير في المنهج المتبع في التفسير، وكذا في المعنى الذي يسجله لنصوص القرآن؛ لذلك كانت عملية المقارنة بتفسيرين معاصرين لتفسير عبد الكريم-وخاصة تفسير الشعراوي- تزيد النتائج المتوصل إليها لاحقاً بيانا وصحة، "ومحاسن التأويل" من التفاسير المعاصرة التي تصنف ضمن تفسير أهل السنة؛ وهذه ميزة يستبعد معها الخطأ عند تدبر القرآن الكريم.

-أما تفسير الشعراوي:

المسمى "خواطر الشعراوي في تفسير القرآن الكريم" فهو المصنف الذي يكون قوله بمثابة القول الفصل عموماً عند المقارنة؛ إنه من البلد التي نشأ فيها عبد الكريم الخطيب، بل هو من أقرانه. والظروف التي لا يستصحب تصنيف هذين التفسيرين واحدة، بل أن المنهج المتبع عموماً في تفسير الشعراوي يتميز بتقديم التفسير المأثور للنص جنباً إلى جنب مع التفسير القرآني له؛ أقصد أن الاطلاع العابر لهذا التفسير أسفر عن ملاحظة إتباع أحسن طرق التفسير، وهو تفسير القرآن

بالقرآن معضداً بما ثبت نقلاً عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن السلف الصالح في ذلك، كما أسفرت عن ملاحظة أدب العلماء في التعامل مع الموروث في التفسير، بحيث يلمس المتتبع لتفسيره ترجيح رأي على آخر دون تصريح غالب الأحيان بالمخالفة، ودون تصريح بالنقد الذي فيه نظراً أسلوباً ومنهجاً نحو ما جاء في مصنفات أخرى معاصرة له.

فكانت المقارنة بهذا التفسير؛ كالبلسم عند باحث ينوي الرجوع عن دراسة موضوع أقل ما يصرح فيه انتقاد لا ينبغي تسجيله؛ مهما كانت الظروف في كتاب يفسر فيه كلام العزيز الحكيم.

10- الطريقة المتبعة في كتابة البحث:

أ- بدأت رحلة البحث الجدي إثر أخذ عطلة عامين متتالين - غير مدفوعة الأجر - فكانت القراءة المتأنية للتفسير القرآني بأجزائه الستة عشر، سطر سطراً وحرفاً حرفاً، وكان رصد كل ما من شأنه يخدم موضوع البحث يسير بالموازاة مع تلك القراءة، وهذه أولى مراحل البحث الضرورية.

ب- وبعد تأمل منهج عبد الكريم الخطيب في تعامله مع السنة، وأسباب التزول، والآثار، واللغة، وأقوال العلماء، وغيرها. وهو يفسر القرآن الكريم لاحظت أمرين؛ أولهما الاعتماد على التدبر عند التفسير والثاني كثرة انتقاد التفسير الموروث، وكلا الأمرين قائم على أساس أن تفسير القرآن بالقرآن هو المنهج الصحيح لفهم القرآن؛ فإذا كان تفسيره للنص بنص آخر يسهل دراسته، فإن تفسيره للنص بما يدل عليه القرآن يصعب دراسته وهذا هو جل القرآن.

ج- فكانت المرحلة الثالثة: ضرورة تحديد معالم منهج تفسير القرآن بالقرآن ولو بنسبة تقريبية، ليدرس على ضوء تلك المعالم أن التفسير القرآني للنص القرآني هو كيت وكيت كما يقول عبد الكريم الخطيب، وخاصة في المواضيع التي يرد فيها التفسير المنقول له للتعارض بينهما، فعمدت إلى المصادر السابق ذكرها للمقارنة والاستنتاج.

د- والحقيقة التي لا مناص من ذكرها أي كنت أغلق مجال البحث: في مطالب كل.

فو الله لولا توفيق المولى عز وجل ما استوى هذا البحث على سوقه، لأني وجدت نفسي في مجابهة مسائل أكبر مني، وعذري في ذلك ما ظهر لي عند اختيار هذا الموضوع بادئ الأمر × فإن

القراءة العابرة والقراءة المبنية على الاستقراء لا توصلان إلى نفس النتائج، والدليل على ذلك تصنيف هذا التفسير في التفسير المأثور عند البعض، وفي التفسير النتائج، والدليل على ذلك تصنيف هذا التفسير في التفسير المأثور عند البعض، وفي التفسير بالرأي المحمود عند البعض الآخر، ووصفه بالتفسير الذي فيه نظر عند آخرين.

فالحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله وصلى اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد.

جميلة يوم 4 فيفري 2013م

مدخل:

تعريف بمجال الدراسة

تمهيد:

تفسير القرآن بالقرآن أحسن وأصح طرق التفسير كما قال العلماء، فإذا صح في تفسير نص قرآني بيان من القرآن ذاته، وبيان من أي مصدر آخر من مصادر التفسير، قدم البيان القرآني على غيره، والذي يريد تفسير القرآن بالقرآن سيكون تفسيره وفق الترتيب الآتي بداهة: -تقديم ما صح نقلاً في تفسير النص القرآني بالقرآن قدر المستطاع، على ما يوصله إليه تدبره ولو في العبارة المستعملة عند البيان.

ثم الانتقال إلى إعمال العقل، إذ لم يصح في ذلك شيء من النقل، شريطة التزام المنهج الصحيح في التفسير.

والعبرة في ذلك كله صحة الجمع بين النص المبين والنص المبين له. والراجح أن هذا العمل ليس من السهل الالتزام به في تفسير القرآن كله؛ أي من سورة الفاتحة إلى سورة الناس لعدة أسباب أهمها:

-النص القرآني من حيث البيان نوعان:

* واضح المعنى نحو تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾⁽¹⁾ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَلَا أَمْرٌ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾⁽²⁾.

* وخفي المعنى نحو تفسير الظلم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾⁽³⁾ بالشرك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، فهذا النوع يحتاج إلى جهد وبرهان، فهو حجة لأنه تفسير نبوي صحيح⁽⁵⁾، وليس حجة لدلالة سياق الآية

(1)- سورة الفاتحة: الآية 4.

(2)- سورة الانفطار: الآية 19.

(3)- سورة الأنعام: الآية 82.

(4)- سورة لقمان: الآية 13.

(5)- انظر هذا البحث: ص 56.

على ذلك⁽¹⁾، وهذا هو النوع الغالب في القرآن.

-عدم إمكانية الإحاطة الكلية بما ثبت وصحّ تفسيره نقلاً عن النبي ﷺ، ثم عن الصحابة، ثم عن التابعين والسلف الصالح.

-ثم هل في إمكان المتدبر والمفسر الاتصاف بعكس ما جُبل عليه الإنسان: من الغفلة والنسيان والزلة وغيرها من موانع الاهتداء والتوفيق، ولو في مواضع معدودة من عملية تفسيره للقرآن الكريم؟

لذلك يبدو الاعتماد على التفسير المأثور أكثر في تفاسير المتقدمين من الاعتماد على التفسير المعقول. فتجد مثلاً: الطبري⁽²⁾ يغلب في تفسيره ذكر ما يُروى من تفسير لذلك النص ثم يبيّن رأيه أو يسكت، وتجد ابن كثير⁽³⁾ يتبع المنهج ذاته مع شيء من الاختلاف، ومن المعاصرين من يُلاحظ على مناهجهم نفس الأمر، حسب الإطلاع المحتشم لجزء من تفاسيرهم، مثل القاسمي⁽⁴⁾ والشعراوي⁽⁵⁾.

فإذا ألزم مفسر نفسه عدم تجاوز حدود القرآن الكريم وهو يفسر النص القرآني؛ فقد ألزم نفسه أمراً صعباً، لا ينبغي تجاوزه وعدم التحقق به في المواضع الواضحة الدلالة، أما التزام ذلك في الغالب الأعمّ فالظاهر تعذر ذلك.

بل الملاحظ أن التقيد بما صحّ تفسيره بالمأثور أولى بتسميته "التفسير القرآني للقرآن"؛ لأنّه إما تفسير نبوي أو تفسير صحابة أو تفسير سلف صالح. واحتمال مجانبة الصواب عند السلف أقل من احتمال ذلك عند المفسرين المتأخرين -عموماً-.

(1)- فمن يقتصر على تفسير النص الأول بالنص الثاني مستدلاً بسياق القرآن الخاص والعام، لا يكون تفسيره حجّة من هذه الزاوية، نحو طريقة عبد الكريم الخطيب في تفسير هذا النص، انظر هذا البحث: ص 56.

(2)- هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري أبو جعفر، الإمام صاحب التصانيف المشهورة، استوطن بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته سنة 310هـ. انظر: الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد: طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط 1، دار الكتب، 1972م، 106/2-114.

(3)- هو إسماعيل بن عُمَر بن كثير بن ضوء بن درع الحافظ عماد الدين أبو الفداء، فقيه متفنن ومحدث متقن ومفسر نقاد ت 774هـ. انظر: المصدر السابق: 110/1-112.

(4)- هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، إمام الشام في علوم الدين وفنون الأدب، ت 1332هـ. انظر: عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، 1986م، 127/2.

(5)- محمد متولي الشعراوي من مشاهير العلماء الدعاة في العالم الإسلامي، فقيه مفسر من أهالي مصر، ت 1419هـ. انظر: نزار أباطة، محمد رياض المالح، إتمام الأعلام، ط 2، ص 405.

فماذا عن "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب؟

لقد صرح بأنه لا يتجاوز حدود القرآن عند تفسير النص، ويقدم التفسير القرآني للنص كما يقول، على أيّ تفسير آخر يتعارض معه، فما هو المنهج المتبع؟
للإجابة على ذلك نلقي الضوء على ثلاثة مسائل مهمة:

المسألة الأولى: التفسير القرآني للقرآن عند عبد الكريم الخطيب -أمودج-:

صرح عبد الكريم الخطيب في مقدمة كتابه "التفسير القرآني للقرآن" بأنه سيعتمد على القرآن ذاته في تفسير النص، ولا ينظر إلى غير القرآن والسنة باعتبارها البيان لهذا القرآن؛ إلا أن المطلع على تفسيره يلاحظ عدم مطابقة هذا القول لبعض المواضع التي اشتهر فيها تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر -دون حكاية الاختلاف في ذلك-، فأول ملاحظة تسجل إذن أنه لا ينبغي التعويل على النظر والتدبر عند تفسير النص القرآني بما يدل عليه القرآن ذاته، دون تحري ما ثبت نقلا في تفسير ذلك النص مما هو من هذا القبيل، ولتوضيح هذا الأمر نأخذ أمودجا:

أولاً: تفسير الدم المحرم من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ﴾⁽¹⁾، بالدم المسفوح من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾⁽²⁾.

أ- بعض ما قاله المفسرون عند تفسير الآية:

1- يقول الطبري في تفسيره: «حرم الله عليكم، أيها المؤمنون، الميتة،... وأما الدم فإنّ الدم المسفوح دون ما كان منه غير مسفوح، لأنّ الله جل ثناؤه قال: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنَازِيرٍ﴾ [الأنعام: 145]، فأما ما كان قد صار في معنى اللحم كالكد والطحال، وما كان في اللحم غير منسفع، فإنّ ذلك غير حرام، لإجماع الجميع على ذلك»⁽³⁾.

(1)- سورة المائدة: الآية 3.

(2)- سورة الأنعام: الآية 145.

(3)- جامع البيان: 88-87/6/4.

2- يقول ابن كثير في تفسيره: «وَالْدَّمُ»⁽¹⁾، يعني به: المسفوح، لقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾⁽²⁾ قاله ابن عباس⁽³⁾، وسعيد بن جبيرة⁽⁴⁾ «⁽⁵⁾» ثم يسوق روايات أخرى تعضد هذا المعنى.

3- يقول القاسمي في تفسيره: «وَالْدَّمُ»⁽⁶⁾ أي: المسفوح منه، لقوله تعالى في الأنعام: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الآية 145]⁽⁷⁾ ثم يذكر روايتين؛ لابن عباس وعائشة⁽⁸⁾ تعضد ذلك المعنى.

4- يقول الشعراوي في تفسيره: «وكذلك حرم الدم، وهو السائل الذي يجري في الأوردة والشرابين ويعطي الجسم الدفء والحرارة وينقل الغذاء... ولذلك يسمونه»⁽⁹⁾ الدم المسفوح، أي الجاري»⁽¹⁰⁾.

ب- أهم ما يلاحظ في تفسير الآية:

1- أن هذا التفسير من قبيل تفسير القرآن بالقرآن.

(1)- سورة المائدة: الآية 3.

(2)- سورة الأنعام: الآية 145.

(3)- هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، صحابي جليل، ت68هـ. انظر: ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجليل: بيروت، 1992م، 933/3.

(4)- سعيد بن جبيرة بن هشام الأسدي الكوفي المقرئ المفسر الفقيه المحدث، من سادات التابعين، قتله الحجاج سنة 95هـ. انظر: الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية: بيروت، 76/1.

(5)- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط2، دار الكتاب العربي: بيروت، 2002م، 455/2.

(6)- سورة المائدة: الآية 3.

(7)- القاسمي محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث: القاهرة، 2003م، 21/4.

(8)- أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق وزوج النبي ﷺ تزوجها قبل الهجرة بستين وهي بنت 6 سنوات، وتوفي عنها وهي بنت 18 سنة، ت57هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 1881/4.

(9)- وهذه إشارة لتفسير الدم المحرم بالدم المسفوح -دون تصريح-.

(10)- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي (خواطر فضيلة الشيخ متولي الشعراوي حول القرآن الكريم)، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، 2920/5.

2-ومصدر هذا التفسير ابن عباس وسعيد بن جبير على ما صرح به ابن كثير،فهو تفسير بالمأثور أو بالنقل،وذلك ما يؤكده قول الطبري.

3-فإذا فسر على النحو الذي قاله الشعراوي،كان من قبيل تفسير القرآن بما يفهم منه فهو تفسير بالمعقول أو بالرأي -مع الإيماء إلى الدليل -.

وإذا أردنا الحكم على هذا التفسير،نقول:

ج-الاستنتاج:

1-يأخذ حكم تفسير الصحابة،والظاهر أنه ثابت بدليل عدم رواية الاختلاف في ذلك.

2-وهو مقدم من حيث الطريقة على ما قاله الشعراوي لأنه تفسير قرآن بقرآن،وذلك أصح وأحسن طرق التفسير كما قال العلماء.

3-أمّا وجه البيان بين النص الأول والنص الثاني فهو كما قالوا أيضا فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر.

4-وهذا هو القدر المطلوب والكافي عند تفسير القرآن الكريم بالقرآن من أول سورة منه إلى آخر سورة.أمّا تحديد وجه البيان بالضبط فمحله في غير التفاسير، كما سنرى في العنصر الآتي.

ثانيا:المصنّفات الخاصة:

نقصد بذلك الكتب التي خصص أصحابها مسائل معينة بالدراسة والبحث،فأطلقوا عليها اسم المسألة المراد بحثها نحو:ما ألّف في الناسخ والمنسوخ،ومبهمات القرآن،والمجمل والمفصل،وغريب القرآن،وغيرها.

فلو أخذنا هذا النموذج تجده مثلا يذكر فيما يسمّى بتخصيص العام⁽¹⁾، كما تجد تفسير

⁽¹⁾-أورد السيوطي في العام الذي خصّ بمخصص منفصل مثلا تفسير قوله تعالى:﴿وَالْدُمُ﴾ من سورة المائدة الآية3،بقوله

تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ من سورة الأنعام:الآية145.انظر:السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتيقان في

علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي: بيروت، 2004م، ص510.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾ بقوله عز من قائل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾⁽²⁾، يذكر فيما يُسمى ببيان المبهم⁽³⁾، وهكذا.

إلاَّ أنَّ الملاحظ أنَّ مسألة تعيين وجه البيان أو قل مصطلح البيان بين النص الذي يراد تفسيره والنص الذي جعل تفسيراً له؛ مسألة نسبية من حيث الاتفاق أو الاختلاف في المصطلح، فما يُطلق عليه مثلاً قوله تعالى... عام خصصه قوله تعالى... قد يُطلق عليه مصطلح المطلق والمقيد⁽⁴⁾، بل أنَّ المصطلح الواحد كما هو معلوم كمصطلح "النسخ" قد يراد به معنيان، فقول السلف هذا من قبيل الناسخ والمنسوخ أعم من قول الخلف إذا أطلقوا ذلك.

ولذلك فإنَّ مسألة الاختصار على ما قاله المفسرون كابن تيمية⁽⁵⁾ وابن كثير وغيرهما⁽⁶⁾ عن وجه البيان بين نصين قرآنيين؛ هذا إجمال فصل أو فسر أو هذا مختصر بُسط في موضع كذا وكذا، وكل ما يدور في هذا المعنى من عبارات نحو هذا بيان لقوله تعالى أو هذا يحمل بينه قوله تعالى... أقول أسلم عند إرادة تقديم نقد أو تعليق على منهج عبد الكريم الخطيب وهو يفسر

(1)- سورة الفاتحة: الآية 7.

(2)- سورة النساء: الآية 69.

(3)- انظر: البنسني أبو عبد الله محمد بن علي: تفسير مبهمات القرآن، دراسة وتحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، ط1، دار المغرب الإسلامي: بيروت، 1991م، 105/1.

(4)- مثال ذلك تسمية وجه البيان بين لفظ "الظلم" من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] ولفظ "الشرك" المبين له من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] فقد جاء في ذلك:

- أنه من قبيل تقييد المطلق. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 338/1. (سيأتي توثيقه كاملاً) أنه من قبيل تخصص العام. انظر: د. مساعد بن سليمان الطيار، بحث بعنوان مصادر التفسير (1) تفسير القرآن بالقرآن: ص3-4. و د. أحمد بن محمد البريدي، مقال تفسير القرآن بالقرآن، ج2، ص2-3.

بينما أكد الشاطبي في الموافقات أنه ليس من تخصص العام. انظر: 192/3/2-193 (سيأتي توثيقه كاملاً).

(5)- هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن تيمية الحراني، الإمام العلامة الفقيه المجتهد الناقد المفسر البارع الأصولي، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، ت728هـ. انظر: طبقات المفسرين، 45/1-49.

(6)- هذا المثال لم يذكره الشنقيطي في موضعه من تفسيره. انظر: محمد الأمين المختار الحكني: أضواء البيان، دار الحديث: القاهرة، 2006م، 7/2-8. لذلك ولأسباب أخرى لم تجر المقارنة في هذا البحث بتفسير الشنقيطي. وقد ذكره في المقدمة فيما يسمى ببيان منطوق. مفهوم 51/1. وذكره تلميذه في 20/1.

القرآن بالقرآن، لأن العبرة بصحة الجمع بين العام والخاص أو المطلق والمقيد أو المجمل والمفصل، وليس بالتسمية لذلك الوجه، فماذا جاء في تفسير هذا النص عند عبد الكريم الخطيب؟

ثالثاً: تفسير عبد الكريم الخطيب للنص:

أ- فسر عبد الكريم الخطيب لفظ الدم من سورة المائدة الآية (3) بـ «الدم الذي تستقدره النفوس الطيبة»⁽¹⁾.

وحيثما ترجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾⁽²⁾ تجده يقول: «مسفوحاً» قيد وارد على حرمة الدم، وهو أن يكون دماً سائلاً، مما يجري في عروق الحيوان.. فذلك هو الدم الحرام، على خلاف الدم المتجمد أصلاً كالكد والطحال، فهما حلالان، كما جاء في الحديث الشريف»⁽³⁾.

ب- فعند ما نقارن منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير هذا النص بمنهج هؤلاء المفسرين؛ نلاحظ أنه لم يفسر القرآن بالقرآن وهو يفسر آية المائدة؛ بل ذكر ما يفهم فقط منها، وعند تفسير آية الأنعام؛ أشار إلى ما تدل عليه الآية في منطوقها، فالمعنى بين ظاهر لا يحتاج إلى بيان من نص آخر.

ج- ولذلك يمكن القول أن عبد الكريم الخطيب يعول على ما يحضره وهو يفسر النص القرآني، وهذا التعويل على ما يبدو يختلف الحكم عليه من مفسر إلى آخر، والعبرة بصحة المنهج المتبع، ثم يُقدّم التفسير الأصح على غيره. وفي مثل هذه الحال يقدم تفسير آية المائدة بآية الأنعام كأحسن طريقة، ثم يُقدم من عزا هذا التفسير إلى مصدره الأول؛ وهو تفسير ابن عباس وسعيد بن جبيرة على ما قاله ابن كثير، فهو إذن تفسير قرآن بقرآن طريقه النقل أو الأثر وليس العقل.

د- وبناء على ذلك أقل ما يلاحظ على منهج عبد الكريم الخطيب في تفسيره: عدم مطابقة معنى تسمية كتابه "التفسير القرآني للقرآن" لما يذكره، كما هو الحال في هذا المثال، وتعويله على ما يفهمه وما يحضره وهو يفسر النص، دون التقيد بما ثبت نقلاً عند

⁽¹⁾-التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، 1970م، 1028/3.

⁽²⁾-سورة الأنعام: الآية 145.

⁽³⁾-التفسير القرآني للقرآن: 330/4.

التفسير، وهذا أمرٌ يحتمل شيئين:

1- إما أن التعويل على النقل تتضمنه العملية التفسيرية؛ وهذا أمر يصعب إدراكه من طرف القارئ غالباً.

2- وإما غير متضمن؛ وفي مثل هذه الحال يكون الحكم على تفسيره تبعاً لنوع النقل الثابت في تفسير النص، من حيث وجوب التعويل عليه أم لا.

رابعاً: خلاصة القول:

أ- "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب فيه نظر - على الأقل - من حيث المنهج، ومن حيث العنوان الذي أطلق على هذا التفسير.

ب- أولى مصادر منهج تفسير القرآن بالقرآن النقل، وبالترتيب، فلا يقدم تفسير صحابي لنص قرآني بنص آخر أو بما يفهم من النص، على تفسير النبي ﷺ لذلك النص مثلاً، وهكذا القول مع تفسير التابعي وغير ذلك.

ج- أما الحكم على ذلك التفسير، فيختلف من حيث نوع التفسير الثابت نقلاً للنص؛ فيتحمم التعويل عليه إذا ثبت أنه المعنى المقصود دون غيره؛ ونحو القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾⁽¹⁾ عائذ⁽²⁾ على أبي بكر الصديق ﷺ⁽³⁾، ولا يتحمم التعويل عليه، إذا كان النص يحتمل غير الظاهر المنقول على حد تعبير الغزالي⁽⁴⁾، شريطة أن لا يتوصل المتدبر إلى ما يعارض ذلك التفسير.

(1) - سورة التوبة: الآية 40.

(2) - انظر: البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي: صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله محمود بن الجميل، ط1، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، القاهرة، 2003م، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم: «وقال الله: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَعَدَّ نَصْرَهُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية 40]، قالت عائشة وأبو سعيد وابن عباس ﷺ: وكان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار» 204/2.

(3) - عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد التيمي القرشي، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، توفي بالمدينة سنة 13هـ. انظر: الاستيعاب، 3/963.

(4) - هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، ت: 505هـ. انظر: ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية: بيروت، 10/4/2.

المسألة الثانية: نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير -أمودج-:

حينما تتبّع تفسير عبد الكريم الخطيب للقرآن الكريم تقف على أمرين:

-الأول: تقدّم التفسير القرآني للنص القرآني إما بنص آخر، أو بما يفهم من النص ذاته منفرداً أو في السياق القرآني، دون وصف لهذا العمل بالصحة مطلقاً؛ بمعنى قد يكون صائباً وقد يجانب الصواب.

-والثاني: أن هذا التفسير أفرزه اتجاه التفسير بصفة عامة، حيث غلب عليه الاعتماد على غير القرآن والسنة عند البيان؛ فكان تفسيراً فيه نظر في رأي عبد الكريم الخطيب كما صرح في مقدمة كتابه "التفسير القرآني للقرآن"، وأكد ذلك في مواضع كثيرة وعديدة نحو قوله: ونحن إذ نخالف المفسرين أو أكثر المفسرين أو الإجماع أو البعض.

ولذلك فإنّ دراسة تفسير عبد الكريم الخطيب للنص القرآني ستكون من زاويتين؛ إحداها مدى مطابقة نقده للاتجاه العام في التفسير للواقع، والثانية التركيز على مسألة تفسير النص بالقرآن ومدى التزامه بذلك، ولتوضيح ذلك نأخذ مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة كنموذج على النحو التالي:

أولاً: بعض ما قاله العلماء عند تفسير النص: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾^(١):

أ- يذكر الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢) قولين: تنظر إلى ربها أو تنتظر الثواب من ربها، ثم يقول: «وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن^(٣) وعكرمة^(٤)، من أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ»^(٥).

(١)- سورة القيامة.

(٢)- سورة القيامة: الآية 23.

(٣)- الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، من سادات التابعين وكبرائهم، كان إمام أهل البصرة وحرر الأمة في زمنه، ت110هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 71/1.

(٤)- عكرمة أبو عبد الله البربري، أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس، تابعي ثقة عدل على مكانة عالية من التفسير والفقه.

ت105هـ. انظر: المصدر السابق: 95/1.

(٥)- جامع البيان: 235/29/14.

ب- يقول ابن كثير عند تفسيرها: «أي: تراه عيانا... كما رواه البخاري⁽¹⁾ - رحمه الله - في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عيانا»⁽²⁾ وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله - عز وجل - في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متوافرة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها»⁽³⁾ وبعد ذكر الأحاديث - وأغلبها متفق عليه - الدالة على ذلك يقول: «وهذا... مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهذه الأنام»⁽⁴⁾. ثم يُعلق على من قال بأن المعنى «تنتظر الثواب من ربها»⁽⁵⁾ قائلا: «فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَيِّتِينَ وَيُمْحِي الْمَيِّتِينَ﴾»⁽⁶⁾، قال الشافعي⁽⁷⁾ - رحمه الله - ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل»⁽⁸⁾.

ج- يقول القاسمي عند تفسير الآية: «أي: مشاهدة إياه، ترى جمال ذاته العلية، ونور وجهه الكريم، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه»⁽⁹⁾.

د- يقول الشعراوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾⁽¹⁰⁾: «وقد وقف العلماء وقفة كبيرة واختلفوا: هل الإنسان يرى ربه أو لا يراه...؟ بعضهم قال: لا أحد يرى الله

(1) - هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري، صاحب التصانيف، شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ، ت256هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 555/2.

(2) - كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث جرير بن عبد الله رقم 554 - بلفظ آخر - 130/1 وكتاب تفسير القرآن، سورة ق، باب قوله: ﴿وَسَيَحْيِي مَحْمَدَ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: الآية 39] حديث جرير أيضا رقم 4851، 499/2 - بغير هذا اللفظ -.

(3) - تفسير القرآن العظيم: 353/6.

(4) - المصدر السابق: 354/6.

(5) - المصدر السابق: 355/6.

(6) - سورة المطففين: الآية 15.

(7) - هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ت204هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 329/1.

(8) - تفسير القرآن العظيم: 355/6.

(9) - محاسن التأويل: 282/9.

(10) - سورة الأنعام: الآية 103.

بنص الآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ ⁽¹⁾ ونقول: لكن هناك آيات في القرآن تقول: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ⁽²⁾ ﴿إِلَىٰ رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ ⁽³⁾ و﴿نَاطِرَةٌ﴾ تضمن الرؤية وتفيدها، وأيضا فالله يعاقب من كفر به بأن يحتجب عنه؛ لأنه القائل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ ⁽⁴⁾... إن آيات القرآن صريحة في أن رؤية الحق سبحانه وتعالى من نعم الله على المؤمنين ⁽⁴⁾.

ثانيا: أهم ما يلاحظ في تفسير الآية:

أ- حكاية الخلاف في تفسير النص، وترجيح القول بأن المعنى هو النظر إلى الخالق عز وجل يوم القيامة، كما جاء عند الطبري والشعراوي.

ب- مصدر هذا المعنى الذي رُجح: النقل الثابت عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والسلف الصالح على ما قاله الطبري وابن كثير، والقرآن الكريم على ما قاله الشعراوي.

ج- والذي يعضد هذا المعنى ويشهد له القرآن ذاته، حيث دلت نصوص قرآنية أخرى على ذلك كما صرح ابن كثير والشعراوي.

د- ولذلك نستنتج:

أن إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة كتفسير لهذا النص دلّ عليه القرآن في مواضع أخرى، فهو إذن تفسير قرآن بقرآن طريقه التدبر والنظر، وأولى مصادر هذا التدبر هو النقل الثابت في هذه المسألة عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، وعن السلف الصالح. ويمكن القول أن تفسير هذا النص بنصوص أخرى يعضده ويشهد له النقل الثابت في هذه القضية.

بقيت مسألة تقديم التصريح بأن هذا النص فسرته قوله تعالى... على القول بأن هذا النص فسرته الحسن وعكرمة، أو أجمع عليه الصحابة، أو عدم تقديمه من حيث القول: «أصح

(1)- سورة الأنعام: الآية 103.

(2)- سورة القيامة.

(3)- سورة المطففين: الآية 15.

(4)- تفسير الشعراوي: 3846/6-3847. وإذا شئت المزيد فما قاله الشعراوي وهو يفسر النص جد نافع فيما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن، أو قل التفسير الموضوعي لمسألة رؤية الله تعالى. انظر: تفسيره: 3850-3845/6.

طرق التفسير...» فالظاهر أن ما قاله الصحابة مقدّم على ما يقوله الخلف وإن أجمعوا على ذلك- فكيف وقد حُكي الخلاف في المسألة- لأنهم أقرب إلى الصواب من حيث بيان مدلول النصوص القرآنية.

ثالثا: تفسير عبد الكريم الخطيب للنص:

أ- يقول عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽¹⁾:

«أكثر المفسرون من المقولات التي تقال في تأويل الوجوه النازرة إلى ربها، وهل في الإمكان رؤية الله؟ إن الرؤية معناها تحديد المرئي وتجسيده، والله سبحانه متره عن التحديد والتجسيد.. فكيف يمكن رؤيته؟

وهذه قضية استنفدت كثيرا من جهد العلماء، من المتكلمين وأهل السنة، ولو أنصف هؤلاء وهؤلاء عقولهم، لأمسكوا بها عن الخوض في لجج هذا البحر الذي لا ساحل له، فإن عقولنا تلك، إنما خلقت لهذا العالم الأرضي، ولتكشف ما فيه من حقائق، أما عالم الآخرة، فعقولنا بمعزل عنه، فكيف بذات الله سبحانه وتعالى؟ وكيف بعقولنا المحدودة القاصرة يُراد لها أن تحتوي هذا الجلال الذي لا حدود له، والذي وسع كرسیه السماوات والأرض؟

ولهذا، فإن خير ما يُحمل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽²⁾، هو ما ذهب إليه السلف من أن المراد بالنظر إلى الله، هو النظر إلى رحمة الله، والطمع في رضوانه، والتعلق بالرجاء فيه، في ذلك اليوم الذي ينقطع فيه كل رجاء إلا منه جلّ وعلا.. وهذا النظر إلى رحمة الله، لا يختلف عن معنى الرغبة إلى الله، والرجوع إليه، كما يقول سبحانه: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (32: القلم) وكما يقول جل شأنه: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (156: البقرة).

أما النظر في وجه الله سبحانه وتعالى في الآخرة، وأما إمكانه وكيفيته، فذلك -إن صحت الأخبار المروية عنه- مما نؤمن به غيبا، ولا نبحت عنه صورة وكيفاً⁽³⁾.

(1)- سورة القيامة: الآية 23.

(2)- سورة القيامة: الآية 23.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 1338/15-1339.

ب-مما يُلاحظ في تفسير عبد الكريم الخطيب لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽¹⁾ مايلي:

1-المعنى الذي رجحه للآية يحتمل:

*إنه يقصد مصادر معينة أو مفسرين بعينهم وهم عنده "السلف".

*أو إنّه ربط بين تفسير هذا النص بالذات بما ذهب إليه السلف في مسألة رؤية الله -في الدنيا مثلاً-⁽²⁾ مطلقاً وإمكانية ذلك.

2-والظاهر أن المعنى الذي رجّحه يقصد به الاحتمال الثاني، بدليل تسليمه بإمكانية رؤية

المولى عز وجل يوم القيامة والإيمان بذلك دون البحث عن التفاصيل، إذا صحت الأخبار المروية عنه كما قال.

3-فالمنهج المتبع في تفسيره للنص فيه نظر:

*من حيث ربط المعنى العام لموضوع النظر إلى الله مطلقاً⁽³⁾؛ في الدنيا والآخرة، والذي

ذكر في أكثر من موضع من القرآن: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الْآَبْصَرَ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾⁽⁶⁾، وقوله: ﴿فَلَمَّا

تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾⁽⁷⁾، بجزء من هذا الموضوع وهي مسألة

النظر إليه ورؤيته في الآخرة كما قال العلماء عند تفسير هذه الآية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽⁸⁾.

*ومن حيث التعويل على ما يحضره وهو يفسر النص القرآني، بدليل قوله: «إن صحت

(1)-سورة القيامة: الآية 23.

(2)-أقصد أيضاً مسألة هل رأى الرسول ﷺ ربه أم لا؟ بل وقبله موسى -عليه السلام- عندما سأله أن يراه.

(3)-انظر تفسيره لهذه الآيات: الأنعام (103)، والأعراف (143)، ويونس (26)، والمطففين (15)، التفسير القرآني للقرآن وعلى هذا الترتيب: 254/4، و477/5، و994/6، و1493/16 وقارنه بتفسيره لهذا النص من سورة القيامة، ففي منهجه نظر.

(4)-سورة الأنعام: الآية 103. وقد أشار الشعراوي -مثلاً- إلى الفرق بين الإدراك والنظر. انظر: تفسير الشعراوي:

3847/6.

(5)-سورة الأعراف: الآية 143.

(6)-سورة الأعراف: الآية 143.

(7)-سورة الأعراف: الآية 143.

(8)-سورة القيامة: الآية 23.

الأخبار المروية عنه»⁽¹⁾ أي عن رؤية الله تعالى؛ لأنّ هذا التصريح يدل على نسيان هذه الأخبار، على افتراض أنّه ليس توقفا عند تلك الأخبار، وتقديما لما يفهمه من النص، كما هو صنيعه في مواضع عدة من تفسيره وبتصريح منه.

*ومن حيث موقفه من هذه الأخبار -أي من النقل- ومنهج في التعامل معها لقوله «إن صحت»، ومن الأخبار التي وردت:

ما رواه البخاري في صحيحه من أحاديث⁽²⁾ في باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽³⁾ نحو:

- رواية أبي هريرة⁽⁴⁾ «أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: ... قالوا... قال: «فإنكم ترونه»⁽⁵⁾ الحديث.

- ورواية أبي سعيد الخدري⁽⁶⁾: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟» قلنا: لا قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما»⁽⁷⁾ الحديث.

-وكذلك ما رواه مسلم⁽⁸⁾ في صحيحه من أحاديث في باب إثبات رؤية المؤمنين في

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 1339/15.

(2)-وقد قدم البخاري في صحيحه حديث جرير بن عبد الله -من ثلاثة طرق- ثم أورد رواية أبي هريرة وبعدها رواية أبي سعيد الخدري. انظر: صحيح البخاري، 457/3-459. كتاب التوحيد. هذا باعتبار ما جاء من حديث في هذا النص بالذات، ثم انظر ما جاء في هذه المسألة من أخبار أيضا نحو ما سبق ذكره في هذا البحث، ص 11 الهامش رقم 2.

(3)-سورة القيامة.

(4)-عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة، صحابي جليل، وأحفظ من روى الحديث في دهره، ت59هـ. انظر:

الاستيعاب: 1768/8.

(5)-الحديث رقم 7437، 458/3.

(6)-سعد بن مالك الأنصاري من أعيان الصحابة وفقهائهم، ت74هـ. انظر: الاستيعاب: 1671/4.

(7)-الحديث رقم 7439، 459/3.

(8)-مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، حجة الإسلام، ت261هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 588/2.

الآخرة ربه سبحانه وتعالى⁽¹⁾، وباب معرفة طريق الرؤية⁽²⁾، ومن تلك الأحاديث روايتي أبي هريرة⁽³⁾ وأبي سعيد الخدري⁽⁴⁾ السابق ذكرهما.

جـ- فأين إذن مطابقة المقصود من تسمية هذا التفسير "التفسير القرآني للقرآن"، وما تضمنه من بيان للنصوص كما لوحظ في أكثر من موضع منه؛ ثم إذا افترض عدم اشتراط الإحاطة بالسنة⁽⁵⁾ في ذات المتدبر وهو يفسر النص القرآني، فعلى الأقل تقابل نصوص القرآن الواردة في المسألة ذاتها، وهو المنهج الذي ألزم به نفسه؛ بل هو السبب الذي جعله يخوض غمار تفسير القرآن الكريم.

إن القول «إن في منهج عبد الكريم الخطيب نظر» وهو يفسر القرآن الكريم؛ من الوضوح الذي لا يختلف فيه اثنان، لا سيما في هذا المثال. والإشكال يتمثل في التعويل على الرأي عند التفسير، دون التقيد بالنقل الثابت على الأقل من طرف الرسول ﷺ، كما ألزم نفسه بذلك بصريح العبارة، رجوعا إلى هذا المصدر حتى لا نقول إحاطة به؛ لاحتمال تعذر استحضار كل ما صح عنه ﷺ في التفسير.

رابعا: وخير ما نختم به:

كمثال على ما نقل عن السلف في هذه المسألة، ما قاله النووي⁽⁶⁾ عند شرح حديث

(1)-انظر: النووي محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، الأزهر، كتاب الإيمان، 15-14/2.

(2)-المصدر السابق: 21-16/2.

(3)-المصدر السابق: 16/2. الحديث رقم 182.

(4)-المصدر السابق: 19/2. الحديث رقم 183.

(5)-انظر مثلا ما جاء في هذا الصدد في الموافقات: «إنه لا يلزم المجتهد في الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدا في كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة...» لأنه «لو كان كذلك لم يوجد مجتهد إلا في النادرة من سوى الصحابة، ونحن نمثل بالأئمة الأربعة: فالشافعي عندهم مقلد في الحديث لم يبلغ درجة [الاجتهاد] في انتقاده ومعرفة، وأبو حنيفة كذلك، وإنما عدوا من أهل مالكا وحده، وتراه في الأحكام يحيل على غيره كأهل التجارب والطب والحيز وغير ذلك، ويبني الحكم على ذلك...» 375-374/4/2، لكن أين التسليم بما يعتبر فيه مقلدا حتى يبنى على مقدمات صحيحة. إن الخلل في المنهج؛ المبني على الخلل في المرجعية الفكرية.

(6)-محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، ت 676هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 1470/4.

رؤية الله تعالى يوم الآخرة:

«اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين. وزعمت طائفة من أهل البدع: المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة، أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة... وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا»⁽¹⁾.

المسألة الثالثة: ضرورة التزام معنى المصطلح المشهور تداوله في المنهج-أنموذج:-

أولا: مصطلح "النسخ" أنموذج وبعض ما نص عليه المحققون:

ثمة أمور تعتبر مسلمات⁽²⁾؛ نحو التزام المعاني المعروفة للمصطلحات المشهورة المتداولة عند أهل الفن؛ ومن تلك المصطلحات مصطلح "النسخ"، فالمعروف أن هذا المصطلح إذا أطلق؛ فالمقصود منه الاصطلاح العام عند السلف، أو الاصطلاح الخاص عند الخلف، ذلك ما نص عليه المحققون نحو:

أ- ما قاله ابن تيمية: «والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف -العام- كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق،... ويدخل فيه المحمل... وكذلك ما رُفِع حكمه، فإن في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معاني القرآن، ولهذا كانوا يقولون:

(1)- صحيح مسلم بشرح النووي: 15/2.

(2)- المسلمات: قسم من المقدمات الظنية، وهي قضايا تسلم ويبنى عليها الكلام؛ سواء كانت مسلمة بين الخصمين أو بين أهل العلم كتسليم الفقهاء مسائل أصول الفقه. انظر: الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد: القاهرة، ص 241 بتصرف.

هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟ فإذا عرف الناسخ عرف المحكم⁽¹⁾، فإن السلف «كانوا يسمون كل رفع نسخا، سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة»⁽²⁾.

ب- وما قاله الشاطبي⁽³⁾: «إن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين: فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخا، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخا، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخا، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخا؛ لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر يقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جيء به آخرا، فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به.

وهذا المعنى جار في تقييد المطلق... وكذلك العام مع الخاص... والمبين مع المبهم كالمقيد مع المطلق، فلما كان كذلك استسهل إطلاق لفظ النسخ في جملة هذه المعاني؛ لرجوعها إلى شيء واحد»⁽⁴⁾.

ولذلك قال قبل تقرير هذه المسألة:

«إن غالب ما ادعى فيه النسخ إذا تأمل وجدته متنازعا فيه ومحتملا، وقريبا من التأويل بالجمع بين الدليلين على وجه، من كون الثاني بيانا لجمل، أو تخصيصا لعموم، أو تقييدا لمطلق، وما أشبه ذلك من وجوه الجمع... وقد أسقط ابن العربي⁽⁵⁾ من الناسخ والمنسوخ كثيرا بهذه الطريقة...»⁽⁶⁾.

فكيف كان التعامل مع مثل هذه المسلمات؟

(1) ابن تيمية أحمد: مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، 13/272-273.

(2) المصدر السابق: 13/274.

(3) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق: حافظ ثقة، محدث مفسر، أصولي من أئمة فقهاء المالكية، ت790هـ. انظر: معجم المفسرين: 1/23.

(4) الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الملقب بأبي إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، وعليه شرح عبد الله دراز، دار الحديث: القاهرة، 2006م، 2/75-76.

(5) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو بكر بن العربي حافظ للحديث، من كبار فقهاء المالكية، ت543هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 4/1294.

(6) الموافقات: 2/74/3.

ثانيا: تعامل عبد الكريم الخطيب مع مصطلح النسخ:

يرى عبد الكريم الخطيب أنه لا نسخ في القرآن الكريم⁽¹⁾؛ ويقصد بذلك الاصطلاح الخاص لهذا اللفظ؛ لكن الملاحظ في تفسيره عدم التمييز بين الاصطلاح العام والاصطلاح الخاص وهو ينتقد القائلين بالنسخ مثلا:

أ- قوله: «[أكثر]⁽²⁾ علماء المسلمين على أن في القرآن نسخا، وأن هناك آيات ناسخة وأخرى منسوخة بها.

ومعرفة الناسخ والمنسوخ ودراستهما، مما اهتم له العلماء والفقهاء، وجعلوه أصلا من أصول الدراسات القرآنية، ومجازا من المجازات التي يدخل بها العالم أو الفقيه في جماعة العلماء والفقهاء، فمن لم يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، فلا مدخل له في باب العلماء والفقهاء»⁽³⁾؛ أبرز ما يلاحظ فيه استعمال عبارة «فمن لم يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، فلا مدخل له في باب العلماء والفقهاء»⁽⁴⁾ في غير محلها لأن:

1- هذه العبارة يقصد بها النسخ في الاصطلاح العام، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في النقل السابق الذكر: «ولهذا كانوا يقولون: هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟ فإذا عرف الناسخ عرف المحكم»⁽⁵⁾.

2- ثم إن هذه العبارة تروى عن علي⁽⁶⁾ -كرم الله وجهه- أنه قال لقاص: «أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلك»⁽⁷⁾. ويُقصد بذلك الاصطلاح العام عند

⁽¹⁾ -انظر هذا البحث: مطلب منهج عبد الكريم الخطيب في تعيين وجه البيان بين الناسخ والمنسوخ، ص 125 وما بعده وتفسيره للنصوص الثلاثة التي استدلل بها على وجود النسخ -كما قال-، ص 142 وما بعده

⁽²⁾ -كتبت في التفسير القرآني للقرآن: كثر، انظر: 123/1.

⁽³⁾ -المصدر السابق.

⁽⁴⁾ -المصدر السابق.

⁽⁵⁾ -مجموع الفتاوى: 273/13.

⁽⁶⁾ -علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، ت 40هـ. انظر: الاستيعاب:

1089/3.

⁽⁷⁾ -انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام المروزي: الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن. تحقيق: محمد بن صالح المديفر، ط 1، مكتبة الرشد: الرياض، 1990م. ذكره في باب فضل علم ناسخ القرآن ومنسوخه وتأويل النسخ في التزييل والآثار، ص 4. وتروى أيضا عن ابن عباس: المصدر نفسه، ص 5.

السلف ولذلك «قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ»⁽¹⁾.

ب- قوله «وهكذا يعدّون الآيات المنسوخة والناسخة في إحدى وسبعين سورة من القرآن الكريم»⁽²⁾، وفي ذلك نظر:

1- لأنّ هذا القول غير وارد في المصدر⁽³⁾ الذي صرّح بالنقل منه⁽⁴⁾.

2- بل هو استنتاج⁽⁵⁾ لا يوافق ما ختم به صاحب ذلك القول حديثه الإجمالي عن الناسخ والمنسوخ، حيث قال: «إذا علمت ذلك: فقد خرج من الآيات التي أوردتها المكثرون الجهم الغفير... وبقي ما يصلح لذلك عدد يسير. وقد أفردته بأدلّته في تأليف لطيف، وها أنا أورده هنا محرراً... فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة، على خلاف في بعضها، لا يصح دعوى النسخ في غيرها»⁽⁶⁾.

فهذا نقل مبتور، لا يوافق مقصود صاحبه من المعنى الكلي الذي اقتطع منه.

ج- فإذا كان التعامل مع المصطلح فيه نظر، وكان الاستشهاد بأقوال العلماء فيه

(1)- الإتيان: ص 517.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 124/1.

(3)- أي الإتيان للسيوطي.

(4)- فقد وثقه في الهامش على أنه من «الإتيان في علوم القرآن للسيوطي جزء 2 ص 21». انظر التفسير القرآني للقرآن: 124/1.

(5)- لما قاله السيوطي في الإتيان ص 520 عن سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ، وهذا القول جزء من بحث.

(6)- الإتيان: ص 522-526. وانظر أيضا ما يقوله عبد الكريم الخطيب في تفسيره 125/1، موثقا من البرهان للزركشي، وقارنه بما جاء في البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث: القاهرة، 2006م، ص 355-356. ففي ذلك نظر. قال الزركشي: «القول بآل نسخ في القرآن: يرى عدد قليل من العلماء أن النسخ في القرآن ليس نسخا بمعنى إزالة الحكم، كما ذهب إلى ذلك القائلون بالنسخ.. وإنما هو نسأ وتأخير، أو يحمل آخر بيانه، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره، أو مخصوص من عموم، أو حكم عام لخاص، أو لمداخلة معنى في معنى. وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا -أي القائلون بالنسخ- أن هذا نسخا، وليس به، وإنه -أي القرآن- الكتاب المهيمن على غيره، وهو نفسه متعاقد»، وهذا القول الذي ينقله من البرهان كما قال، ختم به الزركشي حديثه عن النسخ تحت عنوان "فائدة": «قيل في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: 106]، ولم يقل: من القرآن، لأنّ القرآن ناسخ مهيمن على كل الكتب، وليس يأتي بعده ناسخ له وما فيه من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل، بين الله ناسخه عند منسوخه...» ص 356. وانظر ما جاء فيه عن النسخ نحو قوله: «الصحيح جواز النسخ ووقوعه سمعا وعقلا» ص 348. وقوله: «لا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب» ص 349.

نظر. فماذا يقال عن المنهج المتبع؟ ثم إنّ الاستشهاد بأقوال العلماء الذين حققوا هذه المسألة المذكور في هذا الكتاب، في أكثر من موضع كابن تيمية والشاطبي، لماذا لم ينقل ذلك عنهم؟ أهو حديث عن ظهر قلب؟ ففي حديثه ذلك نظر. أم هو نقل من مصادر معينة -بدليل التوثيق الذي ذكر لذلك النقل-، ففي الاعتماد على تلك المصادر نظر أيضا.

أيّا كان الأمر، مثل هذا الصنيع لا ينبغي الوقوع فيه.

الخلاصة:

من خلال إلقاء الضوء على مسألة تفسير النص القرآني بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب، وعلى مسألة مدى مطابقة انتقاده للتفسير مع الواقع، ثم على مسألة ضرورة التزام ما هو من المسلم بالالتزام به، بات من الضروري تخصيص:

مسألة تفسير القرآن بالقرآن عنده بالدراسة النقدية، وذلك عقب تقديم تحليل لمنهجه في التفسير ومنهجه في الانتقاد لتفسير غيره، ولذلك قسمنا هذا البحث إلى بابين:

الباب الأول:
التفسير القرآني للقرآن
لعبد الكريم الخطيب
- دراسة تحليلية للمنهج -

الفصل الأول:

نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير

تمهيد:

يتميز "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب بكثرة التصريح فيه بمخالفة المفسرين في بيان معنى النص القرآني، والسبب في هذه المخالفة -كما يقول- يعود إلى المنهج المتبع في التفسير، حيث يُعتمد في تفسير النص عموماً على النقل عن المعصوم وعن غيره، وهذا الصنيع في رأيه؛ يجب أن يكون تبعاً لما يدل عليه النص القرآني، فإذا وافق معناه أخذ به، وإذا عارضه رده أو توقف عنده؛ لأن المنهج الصحيح في تفسير القرآن إنما يكون بتفسير القرآن بالقرآن -بمعناه العام-، والطريق إلى ذلك هو التدبر والنظر، ثم تسجيل ما يدل عليه النص، سواء اكتفى به عند البيان أم احتجج في ذلك إلى السياق القرآني.

وحيثما تتبع عملية تفسيره للقرآن، تجده يعود إلى النقل ويستشهد -أو يعضد- بالأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة، ويستعين بأسباب النزول واللغة، ويذكر أقوال السلف والخلف وغير ذلك، وهذا الاستشهاد مشروط بموافقة ما يوصله إليه تدبره للنصوص، لذلك لا تلاحظ التزامه بطريقة معينة عند الرجوع إلى النقل، بل الراجح أنه يسجل ما يحضره من ذلك عند التدبر، بدليل الاستقراء لعملية التفسير من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وثمما كما قال: «إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير»⁽¹⁾.

ولمعرفة هذه الميزة والتي سميت في البحث بنقد عبد الكريم الخطيب للتفسير، نحاول تلخيص منهجه في التعامل مع النقل، من خلال أربع مسائل مهمة وهي: الأحاديث النبوية وأسباب النزول ثم اللغة والتراث، ضمن مبحثين يسبقهما مبحث ضروري يعرفنا بهذا الكتاب "التفسير القرآني للقرآن".

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 11/1.



المبحث الأول:

التعريف بالتفسير القرآني للقرآن

"التفسير القرآني للقرآن" هو كتاب معاصر في تفسير القرآن الكريم لعبد الكريم الخطيب، كما سنعرف تفصيل ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بعبد الكريم الخطيب:

أولاً: من هو عبد الكريم الخطيب:

عبد الكريم الخطيب هو عبد الكريم محمود يونس الخطيب، ولد سنة 1910م⁽¹⁾ بالصوامعة مركز طهطها بمحافظة سوهاج بالقاهرة⁽²⁾. وتخرج من دار العلوم سنة 1937م، وحصل على الدراسات العليا عام 1940م.

اشتغل بالتدريس ثم عمل بوزارة الأوقاف كمدير لمكتب وزير الأوقاف⁽³⁾. واعتقل مع مجموعة من كبار موظفيها⁽⁴⁾.

يوصف بالأستاذ والمفكر الإسلامي الكبير، والباحث⁽⁵⁾ والعالم الملهم الذي أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات الإسلامية، وذلك لإعلان كلمة الحق⁽⁶⁾. وعده الخالدي من أعلام المفسرين في العصر الحديث من داخل مصر⁽⁷⁾.

توفي عام 1985م⁽⁸⁾، وترك بنتاً واحدة اسمها "هناء"⁽⁹⁾.

ثانياً: مؤلفات عبد الكريم الخطيب:

تفرغ عبد الكريم الخطيب للتأليف سنة 1949 م في المسائل الدينية⁽¹⁰⁾، وله أكثر من

(1) - إتمام الأعلام: ص 249. المفسر معاصر ولم أتمكن من الحصول على ترجمة مفصلة لحياته.

(2) - مجلة الفيصل، لحة عن عبد الكريم الخطيب، العدد 99، رمضان 1985م، ص 51.

(3) - المصدر السابق .

(4) - إتمام الأعلام: ص 249.

(5) - مجلة الفيصل: ص 5 وإتمام الأعلام: ص 249 .

(6) - عبد الكريم الخطيب: الله والإنسان - قضية الألوهية بين الفلسفة والدين -، دار الفكر العربي، الورقة الأخيرة من الكتاب غير مرقمة.

(7) - انظر: تعريف الدارسين بمنهج المفسرين: ص 569.

(8) - إتمام الأعلام: ص 249.

(9) - كما قال في "التفسير القرآني للقرآن": 16/1754.

(10) - مجلة الفيصل: ص 51.

خمسين⁽¹⁾ أو ستين مؤلفاً⁽²⁾ نذكر منها:

* سلسلة من قضايا القرآن: فيها ثلاثة كتب:

1- الحدود في الإسلام - حكمتها وأثرها في الأفراد والجماعات والأمم - دط، دار الفكر العربي. 120 ص.

2- القرآن: نظم، جمعه، ترتيبه، دط، دار الفكر العربي، 229 ص.

3- مشيئة الله ومشية العباد، دط، دار الفكر العربي، 144 ص.

* سلسلة قضية الألوهية بين الفلسفة والدين: فيها كتابان:

4- الله ذاتا وموضوعا. ط3، دار الفكر العربي. 1983 م، 474 ص.

5- الله والإنسان. دط، دار الفكر العربي. 501 ص.

6- قضية فلسطين - رأي الإسلام فيها وموقف المسلمين منها - دط، دار الفكر العربي، دار التأليف بمصر. 157 ص.

7- التعريف بالإسلام - في مواجهة العصر الحديث وتحدياته - ط1، دار الفكر العربي. 328 ص.

8- الإنسان في القرآن الكريم - من البداية إلى النهاية - ط1، دار الفكر العربي، 1979 م. 491 ص.

9- إعجاز القرآن - الإعجاز في دراسات السابقين - دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها - ط1، دار الفكر العربي. 1974 م، 511 ص.

10- النبي محمد ﷺ - إنسان الإنسانية ونبى الأنبياء - ط2، دار الفكر العربي، دار الإتحاد العربي، 1976 م، 464 ص.

11- عمر بن الخطاب⁽³⁾ - الوثيقة الخالدة للدين الخالد - دراسة كاشفة وعبرة بالغة - ط1، دار الفكر العربي، 1978 م، 486 ص.

12- القصص القرآني في منطق ومفهومة، مع دراسة تطبيقية لقصتي: آدم

(1) - إتمام الأعلام: ص 249.

(2) - مجلة الفيصل: ص 5، 51.

(3) - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبو حفص العدوي الفاروق، وزير رسول الله ﷺ ومن أيد الله به الإسلام وفتح به الأمصار، ت23هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 1/5.

ويوسف. دط. دار المعرفة، 494 ص.

13- دهبين المحسين أبو العلاء المعري بين الإيمان والإلحاد - دراسة أدبية اجتماعية دينية

فلسفية - دط، دار الفكر العربي، 128 ص.

14- المهدي المنتظر.. ومن ينتظرونه، ط1، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية. 1980م، 119 ص.

15- مقال عنوانه "الإسلام وما يُفتى عليه" مجلة الأزهر، مشيخة الأزهر. جمادى الأولى 1384هـ أكتوبر 1964م، ص280-287.

ومؤلفات أخرى نحو:

مسلمون وكفى، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، السياسة المالية، الشيطان والإنسان، الخلافة والإمامة في الإسلام، علي بن أبي طالب، محمد بن عبد الوهاب⁽¹⁾، الدعاء المستجاب، في طريق الإسلام، من الحقل الإسلامي، نشأة التصوف في الإسلام، الأدب الصوفي في مفهوم جديد، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، اليهود في القرآن، الإعجاز في مفهوم جديد⁽²⁾، وتفسير للقرآن الكريم أسماه "التفسير القرآني للقرآن" وهو موضوع هذا البحث.

المطلب الثاني: التعريف العام بكتابه "التفسير القرآني للقرآن":

يبدو أن عبد الكريم الخطيب قد بدأ تفسير القرآن الكريم، سنة 1386هـ الموافق لـ 1967م كما يفهم من مقدمة الكتاب⁽³⁾، وأنها بتاريخ: 19 جمادى الأولى 1390هـ الموافق لـ 23 يوليو 1970م حسب تصريحه عقب تفسير سورة الناس⁽⁴⁾.

وقد تولت مطبعة "السنة المحمدية" بالقاهرة طبع وإخراج هذا التفسير، ونشره الأستاذ

(1) - محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد راشد بن يزيد التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ت 1206هـ. انظر: معجم المفسرين: 571/2.

(2) - أنظر مثلاً: إتمام الأعلام: ص 249 - 250، كتابه "الله والإنسان"، دار الفكر العربي، الورقة الأخير - دون ترقيم -، كتابه "من قضايا القرآن" القرآن نظمته جمعه، ترتيبه، دار الفكر العربي: الورقة الأخيرة.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 12/1.

(4) - المصدر السابق: 1753/16.

"محمد محمود الخضري" صاحب دار الفكر العربي، سنة 1970م - كما قال-⁽¹⁾.

والطبعة التي مجوزتي⁽²⁾ تتكون من خمسة مجلدات: تحوي ست عشرة كتابا: كل كتاب يتضمن تفسير جزأين من أجزاء القرآن الكريم، ماعدا الكتابين الخامس عشرة والسادس عشرة:

أما المجلد الأول: فيتضمن ثلاثة كتب:

- الكتاب الأول يشتمل على: مقدمة، ثم كلمة بعنوان "دراسات حول القرآن"⁽³⁾ ثم تفسير سورة الفاتحة وتفسير 252 آية من سورة البقرة. عدد صفحاته 312 ص.
- الكتاب الثاني يشتمل على تفسير: باقي آيات سورة البقرة، سورة آل عمران، 23 آية من سورة النساء. عدد صفحاته إلى 736 ص.
- الكتاب الثالث يشتمل على تفسير: باقي آيات سورة النساء، 81 آية من سورة المائدة، وفهرس للموضوعات والمباحث التي وردت في هذا المجلد. عدد صفحاته إلى 1158 ص

وأما المجلد الثاني: فيتضمن:

- الكتاب الرابع ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة المائدة، سورة الأنعام، 87 آية من سورة الأعراف. عدد صفحاته 427 ص.
- الكتاب الخامس ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة الأعراف، سورة الأنفال، 92 آية من سورة التوبة. عدد صفحاته إلى 868 ص.
- الكتاب السادس ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة التوبة، سورة يونس، سورة هود، 52 آية من سورة يوسف، وفهرس لموضوعات الكتاب. عدد صفحاته إلى 1288 ص.

⁽¹⁾ -المصدر السابق: 1756/16. والظاهر أن هذا التفسير لم يطبع ولم ينشر إلا من طرف هذه الجهة -هذا ما أسفر عنه البحث-

⁽²⁾ -قلت ذلك؛ لأنه قبل اقتناء هذه الطبعة، تعرفت على هذا التفسير في طبعة من ثمانية مجلدات، كل مجلد فيه أربعة أحزاب، عدا المجلد الرابع الذي تضمن تفسير الحزبين (29-30) من القرآن الكريم، وهذه الطبعة موجودة بمكتبة الطلبة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة- سنة 2007م.

⁽³⁾ -يذكر فيها: السور المكية ثم السور المدنية ثم عدد آيات وكلمات وحروف القرآن. أنظر التفسير القرآني للقرآن : 16-13/1.

والمجلد الثالث: يتضمن:

- الكتاب السابع ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة يوسف، سور: الرعد، إبراهيم، النحل، وفهرس للموضوعات. عدد صفحاته 403 ص.
- الكتاب الثامن ويشتمل على تفسير سور: الإسراء، الكهف، مريم، طه. عدد صفحاته إلى 844 ص.
- الكتاب التاسع ويشتمل على تفسير سور: الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، 20 آية من سورة الفرقان. وفهرس لبعض موضوعات هذا المجلد، عدد صفحاته إلى 1373 ص.

والمجلد الرابع: يتضمن:

- الكتاب العاشر ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة الفرقان، سور: الشعراء، النمل، القصص، 45 آية من سورة العنكبوت، وفهرس للموضوعات. عدد صفحاته إلى 438 ص.
- الكتاب الحادي عشرة ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة العنكبوت، سور: الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ، فاطر، 27 آية من سورة يس، وفهرس للموضوعات. عدد صفحاته إلى 921 ص.
- الكتاب الثاني عشرة و يشتمل على تفسير: باقي آيات سورة يس، سور: الصافات، ص، الزمر، غافر، 46 آية من سورة فصلت، وفهرس للموضوعات. عدد صفحاته إلى 1335 ص.

أما المجلد الخامس: فيتضمن:

- الكتاب الثالث عشرة ويشتمل على تفسير: باقي آيات سورة فصلت، سور: الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، محمد، الفتح، الحجرات، ق، 30 آية من سورة الذاريات، وفهرس للموضوعات، عدد صفحاته 519 ص.
- الكتاب الرابع عشرة ويشتمل على تفسير باقي آيات سورة الذاريات، ثم من سورة الطور إلى سورة التحريم، وفهرس للموضوعات، عدد صفحاته إلى 1039 ص.

- الكتاب الخامس عشرة ويشتمل على تفسير: سور الجزء التاسع والعشرين من أجزاء القرآن؛ أي من سورة الملك إلى سورة المرسلات، عدد صفحاته إلى 1408 ص.
- الكتاب السادس عشرة ويشتمل على تفسير سور الجزء الثلاثين من أجزاء القرآن، أي من سورة النبأ إلى سورة الناس. ويختم بدعاء وكلمة ثم شكر لكل من ساهم في إخراج هذا التفسير. بعد ذلك يذكر: فهرس موضوعات هذا الكتاب، تصويب الأخطاء، فهرس الموضوعات والمباحث والقضايا التي عالجها هذا التفسير، فدعاء، ثم ذكر لبعض مؤلفات عبد الكريم الخطيب. عدد صفحاته إلى 1768 ص.

أما الرواية التي اتبعها في ذكر القرآن فهي رواية حفص.

المطلب الثالث: طريقة عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن:

يمكن تلخيص المنهج العام المتبع في تفسير القرآن الكريم في هذا الكتاب، أو بالأحرى طريقة عبد الكريم الخطيب عند التفسير في ثلاثة أمور:

أولاً: الخطوات التي يتبعها عبد الكريم الخطيب في تفسير السورة القرآنية:

الخطوة الأولى: التعريف بالسورة القرآنية:

يذكر عبد الكريم الخطيب في هذا التعريف: اسم أو أسماء السورة، مكية أو مدنية، عدد آياتها، عدد كلماتها، عدد حروفها، ووجه مناسبتها للسورة التي سبقتها-هذا بصفة عامة-، وهذه أمثلة:

1- قبل تفسير سورة آل عمران قال:

سورة آل عمران

اسمها: سورة آل عمران، ومن أسمائها "الزهاء" وتسمى هي والبقرة الزهراوين

نزولها: نزلت بالمدينة. بعد البقرة والأنفال.

عدد آياتها: مائتا آية.

عدد كلماتها: ثمانون وأربعمئة وثلاثة آلاف كلمة.

عدد حروفها: 14525 حرفاً⁽¹⁾.

2- قبل تفسير سورة الأحزاب قال:

سورة الأحزاب

نزولها: مدنية

عدد آياتها: ثلاث وسبعون آية.

عدد كلماتها: ثمانون ومائتان وألف كلمة.

عدد حروفها: ست وستون وسبع مائة وخمسة آلاف حرفاً.

مناسبتها لما قبلها: مع أن سورة الأحزاب مدنية والتي قبلها مكية ومع الفاصل الزمني الممتد بينهما، فقد اتصلت السورتان بعضهما ببعض حتى ولكأنهما سورة واحدة. وهذا مما يدل على أن ترتيب السور في المصحف توقيفي كترتيب الآيات في السور⁽²⁾.

3- قبل تفسير سورة المطففين قال:

سورة المطففين

نزولها: نزلت بمكة، بعد العنكبوت، وهي آخر ما نزل بمكة وقيل أول ما نزل بالمدينة

عدد آياتها: ست وثلاثون آية.

عدد كلماتها: تسع ومائة كلمة.

عدد حروفها: ثلاثون وأربعمائة حرفاً.

مناسبتها لما قبلها: أجملت سورة الانفطار مصير الفجار، ومصير الأبرار، فجاءت سورة المطففين مفصلة شيئاً من هذا المصير⁽³⁾.

الخطوة الثانية: تجزيء السورة عند التفسير:

⁽¹⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 393/2.

⁽²⁾ -المصدر السابق: 632/11 بتصرف.

⁽³⁾ -المصدر السابق: 1486/16 بتصرف.

الملاحظ أن عبد الكريم يفسر السورة القرآنية:

1- إما بعد ذكره لها مقطعا مقطعا، ومثال ذلك تفسيره لسورة البقرة حيث: ذكر المقطع الأول: ﴿الْم﴾⁽¹⁾ ثم فسره⁽²⁾ ثم ذكر المقطع الثاني ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾، ثم فسره⁽⁴⁾،...، ثم ذكر المقطع الخامس ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾ ثم فسره⁽⁶⁾ وهكذا إلى نهاية السورة.

2- وإما بعد ذكره للسورة كاملة، ثم يفسرها مقطعا مقطعا، ومثال ذلك تفسيره لسورة الانشقاق⁽⁶⁾.

ثانيا: التفسير أو المعنى الذي يسجله للنص القرآني:

يعتمد عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني على القرآن ذاته، كما صرح وكما يبدو لمن يتتبع تفسيره؛ حيث يسجل المعنى الذي يوصله إليه تدبره وتأمله للنص، ويصف ذلك المعنى بالتفسير القرآني له أو المعنى الذي دل عليه النص، سواء استعان بالقرآن عند البيان أم لا. ولذلك تجده لا يلتزم بذكر ما ورد من نقل-عن المعصوم أو عن غيره- في تفسير النص، ما خلا النصوص التي لا يعلم بياها، إلا عن طريق النقل، بل وحتى هذه النصوص فيها شيء من التفصيل. وعدم التزامه؛ يجعل القارئ يبحث عن دليل ما يسجله من معاني للنصوص، خاصة وأن تفسيره هذا يتميز بكثرة مخالفة غيره من المفسرين على حد تصريجه، وبرّد بعض الروايات -أحاديث وأسباب نزول وغير ذلك من النقل- التي اعتمدت في تفسير نصوص قرآنية، بسبب تعارضها والمعنى الذي تدل عليه كما يقول، وهذه أمثلة:

(1)- الآية 1 .

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 1/23-25

(3)- الآية 2.

(4)- المصدر السابق: 1/25-26

(5)- المصدر السابق: 1/31-32.

(6)- المصدر السابق: 16/1500-1510

أ- يقول عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽¹⁾:
«الصراط المستقيم: هو الطريق القائم على الحق والعدل، الموصل إلى الخير والفلاح، لا يضل سالكه ولا تتعثر له قدم فيه»⁽²⁾.

ب- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁽³⁾ يقول: «هذا بيان للصراط المستقيم ولأهله، الذين أنعم الله عليهم، فهداهم إليه، وأقامهم عليه، ثم بيان آخر للصراط المستقيم وهو صراط لا يسلكه المغضوب عليهم الذين مكروا بآيات الله وكفروا بنعمه..

والمغضوب عليهم هم اليهود، وقد صرح القرآن في غير موضع وفي أكثر من آية، بأنهم مغضوب عليهم من الله، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾⁽⁴⁾ (60: المائدة) وليس وصف اليهود بالمغضوب عليهم مانعا من إطلاق الوصف على كل من غضب الله عليه فحاد عن الطريق المستقيم»⁽⁴⁾.

ج- بعد ذكر قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽⁵⁾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾⁽⁶⁾ يقول: «كانت غزوة بدر أول موقف وقفه المسلمون إزاء الغنائم التي وقعت لأيديهم من يد أعدائهم في ميدان القتال.. ولهذا اضطربت مشاعر المسلمين فيها، واختلفت أنظارهم عليها... فمن قائل... ومن قائل... ومن قائل... ومن قائل... ولهذا جاءت كلمة الفصل من السماء... تلك هي كلمة الله، وهذا هو قضاءه...

(1)- سورة الفاتحة: الآية 6.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 19/1.

(3)- سورة الفاتحة: الآية 7.

(4)- التفسير القرآني للقرآن: 20/1.

(5)- سورة الأنفال: الآية 1.

(6)- سورة الأنفال: الآية 4.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽¹⁾»⁽²⁾.

د- يذكر سورة الفيل كاملة ثم يقول: «فيما يحدث به التاريخ، وتتوارد عليه الأخبار الصحيحة، تلك الحادثة التي تسمى حادثة الفيل، والتي أرخ بها العرب الجاهليون، كما كانوا يؤرخون بالأحداث العظيمة... فاتخذوا عام الفيل مرحلة من مراحل التاريخ عندهم. وحادثة الفيل- كما تروي كتب التاريخ والسير- كانت عام ميلاد النبي ﷺ»⁽³⁾ ويذكر القصة ثم يقول: «والقرآن الكريم، لا يشير إلى هذا الداء داء الجدري... وإنما يتحدث عن طير أبايل، رمت القوم بحجارة من سجيل، فجعلتهم كعصف مأكول، كما يقول سبحانه: ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾⁽⁴⁾»⁽⁵⁾ ويفسر السورة مقطعا مقطعا منتقدا تفسير الآيات بغير ما تدل عليه؛ كحقيقة الحجارة.

ثالثا: جمع أجزاء المسألة القرآنية عند تفسيرها:

كثيرا ما يسلك عبد الكريم الخطيب طريق الاستقراء -حسب الظاهر- لبيان المسألة القرآنية التي تذكر في أكثر من موضع من القرآن:

أ- سواء بعقد فصل معنون لبحث تلك المسألة نحو: صنيعه عقب تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽⁶⁾ حيث عقد فصلا بعنوان "الجن.. إبليس.. الشيطان" يبحث فيه هذه المسألة من خلال القرآن فيقول مثلا: «سجد الملائكة كلهم أجمعون.. إلا إبليس! ومن إبليس هذا؟ ورد في القرآن الكريم وفي أكثر من موضع ذكر إبليس، والشيطان، والجن، على أنها قوى خفية.. وإبليس والشيطان، يذكران دائما في معرض التحذير منهما»⁽⁷⁾.. ويذكر "إبليس" وحده في مقام دعوة الملائكة

(1)- سورة الأنفال: الآية 1.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 557/5-559.

(3)- المصدر السابق: 16/1676-1677.

(4)- سورة الفيل.

(5)- التفسير القرآني للقرآن: 16/1678.

(6)- سورة البقرة: الآية 34.

(7)- المصدر السابق: 1/54.

للسجود لآدم وامتناعه هو عن السجود⁽¹⁾... وفي هذا يقول تعالى⁽²⁾... ويتحدث القرآن في ثمانية وستين موضعاً عن الشيطان بلفظ المفرد "الشيطان"⁽³⁾ وفي أحد عشر موضعاً بلفظ الجمع "الشياطين"⁽⁴⁾... ويواصل بحث المسألة من خلال القرآن كما يصرح⁽⁵⁾ إلى أن يصل إلى النتيجة فيقول: «فإبليس كان من عالم الجن، ثم نزل إلى "إبليس" ثم تحول من إبليس إلى شيطان»⁽⁶⁾.

ب- أو عند تفسيره للنص القرآني؛ حيث يفسره على هذا المنوال، ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽⁷⁾ من سورة آل عمران: «يستعمل القرآن الكريم "التأويل" للأمور الخفية الغامضة...»⁽⁸⁾ ويذكر آيات من القرآن فيها ذكر لهذا اللفظ ويفسرهما⁽⁹⁾ ثم يختم بقوله: «هذا ما ورد في القرآن الكريم من لفظ "التأويل" وهو في جميع موارد لم يستعمل إلا في الكشف عن أمور غامضة»⁽¹⁰⁾.

(1)- المصدر السابق: 55/1.

(2)- ويذكر آيات قرآنية.

(3)- وهذا العدد يوافق ما ذكره عبد الباقي (محمد فؤاد) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط4، دار المؤيد، دار الفكر: بيروت، 1997م، ص 485-486.

(4)- التفسير القرآني للقرآن: 56/1. أما صاحب المعجم المفهرس فقال عددها 16 بهذا اللفظ "الشياطين". انظر: ص 486. فهل يعود ذلك إلى المعنى لهذه الكلمة أم ماذا؟.

(5)- التفسير القرآني للقرآن: 56/1-58.

(6)- المصدر السابق: 58/1.

(7)- الآية 7.

(8)- التفسير القرآني للقرآن: 399/2.

(9)- المصدر السابق: 399/2-401.

(10)- المصدر السابق: 401/2. وفي قوله: «هذا ما ورد في القرآن من لفظ "التأويل"» نظر. لأن الآيات التي ذكرها تتعلق بالتأويل الذي أوتي موسى والعبد الصالح -سورة يوسف وسورة الكهف- بينما باقي المواضع لم يذكرها، وأقل ما يلاحظ أنه لم يستقرأ عدد المواضع التي ذكر فيها هذا اللفظ. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ص 124. وانظر ما قاله ابن تيمية مثلاً: «التأويل في سورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا، والتأويل في الأعراف ويونس تأويل القرآن، وكذلك في سورة = آل عمران... وفي قصة موسى والعالم... تأويل الأفعال التي فعلها العالم... فهو تأويل عمل لا تأويل قول...». مجموع الفتاوى: 291/13. وهذه إشارة من تفصيل في مسألة التأويل: ص 274-295.

والمطلع على التفسير القرآني للقرآن يجد الكثير من المسائل والموضوعات التي يبحثها عبد الكريم الخطيب على هذا المنوال⁽¹⁾.

أما ما جرت عليه العادة في التفسير من انطلاق المفسر، من سبب نزول الآية أو تفسير الغامض من ألفاظها، أو ما يُروى من أخبار في تفسيرها، فالملاحظ أن عبد الكريم الخطيب له تعامل مغاير لما عهدناه عند غيره، وهذا ما سنراه في البحث لاحقاً.

المطلب الرابع: المصادر التي اعتمدها عبد الكريم الخطيب في التفسير:

الراجح أن عبد الكريم الخطيب لم يعتمد في تفسير القرآن الكريم على مصادر معينة، وإنما اعتمد على ما يوصله إليه تدبره وتأمله للنص القرآني ذاته، وهذا ما صرح به في مقدمة التفسير وفي عدة مواضع منه.

والمتبع له وهو يفسر القرآن الكريم يلاحظ ذلك، ويتأكد من مطابقة قوله لعملية التفسير؛ ولذلك تجده لا يصرح بجهة معينة وهو يفسر القرآن الكريم في الحالتين؛ حالة المخالفة وحالة الاستشهاد بما قاله العلماء والمفسرون، بل يستعمل عبارات عامة نحو: المفسرون، أكثر المفسرين، بعض المفسرين، العلماء.

أما المصادر والمراجع التي صرح بذكرها في ثنايا التفسير القرآني للقرآن؛ فقد كان يرجع إليها رجوع استشهاد وتعصيد، أو رجوع انتقاد، لا رجوع اعتماد. وهي مصادر متنوعة ومختلفة، وتجده يذكر المصدر وصاحبه تارة، وأخرى يذكر المصنف فقط، وثالثة ييهم كأن يقول "مشيخة

(1) - أنظر مثلاً: آدم وجنته: 59/1. الشجرة التي أكل منها آدم: 72/1.

كلام المسيح في المهد: 449/2. القرآن والمسيح المصلوب: 968/3.

السماء والأرض في القرآن الكريم: 117/4. الخلق والجعل في القرآن الكريم: 122/4.

معنى الأيام الستة من خلال القرآن: 411/4. السمع والبصر في القرآن: 1001/6.

القضاء والقدر في القرآن: 672/8. التكرار في القصص القرآني: 96/10.

وغيرها كثير من المسائل والموضوعات والمصطلحات القرآنية التي يتناولها على هذا المنوال بالبحث. بل أن المسألة الواحدة قد يضيف إلى ما ذكره عند بحثها كلما ورد ذكرها في موضع آخر، انظر مثلاً بحثه مسألة خلق آدم في القرآن: 59/1،

94، 397/2، 480، 127/4، 167، 324، 371، 380، 508/5، 537، 988/6، 1162/7،

231/991... إلخ.

المفسرين" أو "أمهات كتب التفسير". بل وحتى انتقاده للمفسرين قد شمل فيما يبدو الجميع، نحو قوله: "قديما وحديثا" أو "كل المفسرين" أو "إجماع المفسرين". ومن المصادر التي ذكرها:

أولا: في التفسير وعلوم القرآن وما يتعلق بهما:

أ- الطبرسي⁽¹⁾، محمد عبده⁽²⁾، الرازي⁽³⁾، الطبري⁽⁴⁾، النسفي⁽⁵⁾، البيضاوي⁽⁶⁾، القرطبي⁽⁷⁾، ابن كثير⁽⁸⁾، الزمخشري⁽⁹⁾، الشوكاني⁽¹⁰⁾، ابن القيم⁽¹¹⁾، فريد وجدي⁽¹²⁾...

- (1)- التفسير القرآني للقرآن: 70/1، 76، 741/3، 1713/16-1714. والطبرسي هو الفضل بن الحسن بن الفضل أبو علي مفسر، لغوي، من كبار علماء الشيعة الإمامية ت 548هـ. انظر: معجم المفسرين: 420/1.
- (2)- التفسير القرآني للقرآن: 1420/16، 1429، 1468، 1616، 1636، 1657. ومحمد عبده هو بن حسن خير الله، من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، ومفتي الديار المصرية، ت 1323هـ. انظر: معجم المفسرين: 566/2.
- (3)- التفسير القرآني للقرآن: 150/1، 742/3، 744، 752، 997. والرازي هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه. فخر الدين، من ذرية أبي بكر الصديق عليه السلام، مفسر وإمام وقته في العلوم العقلية ت 606هـ. انظر: طبقات المفسرين: 213/2.
- (4)- التفسير القرآني للقرآن: 1014/12، 513/13-514.
- (5)- المصدر السابق: 742/3، 1018/9، 702/14. والنسفي هو عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، حافظ الدين، مفسر، متكلم، أصولي من فقهاء الحنفية ت 710هـ. انظر: معجم المفسرين: 304/1.
- (6)- التفسير القرآني للقرآن: 62/1، 405/8. والبيضاوي هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ت 685هـ. انظر: طبقات المفسرين: 242/1.
- (7)- التفسير القرآني للقرآن: 68/1، 1468/16. والقرطبي هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي المالكي أبو عبد الله. مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان ت 671هـ. انظر: طبقات المفسرين: 65/2.
- (8)- التفسير القرآني للقرآن: 149/1، 1014/12.
- (9)- المصدر السابق: 711/2، 1003/14. والزمخشري هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد العلامة أبو القاسم النحوي اللغوي المعتزلي المفسر، يلقب جارا لله، لأنه جاور بمكة زمانا ت 538هـ. انظر: طبقات المفسرين: 314/2.
- (10)- التفسير القرآني للقرآن: 1088/3. والشوكاني هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد، أبو عبد الله، فقيه أصولي محدث مفسر، من كبار علماء اليمن ت 1250هـ. انظر: معجم المفسرين: 593/2.
- (11)- التفسير القرآني للقرآن: 116/7. وابن القيم هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، الفقيه الحنبلي الأصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبو عبد الله ت 751هـ. انظر: طبقات المفسرين: 90/2.
- (12)- التفسير القرآني للقرآن: 755/5-756. وفريد وجدي هو محمد فريد بن مصطفى وجدي بن علي رشاد، كاتب إسلامي متمق بدراسة الإسلام وأصوله وتاريخه. وأحد مشاهير قادة الفكر في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، ت 1373هـ. انظر: معجم المفسرين: 602/2.

ب- ابن تيمية⁽¹⁾، البرهان⁽²⁾، الإتيقان⁽³⁾، الناسخ والمنسوخ⁽⁴⁾، بصائر ذوي التمييز⁽⁵⁾، الغزالي⁽⁶⁾، الشافعي التعريف بحقوق المصطفى⁽⁷⁾، الفوائد النورانية لابن القيم⁽⁸⁾، زاد المعاد⁽⁹⁾، الشافعي⁽¹⁰⁾، الشاطبي⁽¹¹⁾، وغيرها⁽¹²⁾.

ثانيا: في الفلسفة والاستشراق والديانات ومؤلفاته الخاصة:

أ- سقراط⁽¹³⁾، ديور⁽¹⁴⁾، رويس⁽¹⁵⁾، جون ستويرات⁽¹⁶⁾، مذهب النشوء والارتقاء⁽¹⁷⁾، أرسطو⁽¹⁸⁾، بوردن⁽¹⁹⁾، جوته⁽²⁰⁾، نيتشة⁽²¹⁾، بيلاطس⁽²²⁾، بارقليط⁽¹⁾،

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 373/2، 255/4، 277، 296، 1014/12، 744/14.

(2)-المصدر السابق: 125/1.

(3)-المصدر السابق: 124/1.

(4)-المصدر السابق: 743/3.

(5)-المصدر السابق: 405/8.

(6)-المصدر السابق: 283-284، 169/10.

(7)-المصدر السابق: 1014/12، 628/14.

(8)-المصدر السابق: 2/364، 366، 4/2، 14/293، 744.

(9)-المصدر السابق: 8/422، 165-166.

(10)-المصدر السابق: 5/735-194/7، 1225/9.

(11)-المصدر السابق: 7/342.

(12)-الراغب الأصفهاني، مغني اللبيب، الجاحظ، الإبريز، محمد إقبال، ابن خلدون، ابن هشام، وفيات الأعيان لابن خلكان، محمد

شاهين، مفتاح السعادة، مصطفى عبد الرزاق، الملل والنحل. انظر: تفسيره على الترتيب: 6/949، 9/1189، 1191، 19/25، 14/579، 3/1145، 6/1215-9، 1218، 9/892، 891-896، 11/819، 15/1332، 1/63، 73-74، 77، 4/285، 9/1190، 10/159-161، 8/422، 10/165، 4/92، 9/1332، 4/276، 4/277، 9/880.

(13)-المصدر السابق: 6/941، 9/1188.

(14)-المصدر السابق: 4/276.

(15)-المصدر السابق: 4/287.

(16)-المصدر السابق: 7/95-96.

(17)-المصدر السابق: 1/66.

(18)-المصدر السابق: 9/881.

(19)-المصدر السابق: 9/892.

(20)-المصدر السابق: 9/1188.

(21)-المصدر السابق: 10/236.

(22)-المصدر السابق: 14/758.

بيرنارد شو⁽²⁾، وليم جيمس⁽³⁾...

ب- الأناجيل والتوراة⁽⁴⁾.

ج- ومن مؤلفاته: السياسة المالية⁽⁵⁾، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل⁽⁶⁾، إعجاز القرآن⁽⁷⁾، القضاء والقدر⁽⁸⁾، النبي محمد ﷺ⁽⁹⁾، الدعاء المستجاب⁽¹⁰⁾، الله والإنسان⁽¹¹⁾، قضية الألوهية⁽¹²⁾.

وإذا كان التدبر والتأمل هو الطريق الذي يسلكه عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني، فلا بد وأن يكون تدبره هذا يستند إلى المرجعية الفكرية المعمول بها في تفسير القرآن، ولا بد وأن يكون ما يوصله إليه تدبره غير معارض لما صح تفسيره بالنقل عن الرسول ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم وعن السلف الصالح، هذا على أقل تقدير.

ولمعرفة ذلك نحاول فهم منهجه في التعامل مع الحديث وأسباب النزول ثم مع اللغة والتراث في المبحثين الآتين: الثاني و الثالث

(1)-المصدر السابق:924/14

(2)-المصدر السابق:167/10

(3)-المصدر السابق:884، 875/9، 288/4

(4)-سواء أناجيل أو أسفار، أنظر التفسير القرآني للقرآن:21/1، 215-216، 352/2، 448، 454، 457، 460، 461، 465، 471، 505، 820/3، 967، 973-975، 980-981، 985-986، 989-990، 1004، 1029-1030، 1055-1056، 1058، 1059، 7/4، 103، 77، 484/5، 586، 687، 495/5، 505، 654، 656، 395، 396/7، 580/8، 819-820، 880/9، 1088، 1142، 1284، 604/11، 620، 647، 821، 1013/12، 35/13، 79، 780/14، 797، 800، 921-922، 924-929، 1216-1217، 1377.

(5)-المصدر السابق:377/2.

(6)-المصدر السابق:473/2، 655/5، 1013/12.

(7)-المصدر السابق:66/1، 1191/6.

(8)-المصدر السابق:9/890، 10/376، 12/976

(9)-المصدر السابق:9/1132

(10)-المصدر السابق:12/1257

(11)-المصدر السابق:12/1166، 14/559

(12)-المصدر السابق:16/1721

المطلب الأول: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع السنة:

يعتمد عبد الكريم الخطيب على السنة النبوية في تفسيره للقرآن الكريم، وقد صرح بذلك في عدة مواضع من تفسيره، فضلاً عن دلالة المعاني التي يسجلها بعد التدبر على السنة، تصريحاً أو تلميحاً بصفة عامة.

لكن تصريح عبد الكريم الخطيب برد أحاديث نبوية رويت عند تفسير نصوص قرآنية، وتوقفه عند أحاديث أخرى بسبب تعارضها ومعاني تلك النصوص كما يقول، جعل احتمال عدم التطابق بين معنى النص القرآني الذي يسجله بعد التدبر، ومعنى الحديث الذي يعزز به ذلك التفسير وارداً⁽¹⁾. فكيف بالنصوص التي يكتفي بذكر أو بتسجيل ما يوصله إليه تدبره دون تصريح بأي دليل⁽²⁾.

إن منهج عبد الكريم الخطيب في تعامله مع السنة النبوية؛ قائم على أساس التدبر والنظر للنص القرآني، وحكم التفسير الذي يسجله في المواضع التي يصرح فيها بذكر ما جاء في السنة واضحاً. بينما يصعب معرفة وجه الصواب من عدمه في المواضع التي لا يصرح فيها بذكر ما جاء في السنة، فهل اعتمد في ذلك على السنة أم لا؟ هذا ما سيأتي بيانه:

أولاً: معنى النص القرآني هو الأصل في قبول أو رد الحديث النبوي:

يذكر عبد الكريم الخطيب بين الحين والآخر ما جاء في السنة وهو يفسر القرآن الكريم. والمواضع التي صرح فيها بذكر أحاديث نبوية عند التفسير تفوق الأربعمائة⁽³⁾ موضعاً؛ منها ما لا يقل عن اثنين وثلاثين موضعاً مخرجة. والمتتبع لتلك المواضع يلاحظ اختلاف سبب ذكر الحديث عند التفسير والظاهر أن السبب واحد من ثلاثة:

⁽¹⁾ - انظر مثلاً تفسيره للآية 55 سورة غافر والحديث الذي استشهد به بعد تسجيل معنى النص: 1248/12 - 1251 وقارنه بتفسير هؤلاء المفسرين: جامع البيان: 93/14/12، تفسير القرآن العظيم: 456/5، محاسن التأويل: 202/7 ففي ذلك نظر.

⁽²⁾ - انظر مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من سورة القيامة ص من هذا البحث.

⁽³⁾ - بما في ذلك أكثر من حديث تكرر ذكره، نحو "يولد المولود على الفطرة" ذكره في تفسيره: 515/5، 976/6، 101/7، 471/8، 759/14.

أ-الاعتماد على الحديث لأنه يبين النص القرآني، ومن أمثلة ذلك:

1-عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾⁽¹⁾ قال: «والأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، وقد بينها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في خطبته في حجة الوداع بقوله: «ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.. السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان»⁽²⁾»⁽³⁾.

2-وعند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾⁽⁴⁾ قال: «وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾⁽⁵⁾... وقد شرح الرسول الكريم، هذه الآية الكريمة في الحديث الشريف الذي يروى عن ابن مسعود⁽⁶⁾، قال: «خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: «هذه سبيل الله مستقيما» وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليها شيطان يدعو إليه» ثم تلا الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾⁽⁷⁾»⁽⁸⁾.

وقد يتساءل القارئ عن تفسير آية الأنعام بحديث الرسول ﷺ في غير موضعها من سورتها؛ والجواب كما يبدو بعد تأمل تفسير هذه الآية في مكانها؛ يتمثل في سبق تسجيل عبد الكريم الخطيب المعنى الذي يوصله إليه تدبره للنص ذاته، دون التزام بذكر ما جاء في المصادر الأخرى من تفسير. والذي سبق تسجيله هناك، يمكن وصفه أنه من قبيل ذكر الإجمال بعد

(1)-سورة التوبة: الآية 36.

(2)-صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: حجة الوداع، حديث رقم: 4406، رواه أبو بكر، 369/2.

(3)-التفسير القرآني للقرآن: 761/5-762.

(4)-سورة ق: الآية 5.

(5)-سورة الأنعام: الآية 153.

(6)-هو أبو عبد الرحمن عبد الله ابن أم الهذلي صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين الإمام العلامة الرباني،

ت32هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 13/1.

(7)-سورة الأنعام: الآية 153. وانظر الحديث عند أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب

كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر: 465/1.

(8)-التفسير القرآني للقرآن: 468/13.

التفصيل، أو قل هو تلخيص لما سبق بسطه؛ قال عبد الكريم الخطيب عند تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾»⁽¹⁾ هو تعقيب على تلك النواهي والأوامر التي أمر الله سبحانه النبي الكريم أن يتلوها على الناس. فهذه المأمورات وتلك المنهيات هي شريعة الله، وهي الصراط المستقيم»⁽²⁾ وبعد ذلك ختم بذكر الحديث السابق دون تصريح منه بأنه شرح للآية. فهل هذا المنهج هو المقصود من تسمية تفسيره " التفسير القرآني للقرآن"؟

ب- الاستشهاد بالحديث لأنه يعضد معنى النص القرآني:

حل المواضع التي ذكر فيها الأحاديث عند التفسير هي من هذا القبيل، وهذه أمثلة:

1- مما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بَإِثْمِي وَإِثْمُكَ﴾⁽³⁾: «يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار» قيل هذا القاتل.. فما شأن المقتول؟ قال: «كان حريصا على قتل صاحبه..»⁽⁴⁾ وهذا يعني أن جريمة القتل التي تقع نتيجة للصراع بين اثنين، هي جريمة مشتركة بينهما، وإثمها واقع عليهما معا.. يقتسمانه على السواء.. أما أن أحدهما كان البادئ المعتدي، والآخر المدافع الذي يدافع عن نفسه، فذلك له حكم آخر غير جريمة القتل التي وقعت»⁽⁵⁾.

2- في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ سَوْنٌ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾ قال: «من الخير للمسلمين أن يسكتوا عما سكنت الشريعة عنه، إلى أن تقول كلمتها فيه، أو تدعه فلا تقول شيئا عنه.. وفي هذا وذاك خير للمسلمين، ورحمة بهم، وإحسان إليهم... وفي هذا يقول

(1)- سورة الأنعام: الآية 153.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 347/4-348.

(3)- سورة المائدة: الآية 29.

(4)- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9] مسماهم

المؤمنين، حديث رقم 31، رواه أبو بكره عن الرسول ﷺ، 18/1.

(5)- التفسير القرآني للقرآن: 1077/3.

(6)- سورة المائدة: الآية 101.

الرسول الكريم: «ذروني ما تركتكم.. فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»⁽¹⁾»⁽²⁾.

3- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾⁽³⁾ قال: «جاء النهي باجتناب كثير من الظن... فإن مورد الظنون متهم، لأنه مورد يقوم عليه هوى النفس، ووساوس الشيطان.. وفي الحديث: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»⁽⁴⁾. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽⁵⁾ إشارة إلى أن بعض الظن، هو الذي يقع تحت حكم المنهي عنه، لأنه إثم، إذ كان قائما على باطل، وفي الحديث: «إذا حسدت فاستغفر، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض»⁽⁶⁾»⁽⁷⁾.

4- عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁸⁾ قال: «فهذه الآية والآيات التي بعدها إلى آخر السورة، قد [خلصت]»⁽⁹⁾ لذكر بعض أسماء الله سبحانه وتعالى، وصفاته»⁽¹⁰⁾ وبعد تفسيرها قال: «وقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من هذه الأسماء المباركة لله وصفاته وهي متفرقة في آيات الكتاب الكريم، وقد جمعها الحديث الشريف في تسعة وتسعين اسما... روى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن

(1)- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم 1337، رواه أبو هريرة رضي الله عنه، 84/5.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 52/4-53.

(3)- سورة الحجرات: الآية 12.

(4)- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12] حديث رقم 6066. رواه أبو هريرة رضي الله عنه، 151/3.

(5)- سورة الحجرات: الآية 12.

(6)- المتأوي محمد عبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الصغير ط2، دار الفكر، 1972م، حديث رقم 563، 330/1 رواه أبو هريرة بلفظ آخر.

(7)- التفسير القرآني للقرآن: 450/13.

(8)- سورة الحشر: الآية 22.

(9)- في التفسير القرآني للقرآن كتبت "خلصت" انظر: 881/14.

(10)- التفسير القرآني للقرآن: 881/14.

لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»⁽¹⁾ والأسماء الحسنى كما أحصاها العلماء هي»⁽²⁾ ويذكرها كاملة.

ج- الإعراض عن الحديث الذي يتعارض ومعنى النص القرآني :

يصرح عبد الكريم الخطيب في عدة مواضع من "التفسير القرآني للقرآن" بتقديم معنى النص القرآني على ما يروى من حديث نبوي في تفسيره؛ بسبب التعارض بينهما. وملخص ما صرح به يدور حول أمرين :

1- بيان علة عدم الأخذ بهذه الأحاديث:

فهو يرى أن بعض الأحاديث تنسب إلى الرسول ﷺ كذبا، بدليل تعارضها ومعنى النصوص التي تساق عند تفسيرها، ويشير إلى أن المتأمل في هذه الأحاديث، يلاحظ تضاربا وتناقضا بين الروايات التي تذكر عند تفسير النص القرآني، ثم إن هذه الأحاديث ليس لها علاقة بالعقيدة ولا بالشرعية بصفة عامة نحو ما قاله:

* في معرض حديثه عن الإسراء والمعراج: «وقد رويت عن الرسول ﷺ أحاديث عن المعراج... وليس في الأحاديث-إن صحت- ما يتصل بالعقيدة، أو يضاف إلى الشريعة، ولكن الذي يقرأ القصص التي صورت فيها رحلة المعراج، يجد فيها كثيرا من الدس، والكذب، والتلفيق! ولليهود هنا، في هذه القصة، دور كبير في دس الأخبار، وتلفيق الأحاديث»⁽³⁾.

* عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾⁽⁴⁾ أشار إلى أن المفسرين وهم يشرحون القول عن الدابة «يذكرون لذلك أحاديث تنسب إلى النبي ﷺ... وعشرات من الأخبار، والأحاديث، غير

(1)- صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والتثنية في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال: مائة إلا واحدة أو اثنين، حديث رقم 2736، 611/1. وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء

والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم 2677، 5/9.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 886-887.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 426/8.

(4)- سورة النمل: الآية 82.

هذا، بحيث يجتمع منها متحف، يضم أروع وأعجب ما وقع عليه الخيال. وهذه المقولات في كثرتها، وتناقضها، توقع الحيرة واللبال»⁽¹⁾.

2-والحل الذي يدعو إلى تطبيقه لإزالة هذا الإشكال؛ يتمثل في :

*تنقية التفاسير وكتب الحديث وغيرها من مثل هذه المرويات؛ التي تجعل القارئ في حيرة من أمره، فلا يدري ماذا يأخذ وماذا يدع، لذلك تجده يكتفي بالإعراض عنها دون ذكر لها في بعض الأحيان نحو قوله: «ويأتون على هذا الرأي بأحاديث، وأقوال تشهد له!!!... ونحن نرد هذا القول، ونأخذ بما هو أولى وأكرم بكرم الله»⁽²⁾ أو يكتفي بالمعنى الذي يفهمه من النص مشيراً إلى الإعراض عما يروى في ذلك وعدم الاشتغال به نحو قوله: «ولا نريد أن نشغل أنفسنا بهذه المقولات، ما صح منها وما لم يصح»⁽³⁾.

* وإفراد هذه الروايات بالدراسة الدقيقة، ولا سيما من طرف العلماء المتخصصين، وفي ذلك يقول مثلاً: «وإذا حصيلة هذه الأحاديث المكذوبة، مجموعة من المتناقضات،... يكذب بعضها بعضاً... وربما عرضنا لها في دراسة خاصة -إذا شاء الله-»⁽⁴⁾ ويلقي مسؤولية مثل هذا العمل على كاهل كل العلماء قائلًا: «إن الأمر يحتاج إلى نظرة فاحصة من علماء المسلمين جميعاً، وإلى كلمة سواء بينهم في هذه المرويات المتهافنة»⁽⁵⁾.

ولمزيد من التفصيل نتبع المواضيع التي رد فيها أحاديث نبوية، تعارضت كما يرى

و النصوص القرآنية التي سبقت عند تفسيرها :

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 288/10-289.

(2)-المصدر السابق: 757/8. قال ذلك وهو يفسر الآية 71 من سورة مريم، ويخالف الجمهور فيما يعود عليه الضمير "منكم"! انظر: ص من البحث.

(3)-المصدر السابق: 699/8. يقصد بذلك «ما دار حول ذي القرنين والأسباب التي معه، ومغرب الشمس ومطلعها، ويأجوج ومأجوج، والسد الذي أقيم دونهم.. فكل أمر من هذه الأمور أصبح قضية... يدعمها أصحابها بأحاديث تروى عن رسول الله ﷺ، وبآراء تستند إلى الأجلاء من صحابة رسول الله ﷺ، كعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وابن عباس... وغيرهم...». انظر المصدر السابق.

(4)-المصدر السابق: 1070/12-1071، هذا القول مقتطع من قوله: «فهذا ما نأخذه من آيات الله، ودلالاتها القرينية، دون تعسف في التأويل، ودون استجلاب للمقولات الغريبة، التي تُحمل عليها آيات الله حملاً». عند تفسير الآيات [21-26] من سورة ص. انظر: الموضوع الخامس، ص من البحث.

(5)-المصدر السابق: 16/1606 بل يقول أنه صح العزم على دراسة ذلك. انظر المصدر السابق: 16/1745.

ثانيا: المواضع التي صرح فيها بعدم الأخذ بأحاديث نبوية :

يمكن تقسيم المواضع التي صرح فيها عبد الكريم الخطيب بعدم الأخذ بأحاديث نبوية سيقت عند التفسير إلى قسمين :

أ- قسم ذكر فيه الأحاديث التي ردها لتعارضها ومعنى النصوص القرآنية، ومواضعه هي:
الموضع الأول: بعد تفسير قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾⁽¹⁾ قال: «والخبر الذي يروى من أن النبي ﷺ قال حين نزلت هذه الآية: «والله لأزيدن عن السبعين»⁽²⁾ هو خبر آحاد، لا يعول عليه هنا عند معارضته لصريح المفهوم من الآية الكريمة.. لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه - يعلم ما في هذه الآية من القطع بأن الله سبحانه لن يغفر لهم، ولن يقبل شفاعة شافع فيهم. فلا يعقل - مع هذا - أن يقول النبي هذا القول، بعد أن تلقى هذه الآية. وكذلك الشأن في الخبر الذي يروى عن النبي ﷺ أنه قال «لو علمت أنه لو زدت على السبعين مرة غفر الله لهم لفعلت»⁽³⁾.. فإنه خبر لا يصح عن رسول [الله]⁽⁴⁾.. لأنه فيه ما يشبه التحدي لحكم [الله]⁽⁵⁾!!»⁽⁶⁾.

الموضع الثاني:

بعد تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء تحدث عن قضية الإسراء والمعراج، وقال عن قصة المعراج : «وأبرز ما نراه من دس اليهود هنا، هو ما يروى في حديث المعراج، من اللقاء الذي كان بين النبي وبين موسى - عليهما الصلاة والسلام - وأن موسى سأل النبي صلوات الله وسلامه عليه عما افترض الله على أمته من الصلاة، فلما قال النبي لموسى: إنها خمسون صلاة... قال له موسى:... وعندها قال النبي - صلوات الله وسلامه عليه - لموسى: «لقد استحييت من

(1) - سورة التوبة: الآية 80.

(2) - روى هذا الحديث بهذه الكيفية الطبري في تفسيره: 249/10/6. وفيه نظر كما جاء في تفسير ابن كثير: 420/3-421.

(3) - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَهُمْ﴾ [التوبة: 80] حديث رقم 4671 بلفظ مغاير: 435/2.

(4) - في التفسير القرآني للقرآن، كتبت "الله". انظر: 855/5.

(5) - في التفسير القرآني للقرآن، كتبت "الله". انظر: 855/5.

(6) - المصدر السابق.

ربي...»⁽¹⁾ وبهذا أصبحت فريضة الصلاة خمسا في العمل⁽²⁾ وخمسين في الأجر!! هذه الرواية تشير إلى أمور منها:...

إن ذكاء واضع هذه الرواية قد أبي عليه إلا أن يجيب عن هذه التساؤلات، وأن يكشف عن وجه الحكمة في هذا، فيجعل من تمام الرواية: أنها خمس في العمل وخمسون في الأجر«وهذا الذي جعله واضع الرواية وجهها داعيا إلى قبولها، هو في الواقع الوجه الذي يكشف عن ردها...»⁽³⁾.

الموضع الثالث:

بعد تفسير آية الزانية والزاني من سورة النور، تحدث عن بعض ما يروى في هذه المسألة من آثار وأخبار، ومن ذلك قوله: «يروى... عن النبي ﷺ: «خذوا عني.. خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا.. البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرحم»⁽⁴⁾.

(1) -انظر مثلا: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، حديث رقم: 7517. رواه شريك بن عبد الله عن أنس، 477/3. وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب: الإسرائاء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم: 162. رواه ثابت البناني عن أنس، 393-395. قال ابن حجر: حديث أنس في المعراج أوردته من رواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر... قال: وأخرت ما يتعلق برواية شريك هذه هنا لما اختصت به من المخالفات. انظر: العسقلاني أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت،

كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ حديث رقم 7517، 480/13..

(2) -يقول محمد عبد الله دراز: «أما عدد صلوات المسلمين فتقرر أنه لا يوجد في جميع المراجع والمؤلفات الإسلامية التي اطلعنا عليها أية إشارة إلى مثل هذا التطور، ومن المؤسف حقا أن النقاد الغربيين لا يدلوننا على الحقائق التي استقوا منها هذه الفكرة الغربية. فطبقا لجميع الحقائق التي في متناول أيدينا، فإن عدد هذه الصلوات خمس منذ أول لحظة شرعت فيها الصلاة بمكة... هكذا حددها الرسول عليه السلام وأوضح تفاصيلها بكل دقة، ويشير القرآن إلى ذلك بإيجاز في عدة مواضع، ومن المحتمل أن يكون قد تسرب هذا الفهم الخاطئ إلى ذهن الكتاب الغربيين بسبب سوء تفسير عبارة "الدلوكة" الواردة بسورة الإسراء، وهذه المواضع هي: ﴿فَسَبَّحْنَاهُ لَإِلَهِهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الرؤم: 17-18] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 114] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى عَسَى اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]. انظر: مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل

مقارن)، ط3، دار القلم: الكويت، 1981م، ص158.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 426/8-427.

(4) -صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحدود، باب حد الزنى، حديث رقم 1690، رواه عبادة بن الصامت، 167/6.

وهذا الحديث-إن صح- وقد صححه رجال الحديث، يكون أشبه بالناسخ لآية ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾⁽¹⁾ ولآية "الشيخ والشيخة"⁽²⁾.. صارفا النظر عنهما إلى الأخذ عن رسول الله ﷺ إذ لا معنى للقول: «خذوا عني خذوا عني»⁽³⁾ إلا صرف النظر عن كل ما جاء في القرآن عن هذا الأمر، والأخذ بهذا القول الذي يقال.. وحاشى لرسول الله ﷺ أن ينطق بهذا، وأن يتحدى كلام الله الذي نزل عليه وبلغه، فقد أخذ عنه المسلمون من قبل قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾⁽⁴⁾ «⁽⁵⁾».

الموضع الرابع:

بعد تفسير قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾⁽⁶⁾ يعقد فصلا عنوانه "الني.. وانشقاق القمر" يبحث فيه مسألة انشقاق القمر عهد رسول الله ﷺ وهل هو المراد من الآية أم لا⁽⁷⁾. ومما ذكره في هذا الفصل ما رواه البخاري عن ابن مسعود ؓ، قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: "اشهدوا"⁽⁸⁾ وينقل عن القاضي عياض بعض ما قاله في تفسير هذه الآية⁽⁹⁾ ثم يختم قائلا: «هذا هو مجمل ما عند المفسرين في آية القمر، قد لخصه القاضي عياض، وأيده وقال مع القائلين؛ إن القمر قد

(1)-سورة النور: الآية 2.

(2)-عن أبي بن كعب أنه قال: «كائن تقرأ سورة الأحزاب أو كائن تعدها قال قلت له ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنما لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم». أخرجه أحمد في مسنده: 132/5. وقد ذكر ابن كثير رواية أخرى عن زيد بن ثابت وفيها "الشيخ والشيخة" ثم علق قائلا: «وهذه طرق كلها متعاضدة ودالة على أن آية الرجم كانت متلوّة فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به، والله أعلم». انظر: تفسير القرآن العظيم: 503/4.

(3)-سبق تخريجه في ص 49 من البحث.

(4)-سورة النور: الآية 2.

(5)-التفسير القرآني للقرآن: 1213/9.

(6)-سورة القمر: الآية 1.

(7)- التفسير القرآني للقرآن: 628/14-633.

(8)-صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا [القمر: 1-2]، حديث رقم 4864، 502/2-503. وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، حديث رقم 2860. رواه عبد الله ابن مسعود ؓ، 122/9.

(9)-نقله عنه من كتابه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ - كما صرح -: ص 190-192.

انشق في عهد النبي، كمعجزة من معجزاته.. ونحن إذ نخالف هذا الرأي... لا نخالفه ونحن نعتقد بصحة هذه الأحاديث في سندها إلى أن تصل إلى أصحاب رسول الله، فإننا من صحابة رسول الله في مقام الأعمى بين يدي المبصر... ولكننا إذ نخالف هذه الأخبار، فإنما نخالفها ونحن في شك من صحة السند⁽¹⁾.. وإذا [شككنا]⁽²⁾ في السند كان المتن مجرد قول يضاف إلى آخر راوٍ روى عنه⁽³⁾، ثم يفند رأيه بعدة أمور، ويختتم قائلا: «وإنما الذي دعانا إلى هذه الوقفة، هو ما نجد من بعد بعيد بين مفهوم الآية الكريمة، واتساق هذا المفهوم مع موقع الآية في النظم القرآني ومع ما جاء من آيات الكتاب عن يوم القيامة، وما يقع فيه من أحداث -وبين هذا التخريج الذي خرجت عليه الآية الكريمة، وتوارد عليه المفسرون، قولاً واحداً⁽⁴⁾، بأن القمر قد انشق للنبي، وهو في مكة، تحدياً لتحدي قومه المكذبين به.. والله أعلم»⁽⁵⁾.

الموضع الخامس:

بعد تفسيره لسورة الفلق يعقد فصلاً بعنوان "النبي وحديث السحر"⁽⁶⁾ يعرض فيه مسألة سحر الرسول ﷺ، والقول بأن سورتي الفلق والناس نزلتا ليسترقيا بهما من السحر؛ ويذكر خلال ذلك بعض ما قاله العلماء في إثباته أو نفيه، منتقداً إثارة السكوت من البعض الآخر. ثم يختم مؤكداً موقفه من هذه القضية فيقول :

«فإذا قلنا إن النبي -صلوات الله وسلامه عليه - لم يُسحر ولم يمسه سوء، في جسده، أو عقله، قام بين أيدينا أكثر من شاهد يصدق هذا القول ويؤكد: ... هذا وقد يلقانا من يقول:

(1) -هنا الإشكال في كتاب "التفسير القرآني للقرآن" فكلما ظهر للمفسر تعارض بين النص القرآني والنقل الثابت -وخاصة الأحاديث الثابتة - مباشرة يرجع العلة في ذلك إلى النقل، فيجعل من ذلك التعارض الذي يبدو له دليلاً يضعف من درجة ذلك النقل، والحق أن منهج وفقه التعامل مع النقل بصفة عامة -متى يكون تفسيراً للنص القرآني ومتى لا يكون كذلك- هو العنصر الغائب أو شبه الغائب في هذا الكتاب، أو قل في ذلك المنهج نظر وخلل!

(2) -في التفسير القرآني للقرآن: كتبت "شككنا" 630/14.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 630-629/14.

(4) -وهنا الإشكال أيضاً عدم مطابقة النقد -بصفة عامة- للحقيقة. انظر: مثلاً ما قاله القاسمي عند تفسير هذه الآية، ص من هذا البحث.

(5) -المصدر السابق: 633/14.

(6) -انظر التفسير القرآني للقرآن: 1745-1727/16.

كيف تتصدى لخبر⁽¹⁾ ورد في البخاري⁽²⁾، وفي مسلم⁽³⁾ وفي كتب السنة الصحاح؟ وكيف تشك فيه وتتردد في قبوله؟ إن ذلك إن سلم لك به كان معناه إهدار السنة، ووضع مصادرها الموثقة موضع الاتهام!!

ونقول: كلا: «إننا نحترم كتب السنة، ونترل أصحابها من نفوسنا منزلة الإعزاز والإجلال، ونكبر جهادهم المبرور في جمع السنة المطهرة وحفظها.. ولكن هذه قضية، ورفع مقام هذه الكتب فوق مقام القرآن الكريم، وإنزاله على حكمها، مما يخالف صريح محكم⁽⁴⁾ آياته قضية أخرى»⁽⁵⁾.

ب- والقسم الآخر لم يذكر فيه الأحاديث التي ردها أو توقف عندها:

بل أشار إليها وهو يفسر النصوص القرآنية التي سيقى عند تفسيرها⁽⁶⁾؛ مؤكدا ضرورة فهم النص القرآني بما يدل عليه القرآن ذاته. ومواقع هذا القسم باختصار تتمثل فيما يلي:

الموضع الأول:

يكتفي عبد الكريم الخطيب بتسمية العبد الصالح الذي صاحبه موسى عليه السلام بـ "العبد الصالح" كما ورد في الآيات التي تذكر قصته من سورة الكهف⁽⁷⁾ وضمن تفسيره لها يشير قائلا: «ويقول المفسرون، والمحدثون عن هذا العبد الصالح إنه "الخضر"⁽⁸⁾ الذي يصفونه بصفات

(1) - ترويه عائشة ؓ وفيه «يا عائشة.. أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان ...» ذكر عبد الكريم الخطيب ثلاث روايات من البخاري وأشار لروايات أخرى.

(2) - صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: السحر، حديث رقم: 5763، وباب: هل يستخرج السحر، حديث رقم 5765. وباب: السحر، حديث رقم 5766. كلها من رواية عائشة ؓ، 90/3-91.

(3) - صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب: السحر، حديث رقم 2159، رواية عائشة ؓ، 350/7.

(4) - إلى من يحتكم: في أن صريح محكم النص القرآني كيت وكيت؟ هل يحتكم في ذلك إلى من يجعل فهمه للنص القرآني دليلا على قبول أو رفض النص النبوي بغض النظر عن كون ذلك النص بمثابة التفسير للآية أم لا؟؟!

(5) - التفسير القرآني للقرآن: 16/1744-1745.

(6) - فقد تتبعنا في البحث ما ذكره من أحاديث ردها أو توقف عندها وهو يفسر النص القرآني.

(7) - الآيات 65-78.

(8) - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُنْبِرُ حَتَّىٰ أُنْبِغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60] زمانا وجمعه أحقاب، حديث رقم 4725، رواه سعيد بن حبيب عن ابن عباس عن أبي بن كعب =

عجبية، هي من بعض واردات ما تشير إليه الآيات... والقرآن الكريم، لم يتحدث عن هذا العبد الصالح أكثر من وصفه بأنه عبد من عباد الله، آتاهُ رحمة منه، وعلمه من لدنه علماً»⁽¹⁾.

الموضع الثاني:

عند تفسير قصة ذي القرنين من السورة ذاتها⁽²⁾، ينتقد المقولات الكثيرة التي قيلت في ذي القرنين ويصفها بالتناقض، مشيراً إلى أن أصحاب هذه المقولات يدعمون ذلك بأحاديث عن الرسول ﷺ⁽³⁾ «ولا نريد أن نشغل أنفسنا بهذه الأقوال، ما صح منها وما لم يصح...»⁽⁴⁾ كما يقول مكتفياً بالنص القرآني عند التفسير.

الموضع الثالث:

يخالف تفسير الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾⁽⁵⁾ فيقول: «ويأتون على هذا الرأي بأحاديث، وأقوال تشهد له!!... ونحن نرد هذا القول، ونأخذ بما هو أولى وأكرم بكرم الله... فنقول...»⁽⁶⁾.

الموضع الرابع:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

=عن النبي ﷺ، 2/454. وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم 2380، نفس الرواية، 8/120-121.

⁽¹⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 8/651.

⁽²⁾ -الآيات 83-98.

⁽³⁾ -قال ابن كثير بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: الآية 83]: «وقد أورد ابن جرير ها هنا، والأموي في مغازيه، حديثاً أسنده وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر: أن نفراً من اليهود جاؤوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء... وفيه طول ونكارة، ورفع لا يصح، وأكثر ما فيه من أخبار بني إسرائيل، والعجب أن أبا زُرعة الرازي مع جلالة قدره، ساقه بتمامة في كتابه دلائل النبوة، وذلك غريب منه، وفيه من النكارة أنه من الروم... فأما... المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل...، وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام...» انظر: تفسير القرآن العظيم: 4/240.

⁽⁴⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 8/699.

⁽⁵⁾ -سورة مريم: الآية 71.

⁽⁶⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 8/757.

كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿١﴾ يقول: «اضطرب المفسرون في تفسير هذه الآية، وأكثروا من المقولات في هذه الدابة... فهم يقولون إنها من أشراط الساعة، ويذكرون لذلك أحاديث تنسب إلى النبي ﷺ... ولو أننا نظرنا إلى الآية الكريمة، نظرا مقاربا، دون شدّها إلى أودية الغرائب والعجائب، لرأينا أنها لا تحمل شيئا تستخرج منه هذه المقولات، ولا تحمل شيئا يساق إليها مما قيل»^(٢).

الموضع الخامس: بعد تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^(٣) مقتصرًا على ما تدل عليه الآيات واصفا لها بالإيجاز والوضوح، ينتقد تفسير غيره لها قائلا: «كنا نريد أن نقف عند هذا الحد لا نتجاوزه، ولكننا نجد بين أيدينا، كتب التفاسير كلها، قد جاءت بمقولات من وراء دلالات الآيات القرآنية، وأكثرها مأخوذا عن روايات إسرائيلية يرويها اليهود عن كتابهم الذي حرفوه... ثم توسع الرواة والنقلة في هذه المقولات... ومن وراء ذلك اليهود، يدسون على المسلمين أحاديث عن الرسول، يضعون لها سلسلة من الرواة الذين اشتهر عنهم الحديث عن رسول الله، فتقع هذه الأحاديث المكذوبة من قلوب المسلمين موقعًا، لا يجدون معه سبيلا إلى دفعها، وإذا حصيلة هذه الأحاديث المكذوبة، مجموعة من المتناقضات، يدفع بعضها بعضا، ويكذب بعضها بعضا، فلا يدري المرء ماذا يأخذ منها وماذا يدع. وفي أكثر الأحوال ينتهي الأمر إلى الشك فيها جملة.. إذ كانت لا تتصل بالعقيدة أو الشريعة»^(٤).

الموضع السادس: بعد تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٥) يقول: «أما ما يروى من أخبار»^(٦) شرح صدر الرسول الكريم، بما يشبه العملية الجراحية، على يد ملكين كريمين... فهذا

(١) - سورة النمل: الآية 82.

(٢) - التفسير القرآني للقرآن: 288-290.

(٣) - سورة ص: الآيات 21-26.

(٤) - التفسير القرآني للقرآن: 1070-1071.

(٥) - سورة الشرح: الآية 1.

(٦) - عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم فقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى... فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه =

مما ينبغي مجاوزته، وعدم الوقوف طويلا عنده... ولا ندري كيف تحمل كتب التفسير والحديث مثل هذه الأخبار، التي إذا وزنت بميزان العقل لم يكن لها وزن في معايير الحقيقة والواقع، الأمر الذي إذا وقف عليه غير الراسخين في العلم، أشاع الشك عندهم في حقائق هذا الدين كلها، وغطى دخان مثل هذه المقولات الساذجة الملفقة على حقائقه، وحجب الرؤية الصحيحة عن كثير من الأبصار!!»⁽¹⁾.

وبعد ذكر معنى الشرح من القرآن ذاته من خلال بعض الآيات القرآنية⁽²⁾، يختم قائلا: «وعلى أي، فإنه إذا صحت هذا المرويات عن شق صدر رسول الله ﷺ، فإنه ينبغي ألا تحمل على محاملها المادية الظاهرة بل ينبغي أن يلتمس لها وجه من التأويل تقبل عليه»⁽³⁾.

هذا هو ملخص منهج عبد الكريم الخطيب في تعامله مع السنة وهو يفسر القرآن الكريم، لكن ثمة سؤال يحتاج إلى إجابة: إذا كانت المواضع التي صرح فيها عبد الكريم الخطيب بذكر أحاديث نبوية عند التفسير، لا تقل عن أربع مائة موضعا، فهل هذا كل أو بعض ما روي عن النبي ﷺ في التفسير؟ ذلك ما سيأتي توضيحه في العنصر الأخير من هذا المبحث:

ثالثا: الاقتصار على النص القرآني عند التفسير:

الجزء الأكبر من تفسير عبد الكريم الخطيب عبارة عن تسجيل لما يتوصل إليه بعد التأمل والتدبر كما صرح، وكما يبدو من خلال تتبع التفسير، وإذا كان المعنى الذي يسجله أحيانا هو تفسيراً بالمأثور... فإن بقية المعاني التي يذكرها طريقها النظر، والنظر لا بد له من دليل، على الأقل على المستوى العام للمنهج المتبع في التفسير، فكيف إذا كان المنهج المتبع هو التدبر - أي هو النظر -؟

وذكر الدليل لازم مع افتراض الإحاطة والتمكن من فهم السنة - الذي هو مستبعد

= منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه... الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، برقم 7517، 477/3. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، بلفظ آخر، حديث رقم 162، 395/1. وفي هذا الحديث نظر. انظر: مثالا ما قاله ابن كثير في تفسيره: 83/4.

⁽¹⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 1605/16-1606.

⁽²⁾ -انظر هذا البحث: ص.

⁽³⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 1607/16.

عموما في هذا العصر - كعلم له رجاله وله قواعده وأصوله، ليعلم على الأقل ما يجب تفسيره بالحديث مما لا يجب. وفيما يلي أمثلة من تفسير عبد الكريم الخطيب لنصوص وردت فيها أحاديث لكنه لم يصرح بذكرها:

أ- ثبت عن النبي ﷺ أنه فسر "الظلم" من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾⁽¹⁾ بالشرك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾⁽³⁾.

وعند تفسير الآية قال عبد الكريم الخطيب: «ولبس الإيمان بالظلم، هو خلطه به.. والظلم هو الشرك بالله، كما يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

ب- عن عقبه بن عامر⁽⁶⁾، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»⁽⁷⁾.

وعند تفسير هذه الآية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾⁽⁸⁾ قال عبد الكريم الخطيب: «ولكن... ما الذي يمكن للنبي والمسلمين من أن يسيطروا يدهم على عدوهم ويتزلوا على حكمهم فيه؟ إنه لا شيء إلا القوة التي يكون عليها المسلمون في الرجال والعتاد... وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾»⁽⁹⁾، أمر باتخاذ القوة، والعمل على بنائها، [والتوسل]⁽¹⁰⁾ إليها بوسائلها، ومن أهم تلك الوسائل "الخيال" إذ كانت في هذا الوقت أقوى مظهر من مظاهر القوة

(1) - سورة الأنعام: الآية 82.

(2) - سورة لقمان: الآية 1.

(3) - والحديث أخرجه الشيخان عن عبد الله - وغيرهما - انظر: ص 210 من البحث، الهامش رقم 1.

(4) - سورة لقمان: الآية 13.

(5) - التفسير القرآني للقرآن: 227/4.

(6) - عقبه بن عامر الجهني صاحب رسول الله ﷺ، كان فقيها علامة قارئاً لكتاب الله بصيرا بالفرائض فصيحاً مفوها، ت 58هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 1/42.

(7) - صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، حديث رقم 1917، 57/7.

(8) - سورة الأنفال: الآية 60.

(9) - سورة الأنفال: الآية 60.

(10) - هكذا نقلتها ولعل الصواب التوصل.

والفروسية...»⁽¹⁾.

ج- عن أبي ذر⁽²⁾، قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾⁽³⁾ قال: «مستقرها تحت العرش»⁽⁴⁾.

وعند تفسير هذه الآية قال عبد الكريم الخطيب: «أي وآية لهم الشمس.. فهذه الشمس تسير في مدار محدود لها وتتحرك في ذلك لا تتعدها ولا تخرج عنه.. وذلك بتقدير "العزیز"»⁽⁵⁾ وجريان الشمس، هو حركتها في فلكها المرسوم لها. وهي تقطع دورة هذا الفلك في سنة كاملة، وفي سرعة مذهلة»⁽⁶⁾.

د- عن أنس⁽⁷⁾ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسما. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال: «أنزلت علي آفا سورة» فقراً: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْمَرْ^(٢) إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^(٣)﴾⁽⁸⁾ ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل. عليه خير كثير»⁽⁹⁾ وعند تفسير هذه الآية قال عبد الكريم الخطيب: «الكوثر: مبالغة في الكثرة، والمراد بالكثرة هنا، الكثرة في العطاء من الخير والإحسان، والخطاب هنا للنبي صلوات الله وسلامه عليه... وفي إطلاق لفظ الكوثر، دون قيده بنوع أو قدر، إشارة إلى

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 648/5.

(2)-هو جندب بن جنادة على الصحيح، يعرف بـ أبي ذر الغفاري، أحد السابقين الأولين أسلم في أول المبعث خامس خمسة، وكان رأساً في العلم والزهد والجهاد، ت32هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 17/1.

(3)-سورة يس: الآية 38.

(4)-صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿[يس: 38]، حديث رقم 4803، 484/2.

(5)-سورة يس: الآية 38.

(6)-التفسير القرآني للقرآن: 932/12.

(7)-أنس بن مالك بن النضر: هو ابن ضمضم الإمام أبو حمزة الأنصاري النجاري المدني خادماً رسول الله ﷺ وله صحبة طويلة وحديث كثير وملازمة للنبي ﷺ منذ هاجر إلى أن مات، ت93هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 44/1.

(8)-سورة الكوثر.

(9)-صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب حجة من قال بسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، حديث رقم 400، 296/2.

تناوله كل ما هو خيرا»⁽¹⁾.

فهذه أربعة نصوص قرآنية وردت فيها أحاديث نبوية، فكان النص الأول مبينا من طرف الرسول ﷺ، حيث فسر القرآن بالقرآن، وطريقة عبد الكريم الخطيب عند تفسيره، اكتفى فيها بتسجيل المعنى الذي يدل عليه النص القرآني في سياقه الخاص، وهو موافق لتفسير الرسول ﷺ. أما بيان النصوص المتبقية فيحتاج إلى توضيح لسببين:

-الأول: لا يوجد تطابق بين ظاهر الأحاديث والمعاني التي سجلها عبد الكريم الخطيب للنصوص التي سبقت عند تفسيرها.

-والثاني: هل هذه الأحاديث هي بمثابة التفسير لهذه النصوص كما هو الحال في الموضوع الأول؟ فيجب حينئذ التطابق بين معنى النص والحديث؟ أم هي من قبيل ما يمكن الاستغناء عنه في تفسير النص لأنها بمثابة التوجيه والإشارة مثلا؟⁽²⁾.

ثم كيف هو الأمر مع بقية النصوص القرآنية التي ثبت في تفسيرها نقل عن النبي ﷺ، لكن عبد الكريم الخطيب لم يصرح بذكرها؟ ما حكم تفسيره لها؟ أهى من قبيل ما رده من أحاديث لتعارضها ومعنى النصوص القرآنية كما هو الصنيع في المواضع السالفة الذكر؟ إن الالتزام بذكر ما ثبت من أدلة نقلية خاصة من طرف الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾⁽³⁾ يزيد من متانة المعاني التي يتوصل إليها بعد التدبر، ويجعل القلب مطمئنا لذلك التفسير.

المطلب الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع أسباب النزول:

من خلال تتبع تفسير عبد الكريم الخطيب للقرآن الكريم؛ بما في ذلك الجزء الذي يذكر أحداثا تزامنت ونزول القرآن، يلاحظ أن المعنى الذي يسجله عبد الكريم الخطيب للنص القرآني هو الذي يحدد موقفه من الرواية أو الروايات التي تذكر كأسباب للنزول. فهو بين حال من ثلاثة:

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 16/1690.

(2)-انظر الإجابة في هذا البحث: ص

(3)-سورة النحل: الآية 44.

أولاً: عدم التصريح بذكر روايات أسباب النزول:

ثمة نصوص قرآنية روي فيها أسباب نزول؛ لكن عبد الكريم الخطيب لا يصرح بذلك وهو يفسرها، وفي هذه الحال لا يمكن الجزم بموقفه منها؛ أهو من قبيل عدم التزامه بالنقل كمصدر لتفسير النص والاكتفاء بما يوصل إليه التدبر؟ أم هو من قبيل تسجيل ما يحضره عند التأمل؛ فلا يذكر الرواية عند تفسير الآية التي نزلت فيها -مثلاً- ثم تجده يذكرها في موضع آخر؟ أم أن المعنى الذي يسجله يتضمن تلك الروايات لكن يخفى على القارئ إدراكه إلا بالبحث؟

أيا كان الأمر؛ فإن المنهج المتبع في التعامل مع الروايات واضح، ومعنى النص القرآني بعد التدبر والتأمل هو الأصل، أما ما يروى بصفة عامة فلا يؤخذ به على إطلاقه بل ينظر فيه، ولمزيد من التوضيح نقل أمثلة من تفسيره:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فَلَهُ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾⁽¹⁾.
يقول عبد الكريم الخطيب عند تفسير هذه الآية:

«الذين لا يأخذون الأمور مأخذ الجد، يصرفون أكثر جهدهم في اللغو... والمنافقون هم دائماً أبداً على تلك الصفة... وفي موكب الدعوة الإسلامية كان المنافقون يعترضون سير هذا الموكب، ويقطعون عليه الطريق بتلك الأسئلة التي لا يراد بها كسب معرفة... وإنما يقصد بها أولاً وأخيراً التشويش على الدعوة... وقد حمى الله الدعوة الإسلامية من أن تتزلزل إلى هذا المترلق، فكانت إجابة القرآن الكريم... رادعة فاضحة.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾⁽²⁾ ما بالها تظهر ثم تختفي؟ وما شأنها تتجدد كل عدد معلوم من الأيام؟ ثم لم تلبس كل يوم صورة جديدة؟ وتولد كل يوم ميلاداً جديداً؟...
﴿فَلَهُ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾⁽³⁾ ذلك هو الجواب الذي كان ينبغي أن يكون سؤال

(1) -سورة البقرة: الآية 189.

(2) -سورة البقرة: الآية 189.

(3) -سورة البقرة: الآية 189.

السائلين متجها إليه؟... فهذا هو بعض معطيات الأهله للناس، يضبط بها رؤوس الشهور، ويوقف منها على أشهر الحج»⁽¹⁾.

وانظر إشارته لأسلوب القرآن الكريم في مثل هذه الأحوال وهو يفسر قصة أصحاب الكهف: «أما التعليل الذي يمكن أن يفهم عليه إغفال القرآن لذكر العدد الحقيقي لأصحاب الكهف، والقطع به، فهو ما جرى عليه أسلوب القرآن في كل موقف يلتقي فيه بأصحاب المراء والجدل... ففي كل مرة كان يُسأل فيها النبي سؤالاً متعنتاً، لا يُراد به كشف حقيقته... كان يدع السائلين لما هم فيه، ويصرف وجهه عنهم، ليلقى الحياة كلها، بالجواب الذي فيه نفع للناس، وهدى للعالمين!

سأل المشركون النبي عن الهلال: ما باله يبدو صغيراً، ثم يكبر، ثم يعود صغيراً؟ وكان الجواب:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189].
وكذلك الشأن في فتية أصحاب الكهف»⁽²⁾.

أليس هذا من قبيل الاعتماد على التدبير والتأمل، ثم تسجيل ما يحضره سواء كان نقلاً أو ما فهمه هو؟ ثم أتى للقارئ الجزم بأن موقفه كيت وكيت إذا لم يبحث الأمر؟

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾.
يقول عبد الكريم الخطيب عند تفسير الآية:

«هذه الآية أيضاً تعريض باليهود، وفضح لمساويهم، ووعيد بالخزي وسوء المصير لهم. فقد

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 210-209/1.

(2) -التفسير القرآني للقرآن: 608/8.

(3) -سورة آل عمران: الآية 188

ذكر في الآيات السابقة قولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾⁽¹⁾... وهنا - في هذه الآية - يُعرضون في معرض الفرحين بما آتوا، وهذا الذي أتوه، ليس مما يحمد ويُقبل، حتى يفرحوا به.. ولكن الذي فعلوه هو المنكر كله، وهو الشر كله... إنهم إنما فعلوا الافتراء على الله، ونقض الميثاق الذي واثقهم به، أن يبينوا للناس ما معهم من كلمات الله... فبدّلوا في كلمات الله وغيروا، لتستجيب لمطالبهم الخسيسة... هذا هو الذي فعلوه، وفرحوا به⁽²⁾ ويواصل تسجيل المعنى دون ذكر أو إشارة لرواية أو نقل في ذلك وقد روي في ذلك شيء⁽³⁾.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾⁽⁴⁾.

وفي تفسير هذه الآية يقول: «اللهو: ما يشغل الإنسان من هزل الأمور عن جدّها.. والانفضاض: التفرق في عجلة، وفي غير نظام»⁽⁵⁾ فتحسبه لم يذكر إلا هذه الكلمات، ثم تجده عند تفسير السورة الموالية لها أي سورة المنافقون يقول:

«كان ختام سورة "الجمعة" كاشفا عن وجه من وجوه المنافقين، الذين كانوا يشهدون صلاة الجمعة مع النبي، حتى إذا سمعوا لهوا، أو أحسوا قدوم تجارة، أسرعوا إلى هذا اللهو، أو تلك التجارة، دون أن يشعروا بأنهم بين يدي النبي، وفي مقام ذكر الله.. لأن قلوبهم خالية من هذه المشاعر التي تصلهم بالله، وبرسول الله...»⁽⁶⁾ ويواصل تسجيل المعنى تحت عنوان: مناسبة سورة المنافقون لسورة الجمعة.

فعلا هذا هو المنهج الذي صرح به في مقدمة تفسيره وفي أكثر من موضع منه، إنه وكما قال لا يخط إلا ما يوصله إليه تدبره، سواء ظهر التفسير بالنقل في ذلك تصرّحا أو تلميحاً أو لم

(1) - سورة آل عمران: الآية 181.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 2/668.

(3) - انظر هذا البحث: ص

(4) - سورة الجمعة: الآية 11.

(5) - التفسير القرآني للقرآن: 14/953.

(6) - المصدر السابق: 14/954.

يظهر. لكن هل يؤمن ابتعاد النظر عن الأصوب؟ كي لا نقول احتمال الوقوع في الخطأ؟. والظاهر أن جل النصوص القرآنية التي يروى عند تفسيرها أسباب لتزولها، تحمل في طيها ذكر الأحداث التي تزامنت ونزول الوحي، والمنهج في ذلك هو ذات منهج القرآن في بناء الفرد الجديد أو الإنسان الخليفة، ولذلك فإن ما يروى في الغالب الأعم من أسباب للتزول؛ لا يعني قصر حكم أو معنى ما نزل في ذلك الزمان أو فيمن نزل فيهم. وربما هذا سببا من الأسباب التي جعلت عبد الكريم الخطيب لا يتقيد بما يُروى أو قل بظاهر التفسير وهو يتأمل هذه النصوص. كما هو واضح في هذه الأمثلة، ويتضح أكثر فأكثر في الحالتين الثانية والثالثة.

ثانيا: الأخذ بأسباب التزول حسب معنى النصوص:

يصرح عبد الكريم الخطيب في عدة مواضع من التفسير، بذكر أسباب نزول آيات قرآنية، على خلاف في التعامل مع تلك الروايات؛ فقد تكون تفسيراً للنص، وقد تكون مثلاً لكن الحكم عام، وحينما يصرح فقد يذكر الرواية كما هي، وقد يذكرها بالمعنى. وفي مايلي بعض الأمثلة:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁽¹⁾

يسجل عبد الكريم الخطيب المعنى العام أو قل المغزى من النص ثم يقول: «والآية الكريمة، والآيات التي بعدها تشير إلى حدث وقع بين امرأة بعينها وزوج بعينه، وإن كان لم يذكر لهما اسم.. لأن ذكر الاسم هنا لا ضرورة له، إذ كان هذا الحدث وإن تعلق بهذين الزوجين، ينسحب إلى كل زوجين، وإلى المبادئ التي تحكم الصلة بين الزوج و[الزوجة]⁽²⁾، أو الرجل والمرأة.

ومع هذا فقد احتفظ تاريخ التزول القرآني باسم كل من المرأة والرجل، كما احتفظ القرآن الكريم بالحدث الذي وقع بينهما.

(1) -سورة المجادلة: الآية 1.

(2) -في التفسير القرآني للقرآن: كتبت "الزوجة" 809/14.

يقول المفسرون: نزلت هذه الآيات في...⁽¹⁾ هذا هو موجز القصة من بين الروايات الكثيرة المختلفة الأقوال في اسم المرأة، واسم زوجها، وإن كان هذا كما قلنا لا يؤثر في الحكم الواقع على الحدث نفسه، وهو الظاهر»⁽²⁾.

فالملاحظ: أن عبد الكريم الخطيب يسجل ما يوصله إليه تدبره للنص القرآني من استنتاج، دون التقيد بسبب النزول، على خلاف الطريقة العامة عند غيره من المفسرين⁽³⁾؛ حيث تجدهم يذكرون سبب النزول تفسيراً لذلك النص.

فهل طريقة عبد الكريم الخطيب في تفسير هذا النص، هي من قبيل ما يجوز فيه تجاوز ظاهر التفسير كما يقول الغزالي في الإحياء؟ أم أن ذلك لا يعدو أن يكون إشارة من الإشارات التي يدل عليها هذا الظاهر — أي روايات سبب نزول النص —؟

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ الآيات من سورة الممتحنة⁽⁴⁾.

يفسر عبد الكريم الخطيب هذه الآيات ثم يقول: «قيل أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة»⁽⁵⁾ — وهو صحابي ممن شهد بدرًا — وكان ذلك بعد صلح الحديبية...⁽⁶⁾ وبعد ذكر الرواية يختتم بقوله «وهكذا أعفا النبي عن هذا الصحابي الذي شهد بدرًا، ثم تنزلت آيات الله في مواجهة هذه الحادثة، فكان منها هذا الدرس الخالد للمسلمين، يقيم لهم دستوراً حكيماً...»⁽⁷⁾.

والملاحظ في هذا النص؛ أن طريقة عبد الكريم الخطيب في تفسيره كانت موافقة لطريقة

(1) — ويذكر القصة. أنظر التفسير القرآني للقرآني: 810/14.

(2) — المصدر السابق.

(3) — أنظر: جامع البيان: 11-5/28/14. وتفسير القرآن العظيم: 141/6-142. ومحاسن التأويل: 51/9.

(4) — الآيات 1-3.

(5) — حاطب بن أبي بلتعة صاحب القصة في غزوة الفتح نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: الآية 1]، وهو الرسول إلى المقوقس، ت30هـ. انظر: شذرات الذهب: 37/1/1.

(6) — التفسير القرآني للقرآن: 895/14-896.

(7) — المصدر السابق: 896/14.

هؤلاء المفسرين الثلاثة⁽¹⁾.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ﴾⁽²⁾.

قال عبد الكريم الخطيب عند تفسير هذا النص: «الأعمى الذي جاء إلى النبي، فلم يهش له، هو عبد الله بن أم مكتوم⁽³⁾ الأعمى... وهو صحابي جليل، من المهاجرين الأولين... هذا الأعمى، قد ورد عليه، ولم يكن يعلم من أمر النبي ما هو مشغول به، فجعل يسأل النبي أن يقرئه شيئاً من آيات الله، فلم يلتفت إليه النبي، وهو يسأل، ويسأل، حتى ضاق به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وظهر ذلك على وجهه الشريف... ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾⁽⁴⁾»⁽⁵⁾ ويكمل تسجيل المعنى بعد التدبر.

وهذا مثال للنص القرآني الذي يفسره بسبب نزوله، دون تصريح أو إسناد للرواية، وهي مشهورة كما نلاحظ عند هؤلاء الثلاثة مثلاً⁽⁶⁾.

الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ﴾⁽⁷⁾ من سورة المسد بل سورة المسد كلها.

المتأمل لتفسير عبد الكريم الخطيب لها، يلاحظ بوضوح ذكر الحادثة ضمن تفسيره لهذه الآيات، دون تصريح أو إسناد للروايات التي تفيد ذلك⁽⁸⁾؛ بل إن سبب نزول هذه السورة قد

(1) -أنظر: جامع البيان: 72-71/28/14. وتفسير القرآن العظيم: 186-182/6. ومحاسن التأويل: 93/9-95. غير أن

ابن كثير قد ذكر سبب النزول قبل تفسير النص

(2) -سورة عبس.

(3) -هو عمرو بن أم مكتوم الأعمى المذكور في قوله تعالى: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [سورة عبس: 2] ت15 هـ. انظر: شذرات

الذهب: 28/1/1.

(4) -سورة عبس: الآية 1.

(5) -التفسير القرآني للقرآن: 1447/16-1448.

(6) -أنظر جامع البيان: 66-65/30/15. وتفسير القرآن العظيم: 388-387/6. ومحاسن التأويل: 325-324/9.

(7) -سورة المسد: الآية 1.

(8) -التفسير القرآني للقرآن: 1708-1703/16.

صرح به وهو يفسر سورة المدثر حيث قال:

«بدأت رسالة النبي بالإنذار بهذا اليوم، يوم القيامة، وما فيه من عذاب أليم للمشركين والكافرين، وأهل الضلال جميعاً..»

وهذا ما كان من الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- فإنه ما إن تلقى هذا الأمر من ربه حتى دعا قومه إليه -كما تقول كتب السيرة الموثقة- وخطب فيهم قائلاً: يا معشر قريش: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوني؟ قالوا نعم: أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب⁽¹⁾ -لعنه الله-: تباً لك سائر اليوم.. ألهذا دعوتنا؟ فترلت سورة اللمب⁽²⁾ «⁽³⁾»⁽⁴⁾.

هذا مثال يؤكد مسألة تسجيل ما يحضره سواء في موضعه أو في غير موضعه، وأن على القارئ تتبع ذلك لمعرفة ما إذا كان التدبر فيه التزاماً بما ثبت نقلاً عند التفسير أم لا؟ ولعل الأمثلة التي سيأتي ذكرها تزيد منهجه في تعامله مع أسباب النزول -بصفة خاصة- وضوحاً.

ثالثاً: التصريح برد روايات أسباب نزول تعارضت ومعنى النصوص:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٥﴾ ⁽⁵⁾ ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^{(٩}

بعد تفسير عبد الكريم الخطيب لهذا النص يقول: «ولنا مع هذه الآية الكريمة وقفة لابد منها: فقد أجمع المفسرون⁽¹⁾، والفقهاء، وأصحاب الحديث، على أن متنزل هذه الآية الكريمة، لم يكن على هذه الصورة، أول ما نزلت.

يقولون: إنها نزلت دون قوله تعالى: ﴿غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ﴾⁽²⁾ ابتداءً، وحين تلقى الرسول ﷺ الآية دعا من كتاب الوحي من يكتبها، وكان عبد الله بن أم مكتوم -وهو أعمى- ممن حضر مجلس رسول الله هذا، فسأل رسول الله عن موقفه هو وأمثاله ممن لا سبيل لهم إلى الجهاد في سبيل الله!

قالوا: فما إن سأل عبد الله بن أم مكتوم هذا السؤال، حتى أخذ رسول الله ﷺ ما يأخذه من الوحي فلما سُرّي عنه، قال لكتّاب وحيه: أكتب: ﴿غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ﴾⁽³⁾ فكتبها كتّاب الوحي، في موضعها من الآية، كما تلقاها الرسول الكريم وحيًا من ربه!!⁽⁴⁾

إنها قصة.. تنقصها الحكمة...!!

ولو استقام للآية وجه على هذا النظم الذي خلا من قوله تعالى: ﴿غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ﴾⁽⁵⁾ كان من المستساغ... قبول هذه الرواية، أو الروايات أما ولا يستقيم للآية الكريمة مفهوم بغير قوله تعالى: ﴿غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ﴾⁽⁶⁾ فإنه لا حرج من رفض هذه الرواية أو الروايات رفضاً باتاً، دون التفات إلى تلك الروايات في جملتها وتفصيلها... إذ كانت قداسة القرآن الكريم فوق كل اعتبار، وفوق كل مقام!!

(1)- الذي أجمعوا عليه -على الأقل هؤلاء الأربعة- هو مسألة ضرورة فهم التفسير المنقول للنصوص القرآنية. وعدم الخوض في النقل فضلاً عن رد ما ثبت منه لمجرد ظهور تعارض عند الناظر -هذا على فرض صحة المنهج-. انظر: التفصيل في

الهامش " من البحث ص

(2)- سورة النساء: الآية 95.

(3)- سورة النساء: الآية 95.

(4)- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ

وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: 95]، برقم: 4592. عن زيد بن ثابت، 415/2. وانظر أيضاً: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، حديث رقم 1898، 38/7 عن البراء، واللفظ مختلف.

(5)- سورة النساء: الآية 95.

(6)- سورة النساء: الآية 95.

ولعل اهتمام القوم بالبحث عن أسباب النزول، والتعرف عليها، واعتبارها علما من علوم القرآن، لعل ذلك هو الذي فتح الطريق إلى مثل هذا القول في الآية الكريمة والله أعلم»⁽¹⁾.

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَا وِلْدًا﴾⁽²⁾.

يفسر عبد الكريم الخطيب الآية دون تعيين للشخص المقصود ثم يقول: «قيل إن هذه الآية نزلت في بعض مشركي قريش، ولم يتفق المفسرون على واحد بعينه، قيل فيه هذا القول.. وهذه الروايات المتعارضة المتضاربة في أسباب النزول، تدعونا إلى أن نسقط هذه الآراء جميعها، ولا نأخذ بواحد منها، إذ أن ذلك يعد ترجيحاً بلا مرجح!

والذي نطمئن إليه، هو أن الآية تشير إلى الرجل صاحب الجنتين، الذي جاء ذكره في سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾⁽³⁾.

فالآية إلفات إلى قصة هذا الرجل، وقد سمعها المشركون من قبل، فيما كان يتلوه النبي عليهم من آيات ربه»⁽⁴⁾.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُ النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾⁽⁵⁾.

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 876/3-877.

(2) -سورة مريم: الآية 77.

(3) -سورة الكهف.

(4) -التفسير القرآني للقرآن: 767/8. وبعدها قال «وهذا يعني أن سورة مريم قد نزلت متأخرة عن سورة الكهف». أنظر:

767/8. من تفسيره وفي 13/1-14. من التفسير القرآني للقرآن عد سورتي الكهف ومريم من السور المكية بترتيب 68 و43 فماذا يعني ذلك؟!

(5) -سورة الأحزاب: الآيات 28-30.

يعقد فصلاً عنوانه "المرأة والرجل.. في بيت النبوة" فيقول: «يكثّر المفسرون [من] (1) إيراد أسباب النزول لهذه الآيات.. ومن هذه الأسباب.. وتمضي الرواية، فتقول إن نساء النبي جئن إليه مجتمعات بهذا الطلب، وأنه ﷺ وجد شيئاً من الضيق بهن، فترل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ..﴾ الآية (2).

وهذا الخبر وما يدور في مداره، هو في نظرنا غير معقول على صورته تلك، وإن كان قد ورد في كتب السنة الصحاح، مثل صحيح مسلم.. وذلك لأمر...» (3) ويذكر شيئاً من سيرة الرسول ﷺ وأزواجه -رضي الله عنهن- ثم يحتّم قائلاً: «فليس يصح بعد هذا أن يسمع لقول يقال بأن أزواج النبي ﷺ شكّون يوماً من ضيق العيش في جناب الرسول.. وعلى هذا نستطيع أن ننظر في الآيات السابقة، من غير أن نقف على أسباب النزول التي قيل إنها لا يستلزم نزولها، وحسبنا أن نأخذ بعض ما يعطيه منطوق هذه الآيات من دلالات، وما لهذه الدلالات من علاقة بالآيات السابقة أو اللاحقة لها» (4).

الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَاسْتَغْبَرْتُمْ إِلَهَ اللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (5) بعد تفسير هذه الآية يقول:

«وقد كاد يكون إجماع من المفسرين على أن هذه الآية قد نزلت في عبد الله بن سلام، وهو من اليهود الذين دخلوا في الإسلام، ويأتون على هذا بأخبار ومرويات من الأحاديث في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم، وغيرهما.. والسورة مكية، وليس هناك شاهد قوي يشهد بأن هذه الآية مدنية - كما يقول بذلك الذين يذكرون سبب نزولها - بل إن هناك أكثر من شاهد بأنها مكية... وإذن فليس هناك داعية إلى القول بأن هذه الآية مدنية، وبالتالي أنها نزلت في عبد الله بن سلام أو غيره.. وإن الذي ينظر في الأحاديث والمرويات، التي ذكرت في هذا

(1) - كتبت في تفسيره "في: 688/11.

(2) - سورة الأحزاب: الآية 28.

(3) - التفسير القرآني للقرآني: 689-688/11.

(4) - التفسير القرآني للقرآني: 689-688/11.

(5) - سورة الأحقاف: الآية 10.

المقام، يرى فيها اختلافاً، وتضارباً، بحيث ينقض بعضها بعضاً، ويهدم بعضها بعضاً. مما يجعل مجاوزتها والعدول عنها، أولى من الوقوف عندها، وأخذ شيء منها»⁽¹⁾.

الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِ لَكُمْ أَنْ تُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكْ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽²⁾.

يفسر عبد الكريم الخطيب هذه الآية والتي بعدها ثم يقول: «يقال إن هاتين الآيتين، نزلتا في عبد الرحمن بن أبي بكر»⁽³⁾، كما نزلت الآيتان السابقتان⁽⁴⁾ في أبي بكر رضي الله عنه.. وهذا مردود لما يأتي»⁽⁵⁾ ويستدل بحال عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وبإسلامه وبمكانة أبي بكر عند المولى عز وجل، كما ورد في أكثر من موضع في القرآن.

الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁽⁶⁾.

عند تفسير الآية يقول: «ويذكر المفسرون لهذه الآية سبباً للنزول فيقولون... وهذه المقولات التي تروى عن سبب نزول الآية الكريمة تبدو على إطلاقها واهية، لا معقول لها»⁽⁷⁾ ويستدل بأخلاق العرب، وأدب الصحابة والنبوة، في استبعاد حدوث ما يروى في سبب نزول الآية⁽⁸⁾، وبعد ذلك يقول: «وإذا أردنا أن نلتمس لهذا الخبر متأولاً -على فرض صحته-

(1)- التفسير القرآني للقرآن: 270/13-271.

(2)- سورة الأحقاف: الآية 17.

(3)- هو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان من الزهاد الشجعان شهد مع قريش بدراً وأحداً مشركاً وأسلم في هدنة الحديبية، ت53هـ. انظر: شذرات الذهب: 59/1/1.

(4)- يقول عبد الكريم عند تفسير الآيتين: «أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه والذي نراه ونرجو أن يكون صواباً هو أن المراد بالإنسان هو مطلق هذا الإنسان...». انظر: التفسير القرآني للقرآن: 275/13.

(5)- التفسير القرآني للقرآن: 278/13-279.

(6)- سورة المجادلة: الآية 11.

(7)- التفسير القرآني للقرآن: 830/14-831.

(8)- المصدر السابق: 831/14.

فهو...»⁽¹⁾ ويذكر تأويلا يناسب معنى النص حسب رأيه. ففي هذه المواضع يصرح عبد الكريم الخطيب برّد روايات أسباب نزول، تعارضت كما قال ومعنى النصوص. أما الوقوف على حقيقة هذا الاعتراض فسيأتي في البحث لاحقا⁽²⁾.

⁽¹⁾ -المصدر السابق: 832/14.

⁽²⁾ -انظر مطلب: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع أسباب النزول، ص

المبحث الثالث:

منهج عبد الكريم الخطيب
في التعامل مع اللغة والتراث

المطلب الأول: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع اللغة:

حينما تتأمل "التفسير القرآني للقرآن" تلاحظ أن التفسير الذي يسجله عبد الكريم الخطيب للنص القرآني بصفة عامة، هو المعنى الذي يتوصل إليه بعد التأمل والتدبر، أو قل بعد التلاوة على حد تعبيره، وعلى هذا الأساس يتعامل مع اللغة واللغويين. ويمكن تلخيص تعامله معها في أمرين بارزين:

أولاً: معنى النص القرآني أصل في الأخذ باللغة:

يصرح عبد الكريم الخطيب في مواضع كثيرة من تفسيره بما يلي:
أ-رد التفسير اللغوي للنص لتعارضه والمعنى:

يستدل عبد الكريم الخطيب على رد التفسير اللغوي للنص القرآني بمعنى أو مبنى النص ذاته؛ مؤكداً مسألة أن اللغة ليست أصلاً في بيان المعنى بل معنى النص هو الأصل⁽¹⁾ ومن أمثلة ذلك:

1-بعد تفسير قوله تعالى:

﴿لَنَكُنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾ يقول: «وفي عطف قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽³⁾ على قوله سبحانه: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾⁽⁴⁾ مع الاختلاف في الصورة الإعرابية بين [المعطوف]⁽⁵⁾، والمعطوف عليه -في هذا ما يدعو إلى التوقف والنظر... وقد كثرت في هذا آراء المفسرين والنحاة.. ولم نر فيما قاله هؤلاء وهؤلاء وجهاً نستريح له، ونرضى به، ونطمئن إليه.. إذ كلها محاولات لتسوية هذا التخالف، الذي يبدو وكأنه تناقض وخروج على أساليب العرب، ومألوف كلامهم..

⁽¹⁾ -انظر التفسير القرآني للقرآن: 36/1 و 399/2، 624 و 1007/3، 1144 و 372/4-373 و 125/7

و 516/11 و 997/12...

⁽²⁾ -سورة النساء: الآية 162.

⁽³⁾ -سورة النساء: الآية 162.

⁽⁴⁾ -سورة النساء: الآية 162.

⁽⁵⁾ -في التفسير القرآني للقرآن: كتبت "العطوف" 1007/3.

وكأنهم-أي المفسرون والنحاة- يلتمسون المعاذير للقرآن، لهذا الخلل الذي ظهر فيه هنا!!
وللقرآن الكريم، أن يكون متفقاً مع قواعد النحاة أو مخالفاً لها، جارياً [على]⁽¹⁾ ما عرف من أساليب العرب أو خارجاً عنها.. وعلى النحاة أن يصححوا نحوهم عليه، وعلى الأساليب العربية أن تستقيم على ما طلع عليه بها القرآن من أساليب جديدة... فلنتحرر إذن من قواعد النحو، وأساليب العرب، حينما نستقبل جديداً من أساليب القرآن وإعجازه...
فإننا بين يدي كل آية من آيات الكتاب الكريم، في مواجهة معجزة متحدية، لا تكشف لنا عن وجهها إلا بعد توقف ونظر»⁽²⁾.

ويواصل الحديث عن الآية ومعناها والأسلوب الذي وردت به ثم يختم قائلاً: «هذا هو أسلوب القرآن.. وعلى النحو أن يصحح قواعده عليه، وعلى البلاغة أن تضبط موازينها به»⁽³⁾.

2- عند تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾⁽⁴⁾ الآيات قال: «وقد اضطرب المفسرون اضطراباً شديداً، واختلفت بهم مذاهب الرأي في توجيه الآية الكريمة وجهها يستقيم على فهم يوفق بين أمور تبدو في ظاهر النظم متعارضة، إن هي جرت على قواعد اللغة والنحو... وهذه الأشياء المأمور بها على سبيل الوجوب، في آيات كثيرة من كتاب الله -تبدو هنا في ظاهر النظم- كأنها دعوة إلى ترك هذه الواجبات...»

وقد ذهب المفسرون-كما قلنا- مذاهب كثيرة مختلفة، من التأويل والتعسف، ومن افتراض الحذف والإضافة، والتقديم والتأخير، وغير ذلك... ولا نعرض هنا لتلك المقولات... وحسبنا أن ندلى بما عندنا من فهم للآية... لا يتحقق إلا بالنظر إليها، نظراً مباشراً، من غير أن يدخل

(1)-غير مكتوبة في التفسير: 1007/3.

(2)-التفسير القرآني للقرآن: 1007/3-1008.

(3)-المصدر السابق: 1009/3.

(4)-سورة الأنعام: الآيات 151-153.

عليها ما يغير من صورة نظمها، بحذف أو إضافة، أو تقديم أو تأخير.. فنقول-والله أعلم⁽¹⁾...»⁽²⁾.

ب- معنى أو مبنى النص القرآني يرجح إحدى التفسيرات اللغوية له ومثاله:

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽³⁾ قال: «إن هنا هي المخففة من أن الثقيلة، وليست نافية كما جاء في الآية السابقة: ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمَ بَعِيدٌ مَا تَوْعَدُونَ﴾»⁽⁴⁾ على ما ذهب إليه المفسرون. والمعنى...»⁽⁵⁾.

2- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾⁽⁶⁾ قال: «والاقتناء، ليس من القينة، كما يقول المفسرون، الذين جعلوا الاقتناء مرادفا للإغناء.. أي أغنى، وأعطى ما فوق الغنى. وهذا- والله أعلم- لا يتفق مع نسق النظم الذي جاءت عليه الآيات، مقابلة بين الشيء وضده: الضحك والبكاء، والموت والحياة، والذكر والأنثى..

إنه لخروج على هذا النسق أن يكون الغنى، مقابلا [للاقتناء]⁽⁷⁾ الذي هو بمعنى الغنى أيضا! وذلك من غير داعية تدعو للخروج على هذا النسق...

فقوله تعالى: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾⁽⁸⁾.. هو -والله أعلم- بمعنى منع، وحرم.. وهو مأخوذ من قني المرء الشيء، إذا صانه، وضمّ به كأقني واقنني، ومنه قول الشاعر:

فاقني حياءك لا أبالك إنني في النائبات النازلات لفارسُ

أي صوني حياءك، وضمي به، ولا تقني موقفا يكشف هذا الحياء ويعريه.

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 4/340-341.

(2)-المصدر السابق: 4/341-348.

(3)-سورة الأنبياء: الآية 111.

(4)-سورة الأنبياء: الآية 109.

(5)-التفسير القرآني للقرآن: 9/967.

(6)-سورة النجم: الآية 48.

(7)-في التفسير القرآني للقرآن كتبت "الاقتناء" وربما بقصد "الاقتناء": 14/620.

(8)-سورة النجم: الآية 48.

فالإقناء من الله سبحانه وتعالى بمعنى المنع، أي أنه سبحانه أغنى أناسا، ومنع المال عن أناس، ولم يغنهم»⁽¹⁾ ويستمر في تأويل المعنى على هذا الرأي.

3- عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾⁽²⁾ قال: «يرى أكثر المفسرين أن الإستفهام هنا لا يراد به حقيقة، وإنما هو بمعنى الخبر، وأن "هل" بمعنى "قد".. أي قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا! والرأي عندنا - والله أعلم - أن الاستفهام على حقيقته، وأنه يحمل سؤالا موجهها إلى الإنسان ليجيب عليه، وليبحث عن حقيقته، وكيف كان؟ ثم كيف صار؟...»⁽³⁾.

ج- انتقاد مسائل لغوية لا تتوافق ومعنى أو مبنى النص:

من حين لآخر يلفت عبد الكريم الخطيب انتباه القارئ لمسألة من المسائل اللغوية التي لها علاقة بالنص القرآني وتفسيره؛ فينتقد تلك المسألة بناء على ما توصل إليه بعد التدبر للنص معنى ومبنى، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَلَعَلَّ بَعْلُكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يُقَدِّرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾ الآية، يؤكد⁽⁵⁾، أنه لا يوجد حرف زائد في القرآن كما يقول أغلب المفسرين وإن «لا» هذه من بنية الكلمة، شأنها في هذا شأن بقية حروف الكلمة «لثلا»⁽⁶⁾ هذا ما صرح به ضمن فصل عقده لبحث مسألة "الحروف التي يقال إنها [زائدة]"⁽⁷⁾.. ما تأويلها"⁽⁸⁾.

(1)- التفسير القرآني للقرآن: 620/14.

(2)- سورة الإنسان: الآية 1.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 1350/15-1351.

(4)- سورة الحديد: الآية 29.

(5)- لأنه قال ذلك من قبل، أنظر التفسير القرآني للقرآن: 36/1، 372/4، 376، وأنظر أيضا: 1148/15، 1281.

(6)- التفسير القرآني للقرآن: 802/14.

(7)- في التفسير القرآني للقرآن كتبت "زائد". انظر: 802/14.

(8)- المصدر السابق: 802/14-806.

لكنه صرح في غير موضع من التفسير بخلاف هذا الرأي⁽¹⁾، نحو ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾⁽²⁾ قال: «"لات" أداة تفيد النفي، بمعنى "لا" والتاء زائدة، لتأكيد النفي وتقويته»⁽³⁾.

2- وعند تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا﴾⁽⁴⁾ يقول: «القسطاس: الميزان، ويقول اللغويون والمفسرون، إن الكلمة فارسية معربة..

وقد استعمل بمعنى العدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزَّانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَحْسِرُوا

الْمِيزَانَ﴾⁽⁵⁾ ونحن نرى أنها عربية صميمة، في بنائها، وفي ميزانها الصرفي..

وقد تصرف القرآن الكريم في هذه الكلمة على جميع الوجوه، فجاء منها بالفعل.. فقال

تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽⁶⁾ وبالمصدر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي

بِالْقِسْطِ﴾⁽⁷⁾ وباسم الفاعل في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾⁽⁸⁾ وهكذا تصرف القرآن بهذه الكلمة كما يتصرف في كل كلمة عربية متمكنة في عروبتها..

أما وزنها، فهو جار على وزن المصدر من الفعل الرباعي... فقسطاس على وزن

[فعلان]⁽⁹⁾، من قسطس، مثل دحراج من دحرج، وزلزال من زلزل⁽¹⁰⁾. وهذا المثال من

قبيل: هل في القرآن كلمات أعجمية أم "لا"؟

(1)- انظر: 1138/9، 1265/12.

(2)- سورة ص: الآية 3.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 1049/12.

(4)- سورة الإسراء: الآية 35.

(5)- سورة الرحمن: الآية 9.

(6)- سورة الحجرات: الآية 9.

(7)- سورة الأعراف: الآية 29.

(8)- سورة الجن: الآية 14.

(9)- في التفسير القرآني: كتبت "فعلان".

(10)- التفسير القرآني للقرآن: 485-486/8.

ثانيا: الاستعانة بالإعجاز البياني للقرآن والاستشهاد بمأثور العرب في التفسير وعدم الالتزام بشرح المفردات الغامضة:

أ- الاستعانة بالإعجاز البياني للنص في بيان المعنى:

يتحدث عبد الكريم الخطيب بين الحين والآخر عن الإعجاز البياني للقرآن، نحو دقة مناسبة اللفظ في موضعه من النص القرآني والمعنى المراد من ذلك، ويستعين بهذا الإعجاز في الكشف عن المعنى. وهذه أمثلة:

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁽¹⁾ قال: فيه «إشارة إلى تدفق الماء بقوة وغزارة أكثر مما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَنْبَجَسْتُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁽²⁾. فالانبعجاس دون الانفجار، قوة وأثرا.

وهذا الاختلاف في التعبير إنما هو لاختلاف الحال، فحين ضرب موسى الحجر كان الانبعجاس أولا، ثم تلاه الانفجار.. فكل من الانبعجاس والانفجار وصف لحال من أحوال ضربة العصا، وأثر من آثارها.. وذلك وجه مشرق من وجوه الإعجاز»⁽³⁾.

2- عند تفسير قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾⁽⁴⁾ قال: قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾⁽⁵⁾ فيه إشارة إلى أن القرآن الكريم نزل منجما أي مفرقا، يدل على هذا شاهد التاريخ، كما يدل عليه هذا اللفظ "نزل" الذي يفيد الحركة والتفرق، بخلاف "أنزل" الذي يدل على الثبوت والوحدة»⁽⁶⁾.

3- وبعد تفسير قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

(1) سورة البقرة: الآية 60.

(2) - الآية 160.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 90/1.

(4) - سورة آل عمران: الآية 3.

(5) - سورة آل عمران: الآية 3.

(6) - التفسير القرآني للقرآن: 395/2.

﴿إِلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾ قال: «وفي تعدية الفعل "أنزلنا" بحرف الجر "إلى" بدل الحرف المطلوب له وهو "على" إشارة ان إنزال الكتاب لم يكن محمولا إلى النبي حملا، جملة واحدة، وإنما أوحى إليه وحيا، آية آية، أو آيات آيات... وقد جاء قوله تعالى: ﴿طه﴾ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ كما جاء الفعل في آيات أخرى، متعديا بإلى وبعلى، وذلك ليجمع بين نزول القرآن مفردا، وبين الجهة العالية التي نزل منها»⁽³⁾.

ب- الاستشهاد بمأثور العرب عند تفسير النص:

1- الاستشهاد بالشعر:

كثيرا ما يستشهد عبد الكريم الخطيب بالشعر وهو يفسر القرآن الكريم، والمواقع التي ذكر فيها الشعر، تفوق المائة والخمسين⁽⁴⁾، ذلك أن «الشعر العربي، هو مجلى اللغة العربية، ومظهر بيانها، وشاهد بلاغتها فكيف يجيء القرآن الكريم، ليقتل هذا الشاهد الوحيد، الذي ينطق بإعجازه، ويحكي عن وجه الإعجاز فيه... ولقد سجل التاريخ الإسلامي، للصحابه رضوان الله عليهم، مواقف من الشعر الجاهلي، تدل على تقديرهم له، وحرصهم عليه، بل وتعلقهم به...»⁽⁵⁾، كما يقول في المبحث الذي عقده بعنوان "الشعر.. ونظرة الإسلام إليه"⁽⁶⁾ ليصحح فهم كثير من الناس ومن المسلمين للشعر ولل فنون عامة، إذ كان ذلك الفهم خاطئا لأنهم أخذوا بظاهر قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾

(1) - سورة النحل: الآية 44.

(2) - سورة طه.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 301/7-302

(4) - دون ذكر لصاحبه في أغلبها، أنظر التفسير القرآني للقرآن: 850، 878، 889، 981/3 و 26، 207، 213/4 و 925، 947، 1024، 1049، 1105/6 و 439، 589، 594، 605، 800/5 و 258، 278، 293، 297

1161، 1171، ... ومن الذين ذكروهم: أبو العلاء 717/2... المتنبي 12/7، 1135/83... النابغة 1007/12،

121/13... أبو نواس 623/11، 568/14، 1358/15...

(5) - التفسير القرآني للقرآن: 200-202. وينقل عن عمر رضي الله عنه قوله: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم

فإن فيه تفسير كتابكم» المصدر السابق.

(6) - التفسير القرآني للقرآن: 195/10-204.

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴿١﴾
ولم ينفذوا إلى شيء من وراء هذا الظاهر—كما يقول أيضا عند تفسير هذه الآية—(2).

والمطلع على التفسير القرآني للقرآن يقف على الكثير من الشعر، يذكره عبد الكريم الخطيب وهو يفسر القرآن وهذه أمثلة:

* عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُوْنَ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ﴾ (3) قال: «والفعل "تفتأ" من أفعال الاستمرار، ولا يستعمل إلا مصحوبا بالنفي، وقد حذف هنا حرف النفي "لا" لدلالة المقام عليه.. أو أن الفعل "تفتأ" ضمن معنى الفعل "تستمر" الذي لا يصحبه النفي، وقد جاء في قول امرئ القيس: (7)

فقلت بيمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك و أوصالي (8)

جاء الفعل أبرح متضمنا معنى فعل الاستمرار، فلم يصحبه نفي» (4).

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ﴾ (5) قال: «الفداء: هو افتداء شيء بشيء، وإحلاله محله في مقام البذل والإحسان.. وفي هذا يقول النابغة الذبياني: (6)

مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد (7)» (8)

* وبعد تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ

(1) -سورة الشعراء.

(2) -التفسير القرآني للقرآن: 195/10 بتصرف

(3) -سورة يوسف: الآية 85.

(7) -امرئ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، أصله يمني ت ق 6م، انظر: فوّاز الشعراء العرب، ط 1، دار الجيل: بيروت، 1999م، 7/1.

(8) -ديوان امرئ القيس، تحقيق د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا: بيروت، 2009م، قصيدة "الأعم صباحا"، ص 253.

(4) -التفسير القرآني للقرآن: 35/7.

(5) -سورة الصافات: الآية 107.

(6) -هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، كنيته أبو أمامة، ولقبه النابغة، ت 604م. انظر: الشعراء العرب: 27/1.

(7) -أنظر: ديوان النابغة الذبياني، المكتبة الثقافية، بيروت، قصيدة "يادارمية"، ص 36.

(8) -التفسير القرآني للقرآن: 1007/12.

مَمَّنْ هُوَ فِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١﴾ قال: «وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء المعري⁽²⁾:

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما⁽³⁾»⁽⁴⁾

*وعند تفسيره لكلمة "الأب" من قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾⁽⁵⁾ يرد ما يروى من آثار⁽⁶⁾ تفيد بأن هذه الكلمة غريبة ولم تكن معروفة ويستدل على ذلك بعدة أمور منها الشعر فيقول: «ورابعا: ورد في الشعر العربي الجاهلي، أكثر من شاهد، يدل على أن العرب كانوا يعرفون كلمة الأب في قاموس لغتهم، وكانوا يستعملونها في المعنى المناسب لها.. ومن الأشعار المروية، ما يروى عن الأعشى من قوله في الفخر:

(1) -سورة فصلت: الآية 52.

(2) -هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي، المعروف بأبي العلاء، ت449 هـ. انظر: الشعراء العرب: 5/2.

(3) -من اللزوميات. انظر: د. كمال اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، ط1، دار الجليل: بيروت، 1988م، ص572.

(4) -التفسير القرآني القرآن: 13/11.

(5) -سورة عبس: الآية 31.

(6) -إن منهج التعامل مع النقل بما في ذلك الآثار علمٌ مستقل بذاته يدلّ على ذلك طريقة بعض العلماء المحققين في توجيه ما يبدو تعارضا بين معنى النص القرآني ومعنى النقل. انظر مثلا:

-ما قاله ابن كثير بعد تفسير هذه الآية: «قال أبو عبيد القاسم بن سلام... عن إبراهيم التيميّ قال: سئل أبو بكر الصديق

ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾^(٣١)، فقال: أيّ سماء تُظلي وأي أرض تُقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وهذا

منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق ﷺ، فأما ما رواه ابن جرير.. عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(١)،

فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾^(٣١)، قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأب؟ فقال: لعمرُك يا بن الخطاب إن هذا هو

التكلف. فهو إسناده صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس، به. هو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا

فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض». تفسير القرآن العظيم: 391/6-392.

-وما ذكره الشاطبي نحو قوله: «الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب إنما كانت

عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل

المعنى المراد؛ والمعنى هو المقصود، ولا أيضا كل المعاني، فإن المعنى الإفرادي قد لا يُعبأ به، إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه؛

كما... وابن من هذا ما في جامع الإسماعيلي المخرّج على صحيح البخاري عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب ﷺ

قرأ: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾^(٣١)، (عبس: 31) قال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا هذا، أو قال: ما أمرنا بهذا، ... وظاهر هذا كله أنه إنما

نهي عنه لأن المعنى التركيبي معلوم على الجملة، ولا ينبغي على فهم هذه الأشياء حكم تكليفي، فرأى أن الاشتغال به عن

غيره -مما هو أهم منه- تكلف، ولهذا أصل في الشريعة صحيح... وذكر هذا الأثر كمثال عند حديثه عن المقدمة الخامسة

«كل مسألة لا ينبغي عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي» انظر: الموافقات:

321/2/1، 34/1/1 على الترتيب.

جذمنّا قيسٌ وسعد دارنا ولنا الأب بها والمكرع»⁽¹⁾

2- الاستشهاد بالأمثال والأقوال:

المواضع التي استشهد فيها عبد الكريم الخطيب بما ورد من أمثال وأقوال العرب قليلة⁽²⁾، مقارنة بما ذكره من الشعر، ومما ورد في تفسيره ما يلي:

* عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾ قال: «والتقوى هي اجتناب محارم الله، وامتنال أوامره، أو هي كما عرفها بعض العارفين: «ألا يراك الله حيث هناك وألا يفتقدك حيث أمرك»»⁽⁴⁾.

* وبعد تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾⁽⁵⁾ يقول: «وهكذا المنافق دائماً إن لم يلتفت إليه أحد، دل هو الناس عليه، بكثرة التفاته إليهم وحذره منهم، وصدق المثل الذي يقول: «يكاد المريب يقول خذوني!»»⁽⁶⁾.

* وبعد تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁷⁾ قال: «سمع أعرابي قارئاً يقرأ: "إن تعذبهم فإثمهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم" فأنكر ما سمع، وقال ما هذا كلام الله، إذ ينقض آخره أوله.. فأعاد القارئ قراءة الآية على وجهها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 1460/16.

(2) -أنظر التفسير القرآني للقرآن: 413/2، 419 و 857/3، 948-949، 1086، 1158 و 65/4، 417 و 735/5، 808 و 909/6، 925-926 و 37/7، 241، 261 و 686/8، 755، 759، 942 و 1070، 1054/9...

(3) -سورة المائدة: الآية 35.

(4) -التفسير القرآني للقرآن: 1086/3.

(5) -سورة المائدة: الآية 52.

(6) -التفسير القرآني للقرآن: 1115/3 وذكره من قبل في: 857/3.

(7) -سورة المائدة: الآية 118.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾، فقال الأعرابي: «نعم هذا كلام الله. عز فحكم، فإن شاء عفى وغفر»^(٢).

ج- عدم الالتزام بشرح الألفاظ الغريبة:

مما يلاحظ على "التفسير القرآني للقرآن" وجود ألفاظ غريبة، تحتاج إلى شرح سواء في النص القرآني أو في أسلوب عبد الكريم الخطيب وهو يفسر القرآن^(٣). ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- كلمة "يتلفعون"^(٤) استعملها عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَّا لِوَآخِرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾^(٥) فقال: «فبدلاً من أن يعودوا إلى أهلهم محملين بالغنائم، وبأهازيج الفرح والزهو، عادوا يحملون الغيظ والكمد، ويتلفعون بالخزي والذلة»^(٦).

2- كلمة "فاعتلوه"^(٧) من قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٨) كلمة غامضة تحتاج إلى شرح وعند تفسير الآية قال عبد الكريم الخطيب: «هو تنكيل بهذا الأثيم، ومضاعفة لما يلقي من ذلة وهوان في هذا اليوم، حيث يُساق إلى جهنم بين زبائنها سوقاً عنيفاً، ثم يُعتل عتلاً، ثم لا يلقي به حيث يقع، بل يدفع به دفعا حتى يبلغ سواء الجحيم، أي

(١)- سورة المائدة: الآية 118.

(٢)- التفسير القرآني للقرآن: 85/4.

(٣)- أنظر التفسير القرآني للقرآن: حداثهم 1016/9، حشمه 390/10، ملاحاة 974/12، خفرا 981/12، متوفرة 1107/12، لملاحاة 1244/12، مترعة 211/13، الطعنة 570/14، الأشافي 600/14، الرتم 653/14، اختيانا 1535/16، قمينا 1686/16.

(٤)- قال ابن منظور: [لفع] الالتفاع والتلفع: الالتحاق بالثوب، وهو أن يشتمل به حتى يجلل جسده، "يقال: تلفع الرجل بالثوب. انظر: لسان العرب، دار الحديث: القاهرة، 2003م، 1003/8 بتصرف.

(٥)- سورة الأحزاب: الآية 25.

(٦)- التفسير القرآني للقرآن: 683/11.

(٧)- قال الراغب: العتل، الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر، كعتل البعير. قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ط1، تحقيق مصطفى بن العدوي، مكتبة الفياض: المنصورة، 2009م، ص409. وجاء في تفسير الطبري مثلاً «قوله: ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فادفعوه وسوقوه، يقال منه، عتله يعتله عتلاً: إذا ساقه بالدفع والجذب» ويستشهد بيت شعري للفردق ورواية عن مجاهد أنظر جامع البيان: 162/25/13.

(٨)- سورة الدخان: الآية 47.

وسطحها، ومركز دائرتها»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: موقف عبد الكريم الخطيب من التراث:

يقصد بالتراث⁽²⁾ في هذا البحث، تفسير القرآن الكريم، ابتداءً من عهد تابع التابعين إلى حين ظهور "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ذلك ما يفهم من خلال تتبع هذا التفسير. فقد صرح عبد الكريم الخطيب في كتابه هذا أكثر من مرة، إنه خاض غمار تفسير القرآن الكريم لأمرين:

الأول: لتقديم فهم صحيح للقرآن الكريم، وهذا الفهم لا يكون إلا باعتماد القرآن ذاته مصدراً للتفسير والبيان.

والثاني: انتقاد المنهج الذي فُسر به القرآن؛ لعدم التزام القرآن مصدراً للبيان بصفة عامة.

والتأمل في "التفسير القرآني للقرآن" يقف على تطابق هذا التصريح بالتفسير المقدم في الظاهر، ولا سيما في المواضع التي صرح فيها عبد الكريم الخطيب بمخالفة المفسرين، لاعتمادهم غير القرآن مصدراً للبيان كما يقول.

ومن كثرة هذه المواضع، تخاله يتخذ المخالفة منهجاً، خاصة حينما يصرح بمخالفة الإجماع. وقد غطت هذه الميزة لتفسير عبد الكريم الخطيب على الجانب الآخر من موقفه من التراث، حيث نوه بشأن العلماء والمفسرين، واستشهد بأقوالهم وآرائهم في مواضع عدة من كتابه. وفيما يأتي مزيدٌ من التفصيل لموقفه هذا:

أولاً: استشهاد عبد الكريم الخطيب بأقوال المفسرين والعلماء:

ينقل عبد الكريم الخطيب من حين لآخر آراء العلماء والمفسرين وهو يفسر نصوصاً قرآنية⁽³⁾، فتجده يطيل النقل في بعض المسائل، ويكتفي بالقليل من ذلك في بعضها الآخر. والملاحظ أن الغرض من النقل يختلف من موضع إلى آخر فقد:

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 211/13.

(2) -جاء في اللسان: الورث والوراث والتراث واحد. والتراث ما يخلفه الرجل لورثته. والتاء فيه بدل من الواو. انظر:

269/9-270 بتصرف.

(3) -من خلال تتبع التفسير القرآني للقرآن، بما في ذلك ما ينقله عبد الكريم الخطيب عن غيره موافقاً أو مخالفاً، لاحظنا عدم تطابق ما يقوله عبد الكريم الخطيب وهو ينقل مع من ينقل عنهم بصفة عامة.

أ- يعزز تفسيره للنص بذلك النقل مثل:

1- قوله: «ولا بأس هنا من أن ننقل ما ذكره الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية»⁽¹⁾ أي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾ وبعد النقل عنه يعقب قائلا: «وهذا الذي يقوله الشوكاني هو الذي يجب أن يؤمن به كل مسلم، في نظرته إلى أصحاب القبور، وإلى من يعدّه من الصالحين وذوي الكرامات فيهم...»⁽³⁾.

2- ومثل ما نقله عن ابن تيمية بعد تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾ قائلا: «يقول ابن تيمية في معنى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾»⁽⁵⁾ أي سبح ناطقا باسم ربك، متكلمًا به. ويعلق ابن القيم على هذا الذي يقول به شيخه ابن تيمية: هذه فائدة تساوي "رحلة"! وهذا هو قدر العلم، وتقدير العلماء له.. فرضي الله عن الأستاذ وعن التلميذ»⁽⁶⁾.

ب- يرجح رأيا على آخر مثل:

1- قوله: «ومن عجب أن نجد عالما فقيها مفسرا كالإمام ابن جرير الطبري، يرجح القول بأن إسحاق هو الذبيح»⁽⁷⁾.. ومن عجب أيضا أن نجد عالما جليلا؛ كابن عياض، يذهب إلى هذا المذهب ويقول به.. وفي تفسير ابن كثير مقولات كثيرة في هذا المقام، تضاف إلى صحابة رسول الله،... وقد فضحها ابن كثير رحمه الله، وكشف عن المصدر الذي جاءت منه ولا نجد حجة أبلغ ولا أقوى من تلك الحجج الدامغة التي قدمها الإمام ابن تيمية -نضر الله وجهه- في دفع تلك الفرية، وفضح هذه الدسيسة التي دسها اليهود على هذه الحادثة... يقول ابن تيمية رحمه

(1)- التفسير القرآني للقرآن: 1088/3.

(2)- سورة المائدة: الآية 35.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 1089/3.

(4)- سورة الواقعة: الآية 96.

(5)- سورة الواقعة: الآية 96.

(6)- التفسير القرآني للقرآن: 744/14.

(7)- انظر: جامع البيان: 106-100، 95/23/12.

الله...»⁽¹⁾ وبعد النقل عنه يعقب قائلا: «وإذا كان لنا أن نضيف إلى هذا شيئا وهو مستغن بذاته، عن كل إضافة.. فإننا نقول...»⁽²⁾.

2- وفي معرض تفسير لفظ "الكتاب" من قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾⁽³⁾ يقول: «ويرى.. "الزمخشري" أن المراد بالكتاب هو "التوراة" متابعا في هذا من سبقه من المفسرين، وقد تبعه على هذا الرأي من جاء بعده...! وقليلًا من المفسرين من قال بأن الكتاب هو "اللوحة المحفوظ" باعتبار أن ذلك رأي مرجوح.. والذي نقول به، هو أن المراد بالكتاب، هو الكتاب المسطور، وهو اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب»⁽⁴⁾ ويبرهن على ما يقول.

ج- و ناذراً ما يذكر أكثر من رأي عند تفسير النص ويتوقف مثل:

إشارته إلى اختلاف المفسرين في معنى الكلالة من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً﴾⁽⁵⁾ قائلا: «اختلف في "الكلالة"... فقد رأى بعضهم أنها من الكلال... ومن هنا حملوا "الكلالة" على... ورأى بعضهم أنها من الكل... وقالوا... وعلى أي فقد اتفق الفقهاء على أن "الكلالة"»⁽⁶⁾ دون تعقيب على ذلك.

ثانيا: تصريح عبد الكريم الخطيب بمخالفة المفسرين:

يصرح عبد الكريم الخطيب بمخالفة المفسرين في جل سور القرآن الكريم، وسبب المخالفة كما قال عدم التقيد بالقرآن مصدرا للتفسير والبيان؛ ولذلك تجده يرجح تفسيره للنص على تفسير غيره، في عدة مواضع، من جملة المواضع التي يخالف فيها المفسرين، لتعارض مدلول النص القرآني ومدلول الرواية أو الروايات التي يعتمدونها في تفسيره.

والملفت للانتباه إلى جانب استعماله صيغ متنوعة عند المخالفة كقوله: "يرى المفسرون..."

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 1014/12-1015. قال ذلك بعد تفسير الآية 102 من سورة الصافات.

(2)-المصدر السابق: 1018/12.

(3)-سورة الإسراء: الآية 4.

(4)-التفسير القرآني للقرآن: 443/8.

(5)-سورة النساء: الآية 12.

(6)-التفسير القرآني للقرآن: 712/2.

ونحن نرى... "أو أكثر المفسرين على... والرأي... "أو "بعض المفسرين... "أو "يكاد الإجماع ينعقد على... "وغير ذلك، هو حكاية الاختلاف بأسلوب فيه تحريج، بل قل بأسلوب غير مقبول⁽¹⁾، كما سنرى في الأمثلة لاحقاً. وثمة مواضع خالف فيها الكل، أو قل تفرد بالرأي فيها على حد تصريحه، لا بد من ذكرها كاملة عقب هذه الأمثلة:

أ- نماذج من حكاية الخلاف بالصيغ السابقة الذكر:

1- أكثر الصيغ استعمالاً، صيغة المفسرون:

بعد تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽²⁾ قال: «لقد ذهب المفسرون.. مذاهب كثيرة، كلها ليس فيها ما يقع صدق أو يشفي غليلاً.. وكان أهدهم سيلاً من تأول قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِيسَ﴾⁽³⁾ بمعنى أفلم يعلم، وجاء بشاهد من الشعر يشهد لهذا المعنى.. وهو تأويل فاسد متهافت وقد استعمل القرآن فعل اليأس هذا في مواضع كثيرة من القرآن، فلم يكن في موضع منها ما يشهد لهذا المعنى!..

وكان من أشنع المقولات التي قيلت هنا، هي قول من قال: إن يئس بمعنى يتبين، وأن كاتب المصحف قد خلط فسوى رعوس السينات في "يتبين" فقرأت "يئس"!!

وهذا قول ساقط، لا يستحق أن نلتفت إليه، أو نلقي إليه بالاً... والعجب أن يقال مثل هذا القول الشنيع في تفسير من التفاسير المعتمدة، ولو على سبيل الحكاية... فإن في ذلك طعنا في صحة القرآن الكريم،...!!

إن مثل هذا القول هراء، لا يصح أن يقف أحد عنده، أو ينظر إليه مجرد نظر عابر.

وتسأل: ماذا حمل المفسرين على هذا؟ ولا جواب، إلا النية الحسنة!! فهؤلاء المفسرون هم

(1)- انظر مثلاً قوله: «فلم إذن يكون شرح الله سبحانه وتعالى لصدر رسول الله على هذه الصورة التي تشبه الملهة، أو المأساة؟ وأكثر من هذا، فإن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، يقابله في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97]، فهل كان ضيق الصدر بعملية جراحية كعملية شرحه؟ إن هذا من ذاك سواء بسواء».

التفسير القرآني للقرآن: 1606/16-1607.

(2)- سورة الرعد: الآية 31.

(3)- سورة الرعد: الآية 31.

أحرص الناس على كتاب الله، وعلى توقيره، والذود عنه... ولكن عن نية حسنة أرادوا الدفاع عن النظم القرآني، وإقامته على قواعد النحو التي استخلصوها من أساليب اللغة.. فكان منهم مثل هذه الزلات»⁽¹⁾ والملاحظ أن المفسر وفي عدة مواضع يحاول تقديم مبررات لغلط من سبقه في رأيه، ولكن أسلوب التجريح يبقى له أثرا في القارئ.

2- صيغة "أكثر المفسرين":

من أمثلة استعمال صيغة "أكثر المفسرين" ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۗ﴾⁽²⁾ من أن: «الرؤية هنا رؤية بصرية، لا قلبية علمية، كما يرى ذلك أكثر المفسرين، الذين يطلبون للفعل مفعولا ثانيا محذوفا، ويقدرونه هكذا:.... وهذا تكلف يفسد المعنى...

وليس قوله تعالى: "الْآخِرَىٰ" نعنا للعزى، كما يقول بذلك أكثر المفسرين، وأن هذا الوصف آخر رعاية للفاصلة... وهذا تعليل مردود من وجوه: فأولا:.... وثانيا: أن "الْآخِرَىٰ" جاءت هنا وصفا لمناة،... فهي وصف متعين لها دون غيرها، وإحالاته إلى غيرها تبديل لكلمات الله»⁽³⁾.

3- صيغة بعض المفسرين:

من أمثلة التعبير بهذه الصيغة ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُوتُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾⁽⁴⁾:

«وقع بين المفسرين اختلاف شديد في مائدة بني إسرائيل هذه، وفي الحواريين الذين طلبوا هذا الطلب .. فأنكر بعضهم أن... وقد كان للمنكرين... تأويلان لهذا الاعتراض:

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 124/7-125.

(2)-سورة النجم.

(3)-التفسير القرآني للقرآن: 14/599-600.

(4)-سورة المائدة: الآية 112.

-التأويل الأول:...وهذا التأويل فاسد، ظاهر الفساد... فكيف يلتقي هذا القول بـ... مع هذا الذي يقوله الله سبحانه وتعالى فيهم؟ إن مثل ذلك القول في الحوارين هو تكذيب صريح لكلام الله؟

-أما التأويل الآخر... وهذا تأويل مقبول على هذه القراءة...ولكن ما تأويل... على القراءة المشهورة... نقول والله أعلم...»⁽¹⁾.

«وأمر آخر من تلك المائدة، أثار اختلافا بين المفسرين، حتى لقد رأى بعضهم أن...! وهذا قول مردود، ورأي فاسد... وذلك:...

ولا ندري كيف نظر شيخ المفسرين "الطبري" إلى هذه الآية، ولا كيف طوع له قلمه أن يجعل لهذا الرأي مكانا في تفسيره؟»⁽²⁾.

4-صيغة "يكاد الإجماع":

عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾⁽³⁾ قال: «هذا ويكاد إجماع المفسرين ينعقد على...والذي نراه -والله أعلم- أن...غير مقبول، وذلك من أكثر من وجه: فأولا:...، الأمر الذي يجعل الآية معطلة عن إعطاء معنى يستفاد منها. وذلك مما تترهت عنه آيات الله وكلماته. وفي هذا يقول ابن حزم⁽⁴⁾ في كتابه "المحلى" ردا على من يقول بـ... إن هذا لعجب! وحق لابن حزم رحمه الله أن يعجب، ويعجب؟»⁽⁵⁾.

وإذا كانت هذه التصريحات للمفسر، تفرض على طالب العلم سلوك طريق البحث العلمي، لمعرفة وجه الصواب فيما اختلف فيه، فإن التصريح بمخالفة الإجماع، تجعله يشعر بضرورة الإضراب عن هذا التفسير جملة وتفصيلا. فهل يتحول هذا الشعور إلى فعل بعد الاحتكام إلى النظر والبحث العلمي لهذه المخالفة؟ ذلك ما سيأتي الحديث عنه لاحقا بعد تتبع

⁽¹⁾-التفسير القرآني للقرآن: 76-75/4.

⁽²⁾-التفسير القرآني للقرآن: 80-79/4.

⁽³⁾-سورة الحج: الآية 28.

⁽⁴⁾-هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، مؤرخ، محدث، فقيه، مفسر، أديب، أصولي متكلم، ت456هـ. انظر: معجم المفسرين: 1/351.

⁽⁵⁾-التفسير القرآني للقرآن: 1021-1020/9.

المواضع التي خالف فيها الإجماع:

ب- التصريح بمخالفة الإجماع:

يصرح عبد الكريم الخطيب فيما لا يقل عن عشرين موضعاً من تفسيره بمخالفة الإجماع⁽¹⁾، مستعملاً هذا اللفظ أو أحد مشتقاته نحو: أجمع، يجمع، مجمعون، أجمعوا، الإجماع... وهذا تصريح لا بد من تتبع مواضعه في الفقرة التالية؛ لمعرفة حقيقة هذه المخالفة في الدراسة النقدية من البحث لاحقاً.

ثالثاً: المواضع التي صرح فيها بمخالفة الإجماع:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾⁽²⁾ من سورة البقرة قال بعد تفسيره: «وهذا الذي ذهبنا إليه يجعل الآية الكريمة غير منسوخة، كما يقول ذلك المفسرون بإجماع»⁽³⁾.

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁽⁴⁾، قال عند تفسيره: هذه الآية «من الآيات الكثيرة التي قيل -على سبيل القطع- إنها منسوخة، وهي... دعوة كريمة من دعوات الإسلام إلى البر والإحسان»⁽⁵⁾ وان آية المواريث⁽⁶⁾ لم تنسخها كما يرى بإجماع القائلون بالنسخ⁽¹⁾.

(1) -وقد يستعمل ألفاظاً أخرى لها نفس المدلول كقوله: لا أحد من المفسرين، المفسرون قديماً وحديثاً، المفسرون على اتفاق.

(2) -آية 275.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 354/2.

(4) -سورة النساء: الآية 8.

(5) -التفسير القرآني للقرآن: 160/1.

(6) -«عن محمد بن المنكر سمع جابر بن عبد الله قال: مرضتُ فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر، يعوداني، ماشيين، فأغمني عليّ، فتوضأ ثم صبّ عليّ من وضوئه، فأفقت، قلتُ: يا رسول الله: كيف أفضي في مالي؟ فلم يرُدّ عليّ شيئاً. حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176]». انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفرائض، باب: ميراث الكلاله، حديث رقم 1616، 49/6.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾⁽²⁾ من سورة النساء قال عند تفسيره: «يجمع المفسرون على أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية الثانية من سورة النور وهي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ونحن... نرى أن هاتين الآيتين محكمتين وأههما...»⁽³⁾.

الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾⁽⁴⁾ من سورة النساء قال عند تفسيره: «وقد رأينا تعارض الأحاديث التي جاءت في المتعة، والذي ذكرناه منها قليل إلى الكثير الذي أجمعت عليه كتب الحديث والتفسير والذي نريد الجواب عليه هو: هل جاء القرآن الكريم بإباحة المتعة حقاً؟ وهل الآية الكريمة التي قيل إنها مستندة هذه الإباحة، هي نص في هذا الحكم الذي أخذوه منها، والذي يجمع عليه المفسرون، على اختلاف مذاهبهم...»⁽⁵⁾.

الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾⁽⁶⁾ من سورة النساء، قال بعد تفسيره: «هذا ما أجمع عليه المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾»⁽⁷⁾ ولكن الفهم الذي أستريح إليه، هو أن المراد بالذين عقدت أيمانكم هم الأزواج والزوجات»⁽⁸⁾.

الموضع السادس:

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 1/158 بتصرف.

(2) -الآيتان 15-16.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 2/718.

(4) -الآية 24.

(5) -التفسير القرآني للقرآن: 3/746.

(6) -الآية 33.

(7) -سورة النساء: الآية 33.

(8) -التفسير القرآني للقرآن: 3/780.

ما قاله عند تفسير الآيتين (95 و96) من سورة النساء⁽¹⁾.

الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا﴾⁽²⁾ من سورة المائدة قال عند تفسيره: «أجمع...المفسرون...أن هذين الرجلين لم يكونا موسى وهارون! والذي نقول به ونطمئن إليه، هو أن هذين الرجلين، هما موسى وهارون!! وشاهدنا على هذا، ما توحى به الآيات الكريمة، بل وتكاد تصرح به!...»⁽³⁾.

الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾⁽⁴⁾ من سورة المائدة، قال عند تفسيره: «إجماع المفسرين على أن هذا الوصف، هو وصف لهؤلاء القوم بعد أن دخلوا في الإسلام، هذا هو إجماع المفسرين في هذا المقطع من الآية... ومع هذا، فإني استريح لفهم آخر، غير هذا الفهم.. أرى أنه يفتح لهذا المقطع آفاقاً أرحب من هذا الأفق الذي حصره المفسرون فيه... فأقول -والله أعلم-...»⁽⁵⁾.

الموضع التاسع:

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ﴾⁽⁶⁾ من سورة الأنعام، قال بعد تفسيره: «وهذا الفهم الذي فهمنا عليه الآية الكريمة، هو الذي وقع في إدراكنا الشخصي، وهو فهم لم نجد من المفسرين من التفت إليه!

والذي عليه إجماع المفسرين، هو أن الأمر في قوله تعالى: ﴿فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ﴾⁽⁷⁾ موجه إلى النبي الكريم، وأن الذين هداهم الله ... هم من ذكرهم الله من الأنبياء والرسل في

(1)-انظر هذا البحث:ص

(2)-الآية 23.

(3)-التفسير القرآني للقرآن:3/1069.

(4)-الآية 54.

(5)-التفسير القرآني للقرآن:3/1120-1121.

(6)-الآية 90.

(7)-سورة الأنعام:الآية 90.

الآيات السابقة ... ولهذا كان خروج هؤلاء المفسرين من الاعتراض الذي استقبلهم به من يقول ... ضيقا حرجا، ومقولا لهم فيه متهافنة مضطربة»⁽¹⁾ .

الموضع العاشر:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾⁽²⁾، بعد تفسيره قال: «ويصح أن يكون المراد بالذين عند ربك هم الذين اصطفاهم واختارهم من بين الناس... وهذا المعنى الذي ذهبنا إليه -مخالفين في ذلك ما أجمع عليه المفسرون- هو المناسب لسياق النظم القرآني،...»⁽³⁾، ويقصد بذلك سياق هذه السورة ومطلع السورة اللاحقة .

الموضع الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁽⁴⁾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا لَكَ خِزْيًا عَلَىٰ لَكَ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُلَيْنِ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ⁽⁵⁾ من سورة الأنفال. قال عند تفسيره: «أجمع المفسرون على أن هذا الشرط خبر مراد به الأمر... وهذا الرأي الذي أجمع عليه المفسرون قائم على أن هذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها... والذي نراه -والله أعلم- أن هذا الشرط هو خبر في مبناه ومعناه، ومُفاده»⁽⁴⁾ .

الموضع الثاني عشر:

قوله تعالى: ﴿مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁵⁾ من سورة التوبة قال بعد تفسيره: «هذا مما أجمع عليه المفسرون.. غير أن لنا في الآية رأيا آخر، وهو أنها

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 234/4.

(2)-سورة الأعراف: الآية 206.

(3)-التفسير القرآني للقرآن: 556/5.

(4)-التفسير القرآني للقرآن: 669-668/5.

(5)-الآية 106.

تكشف عن جانب من رحمة الله بعباده، وتفضله على المذنبين العصاة منهم، وهم الذين لم يتوبوا إلى الله»⁽¹⁾.

الموضع الثالث عشر:

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾⁽²⁾ من سورة يونس، قال عند تفسيره: «المراد بالقرية هنا "مكة".. وقد أشار إليها القرآن الكريم بهذا الاسم في أكثر من موضع... والمفسرون مجمعون على أن هذه القرية مجرد قرية، أي قرية من تلك القرى التي أهلكها الله... والذي نستريح إليه، ونطمئن له، هو هذا الرأي الذي ذهبنا إليه... وقد جئنا من القرآن الكريم بما يدل على أنه يطلق عليها اسم "قرية"... ولنا على ذلك أيضا...»⁽³⁾ ويستعين بملفوظ الآية ومعنى السياق وغير ذلك.

الموضع الرابع عشر:

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾⁽⁴⁾ من سورة النحل، قال عند تفسيره: «يجمع المفسرون على أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾»⁽⁵⁾ هي لام التعليل... وعلى هذا... يكون المعنى أنهم إنما يحملون أوزارهم، أي آثامهم... هذا، وإني أستريح إلى مفهوم آخر لهذه الآية، وهي أن اللام هنا للأمر، وأن هذا الأمر موجه إلى هؤلاء المشركين...»⁽⁶⁾.

الموضع الخامس عشرة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾⁽⁷⁾ من سورة النور، قال عند تفسيره: «وقد أجمعت أقوال المفسرين جميعا، على أن معنى إكراه الإمام على البغاء، هو دعوة

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 891/6-892.

(2) -الآية 98.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 1085/6.

(4) -الآية 25.

(5) -سورة النحل: الآية 25.

(6) -التفسير القرآني للقرآن: 285/7.

(7) -الآية 33.

مالكيهن إلى طلب البغاء... هذا ما يفهم مما أجمع عليه المفسرون في تأويل هذه الآية.. وللمفسرين في هذا تخريجات وأسانيد يستندون إليها، ومرويات يأتون بها، في أسباب النزول، والأحداث التي لا يست نزول الآية..

والحق أننا لم نر في هذه التخريجات وجهها، نقبلها عليه، وأن نفهم كلمات الله بها، دون أن يكون في الصدر حرج، وفي القلب ضيق ووسواس!.. فمن أراد أن ينظر في هذه المرويات، وتلك التخريجات فهي مبثوثة في كتب التفاسير، يضيق الصدر بها، ويثقل على النفس نقلها هنا..

وقد هدانا الله سبحانه وتعالى، إلى مفهوم للآية الكريمة، نرجو أن يكون أقرب إلى الصواب، وأدنى إلى الحق.

فالفهم الذي نستريح إليه في الآية الكريمة.. هو... ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾⁽¹⁾ أيها المؤمنون ﴿فَنَيْتَكُمْ﴾⁽²⁾ أي إمائكم اللاتي يرغبن التحصن بالزواج- لا تكرهوهن على ﴿الْبَغَاءِ﴾⁽³⁾. وتحملوهن عليه حملاً، بمنعهن من التزوج»⁽⁴⁾.

الموضع السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽⁵⁾ من سورة النمل، قال بعد تفسيره: «والمفسرون مجمعون على أن ذلك الذي تحدث عنه الآية في شأن الجبال، إنما يقع يوم القيامة... على أن الذي حملنا على مخالفة هذا الإجماع، هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽⁶⁾ فإن ذلك إلفات إلى روعة الصنعة وإحكامها، وهذا لا يكون واقعا في نظر الإنسان يوم القيامة وهو يرى الجبال وقد تناثرت أشلاء!... وإنما يرى ذلك، وهي قائمة ثابتة، ثم هي في نفس الوقت متحركة تدور مع

(1)-سورة النور: الآية 33.

(2)-سورة النور: الآية 33.

(3)-سورة النور: الآية 33.

(4)-التفسير القرآني للقرآن: 1274/9-1275.

(5)-آية 88.

(6)-سورة النمل: الآية 88.

الأرض في دوراتها دون أن تسقط وتهوى! وفي هذا يتجلى إحكام الصنع وإتقانه»⁽¹⁾.

الموضع السابع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾⁽²⁾ من سورة سبأ، قال عند تفسيره: «والذي يجمع عليه المفسرون، أن الله قد ألان الحديد ليد داود، وغير طبيعته، فجعله في يده مثل العجين، يشكّله كيف يشاء... والرأي عندنا -والله أعلم- أن إلانة الحديد لداود، إنما كانت جارية على سنن الحياة، وأن الله سبحانه قد علمه الأسلوب الذي يلين به الحديد، وهو عرضه على النار، والنفخ في النار حتى يحمر، ويقبل الطرق.. وذلك ما لم يكن معروفا للناس في ذلك الزمن... ولهذا كان داود أول من صنع من الحديد دروعا»⁽³⁾.

الموضع الثامن عشر:

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽⁴⁾ من سورة يس، عند تفسيره قال: «المفسرون على إجماع بأن هذه القرية، هي "أنطاكية" وعلى إجماع كذلك بأن هؤلاء الرسل، هم من حواربي المسيح، ورسله الذين بعثهم ينشروا الدعوة للناس..

وهذا التأويل للقرية وللرسل، لا يقوم له شاهد من القرآن الكريم، ولا تدل عليه إشارة من إشارات القرية أو البعيدة.. وإنما هو من واردات أهل الكتاب، وأخبارهم. والخبر هنا وارد من المسيحية، وينسب إلى وهب ابن منبه⁽⁵⁾، الذي تلقاه من المسيحية...

فهذا التأويل -في نظرنا- لا يُعوّل عليه-، ما دام غير مستند إلى دليل من القرآن ذاته...

وندع القرية واسمها، والرسل والصفة التي لهم -ندع هذا الآن، ونعرض المثل على أن القرية واحدة من القرى الميثوثة في هذه الدنيا، وأن الرسل، هم بعض رسل الله إلى عباده»⁽⁶⁾.

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 299/10.

(2)-الآية 10.

(3)-التفسير القرآني للقرآن: 786-785/11.

(4)-الآية 13.

(5)-الحافظ ابو عبد الله الصنعاني عالم اهل اليمن، عنده من علم اهل الكتاب شيء كثير، ت114هـ. انظر: تذكرة الحفاظ:

100/1.

(6)-التفسير القرآني للقرآن: 914-913/11.

وبعد تفسير الآية والمقطع الذي وردت فيه قال:

«والصورة التي يصورها المثل واضحة مشرقة، لا ينقصها أن يفتقد اسم القرية فيها، ولا أن تغيب أسماء الرسل ومشخصاتهم.. إنها مستغنية عن كل هذا.. وإذا كان لابد من التطلع إلى ما وراء هذه الصورة... فليكن النظر مقصوراً على كتاب الله، وليكن التطلع محجوزاً في هذه الحدود... لا يتجاوزها.. وننظر في القرآن الكريم فنرى:....»⁽¹⁾.

الموضع التاسع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾⁽²⁾ من سورة الفتح، قال عند تفسيره: «يجمع المفسرون على أن ما تشير إليه الآية.. إنما هو عن صلح الحديبية.. ولكن قوله تعالى: ﴿بِطَّنِ مَكَّةَ﴾⁽³⁾، يرد هذا القول.. فالمؤمنون لم يدخلوا مكة عام الحديبية بل لم يظفروا بالمشركين الظفر الذي يمكن لهم منهم.. والذي نراه -والله أعلم- أن هذا إنما كان يوم الفتح...»⁽⁴⁾ ويبرهن على ما يقول.

الموضع العشرون:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾⁽⁵⁾ من سورة القلم، بعد تفسيره قال: «ويجمع المفسرون على أن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾⁽⁶⁾ هو بمعنى أنهم حين أقسموا على صرم الجنة صباحاً، ولم يستثنوا في هذا القسم، أي لم يقولوا: إن شاء الله!! وهذا المعنى غير مقبول من وجوه:....»⁽⁷⁾.

الموضع الواحد والعشرون:

(1) -المصدر السابق: 921-917/11.

(2) -الآية 24.

(3) -سورة الفتح: الآية 24.

(4) -التفسير القرآني للقرآن: 421/13.

(5) -الآية 18.

(6) -سورة القلم: الآية 18.

(7) -التفسير القرآني للقرآن: 1093/15.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾⁽¹⁾ من سورة الليل، قال عند تفسيره: «المفسرون مجمعون على أن الآخرة، هي الحياة الآخرة، وأن الأولى هي الحياة الدنيا.. والرأي عندنا—والله أعلم— أن الآخرة والأولى، هما اليسرى والعسرى، اللتان أشار إليهما سبحانه وتعالى في الآيات السابقة وهو في ذلك إشارة إلى أن اختيار الإنسان ليسرى أو العسرى، وإن بدا أنه اختيار مطلق، هو مقيد بمشيئة الله»⁽²⁾.

الموضع الثاني والعشرون:

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾⁽³⁾ من سورة المسد، قال عند تفسيره: «المفسرون مجمعون على أن هذا دعاء على أبي لهب من الله سبحانه وتعالى، بقطع يديه،... والرأي عندنا—والله أعلم— أن هذا الخبر على حقيقته، وأنه خبر مطلق، لم يخرج عن حقيقته إلى الدعاء.. فأبو لهب قد وقع عليه الهلاك فعلا»⁽⁴⁾.

هذا هو ملخص النقد الذي وجهه عبد الكريم الخطيب للمنهج الذي اتبع في تفسير القرآن الكريم، وفي الفصل الآتي بسط بالمنهج الذي ينبغي اتباعه في تفسير القرآن كما يقول.

(1) - الآية 13.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 1596/16.

(3) - الآية 1.

(4) - التفسير القرآني للقرآن: 1704/16.

الفصل الثاني:

منهج عبد الكريم الخطيب في

تفسير القرآن بالقرآن

تمهيد:

لمعرفة منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن نعقد ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: يطلعنا على تعريف عبد الكريم الخطيب ذاته لهذا المنهج

والمبحث الثاني: يوقفنا على المنهج المتبع في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر.

أما المبحث الثالث: فيعرفنا بمنهجه في تفسير النص القرآني بما يدل عليه القرآن.

المبحث الأول:
تعريف عبد الكريم الخطيب
بمنهجه في التفسير

لقد صرح عبدالكريم الخطيب أن التفسير السليم لكتاب الله هو التفسير الذي يعتمد فيه على القرآن ذاته. وأن هذا المنهج هو المتبع في تفسيره، ولذلك سماه "التفسير القرآني للقرآن". والمطلع على تفسيره هذا، يقف من حين لآخر على ما يقوله معرفاً بمنهجه في تفسير القرآن بالقرآن، وخلاصة ما يقوله نذكرها في المطالب الآتية :

المطلب الأول: أهم ما صرح به عبد الكريم الخطيب كتعريف بمنهجه في التفسير:

يعتبر تصريح عبدالكريم الخطيب في مقدمة تفسيره "التفسير القرآني للقرآن" بمنهجه في التفسير؛ أول وأهم تعريف بهذا المنهج. وحينما تتبع تفسيره كله تقف من حين لآخر على تصريحات تزيد هذا التعريف بياناً وتؤكداه:

أولاً: التعريف الذي صرح به في المقدمة :

أ- قال عبد الكريم الخطيب:

«والقرآن-من غير شك أو جدال- هو مصدر الشريعة الإسلامية، وهو دستورها القائم أبد الدهر ..

وقد استغنى به المسلمون في الصدر الأول للإسلام، فأغناهم عن كل شيء.. لا يمدون أبصارهم إلى غيره، ولا يأخذون لدينهم ودنياهم إلا بما توحى به إليهم كلماته، وتومىء به إليهم آياته!

وطبيعي أن هذا الذي نقوله عن كتاب الله، نقوله كذلك فيما ثبت من سنة رسول الله القولية والفعلية، إذ كانت السنة المطهرة تطبيقاً شارحاً لكتاب الله، وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽¹⁾.

ولا يستقيم هذا القول، الذي نقوله في القرآن -بأنه مصدر التشريع الإسلامي- إلا بفهم سليم صحيح لكتاب الله، ولا يكون هذا الفهم السليم الصحيح إلا عن طول تأمل وتدبر لكتاب الله، وتذوق لأساليب بيانه، ووقوف على بعض أسرارهِ .

وبهذا الفهم لكتاب الله، يتحقق لنا أمران:

(1)-سورة الحشر: الآية 7.

أولهما: اتصالنا بكتاب الله اتصالاً وثيقاً، قائماً على معرفة به ...

وثانيهما: تصور مسائل الدين تصوراً واضحاً محدداً، بلا ذُيول، ولا معلقات... ومن أجل هذا كانت صحبتنا هذه لكتاب الله، على هذا الوجه، الذي لا ننظر فيه إلى غير كتاب الله، وإلى تدبر آياته، بعيداً عن طنين المقولات الكثيرة التي جاءت إلى القرآن من كل صوب، وكادت تخفت صوته... إننا في صحبتنا هذه للقرآن لا نقيم نظراً على غير كلماته وآياته، ولا نخط على هذه الصفحات غير ما يسمح لنا به النظر في كلماته وآياته .

إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير، في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله.. وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلاً.. آية آية، أو آيات آيات.. ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة، لما تطالعنا به الآية أو الآيات.. من عجب ودهش وروعة، ثم نُمسك القلم، لنُمسك به على الورق بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة.. وإنها لصور باهتة بالنسبة للواقع الذي حملته تلك المشاعر.. فما أبعد الفرق بين الشعور المشتمل علينا ونحن بين يدي كلمات الله، وبين الكلمة التي تنقل هذا الشعور!! ولكنها -على أي حال- معلم من معالم الطريق إلى كتاب الله، يمكن أن يجد فيه السالك نورا، ويزداد به المهتدي هدى..

﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقْبَلُهُمْ﴾⁽¹⁾ ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽²⁾ .⁽³⁾

ب- والتأمل في هذا التصريح يلاحظ :

1- أن عبد الكريم الخطيب يؤكد على ضرورة فهم القرآن الكريم من القرآن ذاته، وبعيدا عن أي مصدر آخر، عدا السنة المطهرة لأنها تطبيقٌ شارحٌ لكتاب الله. وبذلك يتحقق الفهم السليم والصحيح للقرآن، وليس أدل على ذلك كما يصرح؛ استغناء السلف الصالح من الصدر الأول للإسلام، بالقرآن منهجا في حياتهم الدينية والدينية.

2- وطريق هذا الفهم الصحيح؛ إنما هو طول التأمل والتدبر لآياته، وأخذ فهم بعض القرآن من القرآن ذاته، لا من أي مصدر آخر .

⁽¹⁾ -سورة محمد: الآية 17.

⁽²⁾ -سورة البقرة: الآية 213.

⁽³⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 10/1-12

3- ثم يشير إلى أن ما يتوصل إليه بعد التدبر والتأمل لكتاب الله العزيز، إنما هو معلم من معالم الطريق إليه - فشتان بين ما يتوصل إليه وبين حقيقة المعنى لنصوص القرآن - مؤكدا كذلك أن تفسيره ليس بالمعنى المعروف والمشهور للتفسير.

ثانيا: تعريف صرح به في معرض حديثه عن النفقة للمتوفى عنها زوجها:

أ- في أكثر من موضع من "التفسير القرآني للقرآن" يؤكد عبد الكريم الخطيب على ضرورة عدم الخروج من إطار النصوص القرآنية لفهم مسائل القرآن، ولا سيما المسائل التي يتوزع ذكر أجزائها في أكثر من سورة. نحو مسألة المرأة وحقوقها كزوج، أو مطلقة، أو متوفى عنها الزوج، وغير ذلك من الحالات التي تعتري حياتها، وينتقد التفسير الذي ينطلق من الواقع لفهم النص؛ لأن الصحيح هو فهم النص وإنزاله إلى هذا الواقع كيفما كان، ومما صرح به في هذا الشأن قوله:

«وفي القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة - كما قلنا - منهاج متكامل حكيم لإقامة هذا البناء. وإحكام هذا النسيج المتلاحم بين الرجل والمرأة...»

ولكن الذي حدث كان على غير هذا الاتجاه، إذ أن تفسير القرآن بدأ في عصر كانت فيه المرأة قد أخذت وضعاً جائراً في المجتمع ...

وحين أخذ المفسرون ينظرون في كتاب الله، وفي الآيات التي تمس المرأة، وتقرر الأحكام التي تربط بينها وبين الرجل، وتحدد ما لها من حقوق وما عليها من واجبات - حينئذ كانت نظرة المفسرين إلى المرأة واقعة على هذه الصورة الشائنة لها⁽¹⁾، المعزولة عن الوضع الصحيح الذي أقامتها الشريعة عليه... ومن هنا كان تأويل آيات الكتاب الكريم واقعا تحت هذا المفهوم الجديد للمرأة، متأثرا به، مقدورا بقدره!

وقد جاء الفقهاء على آثار المفسرين فنظروا من وراء نظرهم، وبنوا أحكامهم على أساس تلك النظرة... والشيء الذي يلفت الانتباه في هذا هو أن كلمة المفسرين الأولى في تأويل كتاب الله، كانت طريقا سلكه كل من [جاء]⁽²⁾ بعدهم، فنظر بنظرهم، وأخذ بما أخذهم، إذ وجد من الحرج أن يعيد نظره فيما نظر فيه السلف، الذين كانوا أقرب إلى عصر النبوة وإلى تنسم

(1) - جاء في اللسان: الشوهاة: القبيحة. أما كلمة شائنة فلم ترد. انظر: 236-235/5.

(2) - كتبت في التفسير القرآني للقرآن "جاءه" انظر: 293/1.

أنسامها الطيبة.

والحق أن هذا الشعور قد حجز كثيرا من العقول على أن تتصل بكتاب الله وبالسنة المطهرة اتصالا مباشرا، غير واقع تحت تأثير هؤلاء السلف الذين اجتهدوا فأخلصوا الاجتهاد، ولكن لا عليهم أن يجتهد غيرهم، بل لم يكن في تقديرهم أن يقولوا ثم لا يكون لغيرهم مقالا فيما قالوا!

وأحسب أنه لو تخففنا من هذا الشعور إلى الحد الذي يسمح لنا بحرية الحركة، واستقلال النظرة لوجدنا بين أيدينا التشريع الإسلامي الذي يقيمنا على أوضاع سليمة مستقرة في حياتنا المادية والروحية ...

وأكثر من هذا - فإننا لو ذهبنا نأخذ شريعتنا من مصدرها الأول - الكتاب والسنة - لوجدنا أن كثيرا من القضايا الهامة في حياتنا التي جاءت إلينا باسم الدين، وصارت وجهها من وجوهه، ومادة من مواد دستورهِ، لم تكن من الدين، وإنما وقعت من تأويلات، تحكّم فيها يومئذ واقع الحياة، وتحيف فيها المتأولون»⁽¹⁾.

ب- وهذا تصريح آخر يؤكد فيه عبد الكريم الخطيب على:

ضرورة فهم النص القرآني والمسألة القرآنية من القرآن ذاته، انطلاقا من القرآن وليس انطلاقا من ما فهمه من سبقنا. لاحتمال عدم مطابقة فهم من سبقنا للمقصود من النصوص القرآنية. لأنه وعلى أقل تقدير أنهم لا يريدون من غيرهم التقيد بهذا الفهم وهذا الاجتهاد. وإنما التقيد المطلوب هو عدم الخروج عن إطار الكتاب والسنة في الفهم.

وخلاصة القول هي :

يتمثل منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن الكريم: في بيان معنى النص القرآني من القرآن ذاته، وطريق ذلك طول التأمل والتدبر للقرآن ولمنهجه في عرض الحقائق وذكر الأخبار وبسط التكليف، ودون إغفال للسنة المطهرة لأنها بيان للقرآن. وكذا الإطار الزمني وملابسات التزول خاصة لنصوص قرآنية معينة، هذا ما يبدو للمطلع على التفسير القرآني للقرآن.

⁽¹⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 293/1-295. فهذا بعض ما قاله تحت فصل "النفقة للمتوفى عنها زوجها" عقده لنفي ما يقوله المفسرون على حد تصريحه، بأن الآية منسوخة بآية المواريث. أنظر التفسير القرآني للقرآن: 288/1-295.

المطلب الثاني: استمداد هذا المنهج من منهج القرآن ذاته:

يتحدث عبد الكريم الخطيب بين الحين والآخر عن طريقة القرآن الكريم في عرض الحقائق وتقرير الأحكام وذكر الأخبار، ويؤكد على ضرورة فهم هذه الطريقة؛ لأنها هي السبيل لتفسير ما غمض منه في مواضع. بما هو بين في مواضع أخرى؛ لذلك تجده يعقد بين الفينة والفينة فصولاً؛ يتحدث فيها عن منهج القرآن في عرض بعض المسائل التي توزع ذكر أجزائها فيه، وقد تجد ذلك عند تفسيره لبعض النصوص القرآنية.

ويمكن تلخيص ما قاله وأكد عليه في أمرين اثنين :

الأول: مسألة التدرج والمرحلية:

تعتبر طريقة التدرج والمرحلية في بناء الفرد الذي يريده القرآن، إن على مستوى علاقته بخالقه أو على مستوى علاقته بنفسه أو بغيره، الأساس الذي يقوم عليه منهج القرآن في تقرير الأحكام، وعرض الحقائق، وغير ذلك، وليس أدل على هذا نزول القرآن منجماً، وقد أشار عبد الكريم لهذه القضية في أكثر من موضع من تفسيره نحو قوله:

أ- «أن القرآن الكريم كان يتزل منجماً، وأن التشريع الإسلامي جاء متدرجاً، شيئاً فشيئاً، وحالاً بعد حال، حسب تقدير العزيز العليم، وحكمة الحكيم الخبير، حتى تتأصل أصول الشريعة، وترسخ أحكامها، وتزل من النفوس منزلة الاطمئنان والقرار..

فالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وهي أركان الإسلام، بعد الإيمان بالله - هذه العبادات لم تُفرض على المسلمين مرة واحدة.. بل فرض بعضها في مكة، قبل الهجرة، كالصلاة، التي فرضت بعد الإسراء، ثم فرضت الزكاة، والصوم - في السنة الثانية بعد الهجرة، ثم الحج، الذي كان آخر ما فرض من العبادات!...»⁽¹⁾

ب- ولعل ما قاله تحت عنوان "فتنة الترتيب التزولي للقرآن"⁽²⁾ أجمع وأدق من جل

(1) - التفسير القرآني للقرآن: 52/4. قال ذلك عند تفسير الآيتين 101-102 من سورة المائدة.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 632/11-644. فهو يرد هذه الفكرة مؤكداً أنها «أخطر سلاح يحارب به الإسلام» كما يقول في حاشية هذا المبحث. انظر 644/11.

تصريحاته فيما يتعلق بهذه المسألة، وخلاصة هذا الفصل تدور حول حكمة الترتيب التوقيفي⁽¹⁾ للقرآن، القائم وفق منهج رباني ليس لأحد حق التدخل فيه أو تغييره، ومما قاله في هذا الفصل: «فهناك دوران قام عليهما بناء القرآن الكريم.. دور الدعوة.. ثم الدور الذي تلاها.. ولكل من الدورين أسلوبه، وغايته.

القرآن في دور الدعوة :

ونزول القرآن في دور الدعوة، قام على أسلوب خاص، من حيث تنجيم النزول، وترتيبه معاً... ومن حيث ترتيب النزول.. فقد نزل القرآن لغاية تحقق أمرين:

أولهما: اقتلاع الشرك... ليقم في الأرض مكانا للإيمان بالله..

وثانيهما: إقامة شريعة في تلك المواطن التي قام فيها الإيمان...

ولتحقيق الأمر الأول... كانت آياته التي تنزل في هذه المرحلة... جندا مرسله من الله، تدك معاقل الشرك، وتهدم حصونه، وتفتح للعقول والقلوب، الطريق إلى الله.

وقد استغرقت هذه المرحلة الجزء الأكبر من الدعوة الإسلامية، في إقامة الحجج على وجود الله، وكشف البراهين على وحدانيته، وماله سبحانه من صفات الكمال والجلال... وفي أثناء هذا الدور كانت تنزل بعض الآيات في الدعوة إلى مكارم الأخلاق...

فلما انكسرت شوكة الشرك... أخذت آيات الله تنزل بأحكام الشريعة التي تقوم عليها الحياة الروحية والمادية لهذا المجتمع... فكان ما ينزل من آيات الله في هذا الدور، يكاد يكون مقصوراً على بناء أحكام الشريعة، من عبادات، ومعاملات، وحدود، ومن سلم، وحرب، وغنائم، وغير ذلك مما ينتظمه قانون الشريعة الإسلامية⁽²⁾.

وقد جاءت «متدرجة في تكاليفها من السهل إلى الصعب»⁽³⁾ حتى يألف الذين دخلوا في الإسلام هذا الدين «هذا هو الخط الذي قامت عليه سيرة الدعوة الإسلامية، وعلى هذه المسيرة

(1) - فبعد الكريم الخطيب من الذين يقولون ترتيب السور توقيفي، انظر: التفسير القرآني للقرآن: 940/14

و1727/16...

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 640-638/11.

(3) - المصدر السابق: 640/11.

كانت تنزل آيات الله بالزاد الذي تحتاج إليه كل مرحلة.. حتى كانت آخر آية نزلت من كتاب الله...

القرآن بعد دور الدعوة: ...

كان الترتيب التزولي مقدرا بحاجة الدعوة في مسيرتها من مبدئها إلى ختامها، وموقوتا بهذا الوقت الذي يكمل فيه نزول القرآن.. فلما تم نزول القرآن، وختم الرسول دعوته، أخذ القرآن هذا الترتيب السماوي، الذي يعيش في ظله، مجتمع مسلم، آمن بالله... ولم يعد من تدبير القرآن أن يواجه الناس آية آية، أو آيات آيات، أو يلقيهم حالا بعد حال، وحدثا إثر حدث، وإنما الذي يلقيهم منذ ختم الرسالة كتاب الله جميعه.. كأنه آية واحدة هي شريعة الله، ودستور المسلمين...»⁽¹⁾.

ثانيا: مسألة الإجمال والتفصيل:

أن المنهج الذي كانت تقرر على أساسه أحكام الشريعة، وتعرض وفقه الحقائق، من بداية التزليل إلى نهايته قد جاء في قالب أو أسلوب معين، كأن يحمل الأمر بتكليف ما ثم يفصل فيه في موضع آخر، أو يذكر من الحدث ما يناسب الحال الذي نزل فيه ثم يبسط الحديث عنه في أحوال أخرى، فيبدو في تعدد ذكر النص القرآني بلفظه أو بشيء من التغيير، أنه تكرار وما هو بتكرار، بل هو التكامل وزيادة البيان للمعنى المراد من ذلك.

وقد تحدث عبد الكريم الخطيب عن هذا التكرار - كما يسمى - أكثر من مرة⁽²⁾ مؤكدا ضرورة الاستعانة به عند تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه في الحقيقة إجمال وتفصيل أو إيجاز وبسط أو تلميح وتصريح، وغير ذلك من أساليب النظم القرآني المعجز. وأبرز ما قاله في ذلك ما يلي: «والدعوى التي ندعيها لداعية التكرار في القصص القرآني، وفي كل تكرار في القرآن الكريم - هي أن هذه الصور المكررة يكمل بعضها بعضا، وأنها في مجموعها تعطي صورة واضحة، كاملة، مجسمة، أو شبه مجسمة للحدث، وأن ما يبدو من أنه اختلاف بين المقولات، في الواقعة، الواحدة، أو الحدث الواحد، ليس إلا تجميعا لمتناثر الأقوال من هذه الواقعة أو ليس إلا التقاطا لظاهر القول، وما يكمن وراءه من خواطر وخلجات، لا يستطيع أن يمسك بها إلا النظم

⁽¹⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 640/11-643.

⁽²⁾ - أنظر التفسير القرآني للقرآن: 1/137، 8/802، 10/76، 11/538، 14/642-643، 769...

القرآني وحده، على هذا الأسلوب من التكرار الذي جاء به..

أما النظم القرآني، فإنه يعرض المشاهد بأبعادها، وأعماقها، وحرركاتها، وسكناتها، وبنطقتها وصمتها... ثم لا يكون ذلك كله إلا بعدد محدود من اللقطات، لا يكاد يتجاوز أصابع اليد عدا.

ومن تدبير القرآن الكريم في هذا، أنه لم يجمع هذه "اللقطات" في معرض واحد، حتى لا تتراكم وتتراكم، بل جعلها موزعة في مواضع متباعدة أو متقاربة في القرآن الكريم، بحيث يمكن أن تستقل كل "لقطة" منها بذاتها مستغنية عن كل تفصيل، ثم بحيث لو نظر ناظر إليها من خلال "اللقطات" الأخرى المماثلة... لوجد منها جميعا تجاوبا، واتساقا واثلافا⁽¹⁾.

ب- ومن حين لآخر يؤكد مسألة بيان القرآن بالقرآن، والتي جاءت في أسلوب الإجمال والتفصيل، والإيجاز والبسط، وغيرها، وهو يفسر النصوص القرآنية فيقول مثلاً: «هذه الآية الكريمة، تجمع أصول الشريعة الإسلامية كلها.. فهي أقرب شيء إلى أن تكون عنوانا للرسالة الإسلامية، ولكتابها الكريم، إذ لا تخرج أحكام الشريعة وآدابها عن هذا المحتوى الذي ضمت عليه تلك [الآية]⁽²⁾... وما في كتاب [الله]⁽³⁾ كله هو شرح لما أمر الله سبحانه به من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وما نهى عنه من الفحشاء والمنكر والبغي»⁽⁴⁾ قال ذلك عن آية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: العبارات التي يستعملها عند تفسير القرآن بالقرآن:

إذا كان منهج القرآن التدرج والمرحلية، وكان الأسلوب العام الإجمال والتفصيل، فإن العبارات أو قل المصطلحات التي تستعمل عند تفسير النص القرآني بالقرآن، تدور حول معنى

⁽¹⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 100/10-102 هذا بعض ما قاله في مبحث بعنوان التكرار في القصص القرآني. أنظر:

134-96/10.

⁽²⁾ -كتبت في التفسير القرآني للقرآن "لاية": 351/7.

⁽³⁾ -كتبت في التفسير القرآني للقرآن "لله": 351/7.

⁽⁴⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 351/7..

⁽⁵⁾ -سورة النحل: الآية 90.

واحد وهو بيان القرآن بالقرآن، بل ثمة ألفاظ قرآنية تدل على هذا المعنى كما يقول، وفيما يلي مزيد من التفصيل:

أولاً: ألفاظ قرآنية تدور حول معنى بيان القرآن بالقرآن:

من النصوص القرآنية التي تدل على بيان القرآن بالقرآن، كما جاء في التفسير القرآني للقرآن:

أ- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾⁽¹⁾ قال عبد الكريم الخطيب عند تفسيره: «وتصريف القرآن هو تنويع معارضه وعرض حقائقه ومقرراته في صور متعددة بين الإيجاز والبسط والإجمال والتفصيل والتصريح والتلميح إلى غير ذلك من أساليب البيان التي ملك القرآن زمامها واستولى على غايتها»⁽²⁾.

ب- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾⁽³⁾ قال عند تفسيره: «فإنه مازال الوحي يتنزل، وما زالت آيات الله تحيى بتفصيل ما أجمل من أحكام، وأحداث، وقصص... حيث إن البيان إنما تم في زمن متباعد، ينتظم فترة الوحي كلها، من مبدأ أول آية نزلت إلى أن تم نزول القرآن كله»⁽⁴⁾.

فالظاهر أن عبد الكريم الخطيب، يستمد دليل بيان القرآن بالقرآن من مثل هذين النصين القرآنيين، بما في ذلك لفظي "صرفناه" و"بيانه". ولذلك تجده يستعمل عبارة «ومنهج القرآن في كذا وكذا» وما يشبهها بين الحين والآخر، وهو يتحدث عن بعض المسائل القرآنية التي تفرق ذكرها في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم.

ثانياً: استعماله عبارة "والقرآن يفسر بعضه بعضاً" وما يشبهها:

يستعمل عبد الكريم الخطيب عبارة "والقرآن يفسر بعضه بعضاً" وما يشبهها عند تفسير

(1) - سورة الفرقان: الآية 50.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 38/10. والملاحظ أن عبد الكريم الخطيب يخالف المفسرين في بيان عود الضمير من قوله تعالى:

﴿صَرَّفْنَاهُ﴾. أنظر مثلاً: جامع البيان: 29/19/11، تفسير القرآن العظيم: 601/4، محاسن التأويل: 449/7. تفسير

الشعراوي: 10466/17. فهو يعود على المطر كما قالوا.

(3) - سورة القيامة: الآية 19.

(4) - التفسير القرآني للقرآن: 1335/15.

بعض النصوص القرآنية بالقرآن، ليؤكد مسألة البيان القرآني لتلك النصوص، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ﴾ (١) ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۖ﴾ (٢) ﴿فَالثَّلَاثَاتِ ذِكْرًا ۖ﴾ (٣) «والذي نرجحه من هذه الآراء هو -والله أعلم- القول بأن هذه الأوصاف للملائكة وذلك: أولاً: أن الله سبحانه ذكر في أول سورة فاطر قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾ (٤) وفي هذا إشارة إلى أن الملائكة يصفون كما تصف الطير بأجنحتها.

وثانياً: أن الله سبحانه ذكر في آخر هذه السورة "الصفات" قول الملائكة: ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (٥) ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (٦) والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً؛ وتقوم دلالات بعض آياته شواهد على بعض (٣).

ب- وعند تفسير قوله تعالى:

﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٧)

قال: «اختلف في مرجع ضمير النصب في الأفعال... ونرى -والله أعلم- أن الضمائر، بعضها عائد إلى الله سبحانه وتعالى، وبعضها عائد إلى الرسول ﷺ، فالتعزير للرسول ﷺ وهو في الوقت نفسه تعزير لله... ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]. فالضمائر هنا كلها عائدة إلى الرسول الكريم من غير شك، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً» (٥).

ثالثاً: استعماله عبارة "تفصيل مجمل" وما يدور في معناها:

يستعمل عبد الكريم الخطيب عبارة "تفصيل مجمل" وما يدور في معناها عند تفسيره للنص القرآني بالقرآن في عدة مواضع من تفسيره، ولا يلتزم بذلك في كل موضع يصدق فيه

(١) -سورة الصفات.

(٢) -الآية: 1.

(٣) -التفسير القرآني للقرآن: 961/12-962.

(٤) -سورة الفتح: الآية 9.

(٥) -التفسير القرآني للقرآن: 404/13-405.

استعمال مثل هذه العبارات وفيما يلي أمثلة:

أ- استعمال عبارة "تفصيل مجمل":

1- قال عبد الكريم الخطيب: «في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾⁽¹⁾ حكم عام مجمل للميراث، وستجيء الآيات بعد ذلك بأحكامه مفصلة مخصصة»⁽²⁾ ويقصد بالآيات قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾⁽³⁾ وما بعده حيث قال عند تفسيره: «في هذه الآية والآية التي بعدها»⁽⁴⁾ بيان، لأحكام الميراث، التي أجملتها الآية (7) من هذه السورة»⁽⁵⁾ أي سورة النساء.

2- بعد ذكر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾⁽⁶⁾ قال: «هذا هو مجمل القضية، وخاتمة المطاف»⁽⁷⁾، ويقصد بذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ثم تجيء الآيات بعد هذا مفصلة هذا الإجمال، تفصيلاً مجملاً أيضاً؛ حيث كان لهذه القصة أكثر من ذكر في القرآن الكريم فيه بسط وتفصيل لها..⁽⁸⁾

ب- استعمال عبارات أخرى مثل :

1- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾⁽⁹⁾ قال: «وهنا في هذه الآية نجد أن بعضها يفسر بعضاً، وأن قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي

(1)- سورة النساء: الآية 7.

(2)- التفسير القرآني للقرآن : 704/2.

(3)- سورة النساء: الآية 11.

(4)- الآية: 12.

(5)- التفسير القرآني للقرآن: 709/2.

(6)- سورة يونس: الآية 75.

(7)- لتفسير القرآني للقرآن: 1055/6.

(8)- المصدر السابق: 1055/6-1056 بتصرف.

(9)- سورة البقرة: الآية 124.

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا⁽¹⁾ هو التفسير المناسب للكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم... ويُعصد هذا المعنى الذي نراه، ارتباطه بما سبقه من الحديث عن أهل الكتاب، وأنهم حملوا أمانات فضيعوها⁽²⁾.

2- بعد ذكر قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾⁽³⁾، قال: «هذه الآية هي بيان لما جاء في قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾⁽⁴⁾ فهذا الذي يتلى على المؤمنين في هذه الآية، هو البيان الشارح لهذا الاستثناء!

فهذه المحرمات هي استثناء من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾⁽⁵⁾، وهي: الميتة، والدم، ولحم الخنزير⁽⁶⁾.

رابعاً: وقد لا يستعمل أي عبارة مثل:

أ- تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽⁷⁾ «يوم الدين: هو يوم الدينونة، أي الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾⁽⁸⁾»⁽⁹⁾.

ب- وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾⁽¹⁰⁾: «الآية التي أقسم المشركون على أنهم يؤمنون بها لو جاءتهم، ووقعت تحت حواسهم -هي التي

(1)- سورة البقرة: الآية 124.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 139/1.

(3)- سورة المائدة: الآية 3.

(4)- سورة المائدة: الآية 1.

(5)- سورة المائدة: الآية 1.

(6)- التفسير القرآني للقرآن: 1028/3.

(7)- سورة الفاتحة: الآية 4.

(8)- سورة الإنفاطار.

(9)- التفسير القرآني للقرآن: 18-19.

(10)- سورة الأنعام: الآية 109.

كانوا يقترحونها على النبي، فيما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْنِئْنَا بِتَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [5: الأنبياء]⁽¹⁾. وقوله سبحانه: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [7-8: الفرقان].. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾⁽²⁾.

هذه هي بعض الآيات التي أقسموا بالله جهد أيمانهم -أي قسما مؤكدا بكل المؤكدات- لو جاءتهم آية منها ليؤمنن بها، ويتخذونها دليلا على صدق النبي⁽³⁾.

فهذه الأمثلة تؤكد مسألة اعتماد عبد الكريم الخطيب على القرآن في تفسير القرآن كما يبدو، وطريق ذلك التدبر، والتأمل والنظر، والمعنى الذي يسجله للنص القرآني إنما هو حوصلة لما يوصل إليه هذا التدبر ولذلك لا يلتزم عند البيان بأي أمر من الأمور المتعلقة بهذا المنهج: المصدر ومصطلح البيان، وغيرهما. وفيما يلي حديث عن هذا التدبر.

المطلب الرابع: التدبر دعامة أساسية في تفسير عبد الكريم الخطيب القرآن بالقرآن:

مما لاشك فيه أن منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن يقوم على أساس إعمال العقل في النص القرآني؛ وهذا ما صرح به هو ذاته مرارا وتكرارا، والذي يؤكد ذلك كثرة انتقاده طريقة تفسير القرآن بغير القرآن كما صرح بذلك.

فالتدبر والتأمل والنظر في النص القرآني هو السبيل لتفسيره من القرآن ذاته، ودون إغفال للغة وملايسات التزول، ثم إن هذا التدبر قد يختلف من نص لآخر، وهذا ما سيأتي الحديث عنه:

أولا: التدبر نقطة انطلاق لتفسير النص:

صرح عبد الكريم الخطيب في مقدمة تفسيره قائلا: إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف

(1)- في التفسير القرآني للقرآن وردت هكذا " (5: الأنعام) " وهذا خطأ. انظر: 259/4.

(2)- سورة الإسراء: الآية 90-92.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 259/4-260.

للتفسير، وإنما نحن نرتله ترتيلاً؛ أي ينظر ويتأمل ويتدبر ثم يسجل المعنى، والمتتبع لتفسيره يلاحظ كثرة استعمال هذه العبارات وما يدور في معناها، نحو قوله:

*«ونقرأ الآيات مرة ومرة... ثم نعود فنقرأها قرآناً مرتلاً، ونجيتها مستصحبين قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾⁽¹⁾، وننظر في وجه الآية مرة أخرى»⁽²⁾.

*«وحسبنا أن ندلي بما عندنا من فهم للآية الكريمة وما في نظمها الذي جاءت عليه من إعجاز، لا يتحقق إلا بالنظر إليها، نظراً مباشراً، من غير أن يدخل عليها ما يغير من صورة نظمها»⁽³⁾.

ومثل هذه العبارات التي يصرح بها إنما تكثر في النصوص التي تحتاج إلى تدبر كبير، بينما الجزء الأكبر من القرآن لا يلاحظ فيه استعمال هذه العبارات عند التفسير، وكأنه يبين من أول نظر.

ثانياً: التدبر لا يتعدى حدود ألفاظ النص عند التفسير:

أ- ثمة نصوص قرآنية لا يتوقف تفسيرها على فهم السياق القرآني - العام والخاص - فالتدبر في هذه الحالة لا يتعدى حدود ألفاظ النص القرآني، ومثال ذلك قول عبد الكريم الخطيب: «ذلك هو الوجه الأقرب للمفوض الآية...»⁽⁴⁾، «وهذا ما ينطق به ظاهر اللفظ... والحمل على الظاهر أولى...»⁽⁵⁾، «والآية الكريمة في منطوقها لا تعطي هذا المفهوم»⁽⁶⁾، «وصريح اللفظ أنه - عليه السلام - هم بها، كما همّت به...»⁽⁷⁾ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾

(1) - سورة المزمل: الآية 4.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 64/4.

(3) - المصدر السابق: 341/4.

(4) - المصدر السابق: 53/1.

(5) - المصدر السابق: 351/2.

(6) - المصدر السابق: 740/3.

(7) - سورة يوسف: الآية 24.

هكذا صريح اللفظ القرآني...»⁽¹⁾.

فهذه تصريحات تشير إلى أن الاكتفاء بمنطوق النص عند التفسير أمر نسبي كذلك.

ب- وثمة نصوص بيّنها في ألفاظها أو في منطوقها، إلا أن ذلك البيان ليس هو نفس المقصود من البيان لنصوص أخرى في ملفوظها؛ بمعنى أن إعمال العقل في مثل هذه النصوص يعني التسليم بما يدل عليه اللفظ، نحو ألفاظ "الوجه" و"اليد" و"جاء ربك" وغيرها، وفي مثل هذه الحال يقول عبد الكريم الخطيب: «ولا سبيل إلى حل هذه المشكلة إلا إذا تخففنا كثيرا من منطق العقل - خاصة وأن القضية كلها خارجة عن سلطان العقل -»⁽²⁾، «قد حاول كثير من مفسري القرآن الكريم من علماء المسلمين أن يقولوا بآرائهم فيما أجمله القرآن ولم يفصله... ومثل هذه المقولات إنما هي لحساب أصحابها، وليس على القرآن شيء منها، إذ لا تعدو أن تكون أنظارا متجهة إلى آية من آيات الله.. قد تنهدى إلى بعض أسرارها، وقد تضل الطريق فلا نعرف شيئا منها»⁽³⁾.

أما النصوص التي لا بد من تدبرها باستصحاب السياق القرآني فالأمر يختلف.

ثالثا: فهم المعنى العام شرط عند التدبر:

بعض النصوص القرآنية، وبعض المسائل القرآنية، لا يفهم المقصود منها إلا في السياق القرآني الخاص - أي سياق السورة - أو العام - أي كل القرآن -، فالتدبر في هذه الحالة لا بد وأن ينطلق فيه من النظرة الشمولية، ومن أمثلة ما يقوله عبد الكريم في ذلك:

* «الذي ينظر في الآية الكريمة نظرة مجردة، تقطعها عن سابقها ولاحقها من الآيات، لا ينكشف له وجهها، ولا يستقيم له معناها»⁽⁴⁾، «ولكن وصل الآية بما قبلها وما بعدها من آيات، يجعلها بمكانها الصحيح من الصورة العامة التي ترسمها مجموعة الآيات الأولى...»⁽⁵⁾.

* «وقد رأينا فيما نظرنا فيه من آيات الكتاب الكريم في شأن الطلاق كيف كانت نظرة

(1) - التفسير القرآني للقرآن: 6/1254.

(2) - المصدر السابق: 3/993.

(3) - المصدر السابق: 3/996.

(4) - التفسير القرآني للقرآن: 2/689.

(5) - المصدر السابق: 2/690.

الإسلام إلى الطلاق، وكيف كان تقديره له، في كل مرحلة...»⁽¹⁾، «ولا شك أن هذا المفهوم للطلاق بعيد غاية البعد عن ملفوظ الآية ومفهومها، مضاد كل التضاد للنظرة التي نظرت بها الشريعة إليه كدواء مر... لا يؤخذ منه إلا جرعة واحدة، فإن ذهبت بالداء، وإلا فالثانية، فإن لم يكن ثمة أمل فالثالثة... ولا شيء بعدها»⁽²⁾.

فالتفسير القرآني للقرآن: هو المعنى الذي يسجله عبد الكريم الخطيب للنص القرآني بعد التدبر؛ سواء كان ذلك المعنى ما يدل عليه النص ذاته أو ما يدل عليه السياق -الخاص والعام- أو كان ذلك المعنى نصا قرآنيا آخر، هذا هو المنهج المتبع عند التفسير ودعامته التدبر، ولمزيد من التفصيل نعقد هذين المبحثين:

⁽¹⁾ -المصدر السابق: 295/1.

⁽²⁾ -المصدر السابق: 297/1.

المبحث الثاني:
منهج عبد الكريم الخطيب
في تفسير النص القرآني بنص
قرآني آخر

لمعرفة منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر، نذكر أولاً ملخصاً لأهم الميزات التي تميز بها هذا المنهج:

المطلب الأول: أهم ميزات هذا المنهج:

يعتمد عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر على التدبر والنظر؛ حيث يسجل ما يحضره بعد التأمل، ولا يتقيد بأي مصدر آخر غير القرآن كما يبدو، كما لا يلتزم بطريقة واحدة عند ذلك البيان، وهذا هو شأنه في التفسير كله، والمتتبع لتفسيره النص القرآني بنص قرآني آخر يلاحظ ما يلي:

أولاً: من حيث مصدر البيان:

لا يذكر عبد الكريم الخطيب مصدر تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر؛ سواء كان ذلك مشهوراً، كتفسير الظلم من سورة الأنعام بالشرك من سورة لقمان الذي مصدره الرسول ﷺ، أم غير مشهور.

ثانياً: من حيث دليل البيان:

النص القرآني الذي يبينه عبد الكريم الخطيب بنص قرآني آخر قسمان: -قسم لا يذكر عند تفسيره دليل البيان، سواء كان ذلك واضحاً نحو تفسير النعم التي أجمل ذكرها في الآية 47 من سورة البقرة بالآيات 49-61 التي تأتي بعدها⁽¹⁾. أو لم يكن واضحاً نحو تفسير العهد من سورة طه⁽²⁾ بالآية "35" من سورة البقرة. -و قسم آخر يذكر عند تفسيره دليل البيان لتعزيز ذلك التفسير، والسبب في ذلك على ما يبدو يعود إلى ترجيح معنى على آخر، نحو تعيين الاسم المبهم في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾⁽³⁾؛ بما يدل عليه القرآن في مواضع أخرى، بخالفاً في ذلك الإجماع على حد قوله⁽⁴⁾.

(1)-انظر: التفسير القرآني للقرآن: 84/1.

(2)-سيأتي هذا المثال في البحث: ص

(3)-سورة المائدة: الآية 23.

(4)-انظر هذا البحث، ص . الموضوع الخامس.

ثالثاً: من حيث مصطلح البيان:

يمكن تقسيم النصوص القرآنية التي يبينها بنصوص قرآنية أخرى إلى قسمين من حيث مصطلح البيان:

- قسم يستعمل عند تفسيره عبارات وصيغ مختلفة تدور كلها حول معنى الإجمال والتفصيل⁽¹⁾.

- والقسم الآخر يستعمل عند تفسيره تلك العبارات بدل مصطلح النسخ، لأنه ممن ينكرون النسخ في القرآن الكريم⁽²⁾.

رابعاً: من حيث الالتزام بهذا المنهج:

ثمة نصوص قرآنية اشتهر تفسيرها بنصوص قرآنية أخرى، نحو تفسير ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾⁽³⁾ بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾⁽⁴⁾ لكن عبد الكريم الخطيب لا يفسرها كذلك، وتلك ملاحظة تؤكد مسألة اعتماده على تدبره، وتسجيل ما يحضره، دون التقيد بأي مصدر آخر، ولذلك أيضاً فإن تفسيره للنص القرآني بنص قرآني آخر قليل، فضلاً عن إشارته إلى نسبية وعدم القطع بأن هذا النص هو بيان لذلك النص في بعض المواضع. تلك هي أهم ميزات منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر، وفيما يلي نماذج من هذا التفسير:

المطلب الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في تعيين وجه البيان بين نصين قرآنيين:

أولاً: أمثلة لم يذكر عند تفسيرها دليل البيان:

أ- قال عبد الكريم الخطيب: «﴿وَمَا يَذْكُرُوا إِلَّا أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ﴾⁽⁵⁾

(1) - تفصيل ذلك في المطلب الذي يليه: ص

(2) - تفصيل ذلك في المطلب الذي يليه: ص

(3) - سورة الفاتحة: الآية 5.

(4) - سورة النساء: الآية 69.

(5) - سورة البقرة: الآية 269.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾
«(2)».

ب-و عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُودِعْ إِلَيْكَ﴾⁽³⁾
قال: «هؤلاء النفر القليل هم الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله سبحانه:
﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾⁽⁴⁾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ
مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁵⁾»⁽⁴⁾.

ج- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ
يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾⁽⁶⁾ قال: «العهد الذي عهد به سبحانه وتعالى إلى آدم، هو قوله سبحانه وتعالى:
﴿وَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁷⁾»⁽⁸⁾.

د- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾⁽⁹⁾ قال: «الآيات التسع، هي
العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والجذب، والعقم.. وهذا ما يشير إليه
قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133] وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

(1)- سورة الزمر: الآية 18.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 2/344.

(3)- سورة آل عمران: الآية 75.

(4)- سورة آل عمران.

(5)- التفسير القرآني للقرآن: 2/500.

(6)- سورة طه: الآية 115.

(7)- سورة البقرة: الآية 35.

(8)- التفسير القرآني للقرآن: 8/833.

(9)- سورة النمل: الآية 12.

بِالسَّيْنِ وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿130:الأعراف﴾، فالسنون هي سنو الجذب، التي تفيض فيها مياه النيل، [و] ⁽¹⁾ تجف مياه الآبار والعيون.. ونقص الثمرات، هو العقم الذي أصاب الزروع، والحيوان، والإنسان ⁽²⁾.

هـ- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ ⁽³⁾ قال: «سبيل من أناب إلى الله، هو سبيل المؤمنين، كما يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِيَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ⁽⁴⁾» ⁽⁵⁾.
و- قال عبد الكريم الخطيب: الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزواج﴾ ⁽⁶⁾ هي ما أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ثَمَنِيَّةً أزواج من الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ⁽⁷⁾، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ⁽⁸⁾ فهي أربعة أصناف، الضأن، والمعز، والإبل، والبقر، وكل صنف منها ذكر وأنثى. ⁽⁹⁾

ي- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ⁽¹⁰⁾ هو بيان للمحسنين - ولما يحمل إليهم القرآن الكريم من بشریات - الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ⁽¹¹⁾. ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - فيه سقط هذا الحرف، انظر: التفسير القرآني للقرآن: 10 | 222.

⁽²⁾ - المصدر السابق: وهو نفس التفسير الذي ذكره لتلك النصوص. انظر: المصدر السابق: 464/5-465 و 560/8.

⁽³⁾ - سورة لقمان: الآية 15.

⁽⁴⁾ - سورة النساء: الآية 115.

⁽⁵⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 569/11.

⁽⁶⁾ - سورة الزمر: الآية 6.

⁽⁷⁾ - سورة الأنعام: الآية 143.

⁽⁸⁾ - سورة الأنعام: الآية 144.

⁽⁹⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 1120/12 بتصرف.

⁽¹⁰⁾ - سورة الأحقاف.

⁽¹¹⁾ - سورة الأحقاف: الآية 12.

ت- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾⁽²⁾ قال: «الميثاق الذي أخذه الله سبحانه على الناس، هو فطرتهم التي أودعها فيهم، والتي يولد عليها كل مولود، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾»⁽³⁾ (4).

ث- قال عبد الكريم الخطيب: «قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾»⁽⁵⁾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا⁽⁶⁾ هو بيان للهلع الذي هو طبيعة غالبية في الإنسان»⁽⁶⁾ وذلك عقب ذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾⁽⁷⁾.

ثانيا: أمثلة ذكر عند تفسيرها دليل البيان:

بعض النصوص القرآنية تحتاج إلى طول تدبر وتأمل لبيانها بنصوص قرآنية أخرى، ولذلك نلاحظ تصريح عبد الكريم الخطيب بالدليل -أو الأدلة- الذي ساقه عند تفسيرها، ومن أمثلة ذلك مايلي:

أ- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾⁽⁸⁾:

1- ينتقد طريقة الاعتماد على الروايات في تعيين هذه الجماعة، لأن المرء لا يجد فيها «مجتمعة أو متفرقة -شيئا يستريح له، ويقف عنده!»⁽⁹⁾ كما يقول.

(1)- التفسير القرآني للقرآن: 272/13 بتصرف .

(2)- سورة الحديد: الآية 8.

(3)- سورة الأعراف: الآية 172.

(4)- التفسير القرآني للقرآن: 753/14.

(5)- سورة المعارج.

(6)- التفسير القرآني للقرآن: 1174/15.

(7)- سورة المعارج: الآية 19.

(8)- سورة البقرة: الآية 243.

(9)- التفسير القرآني للقرآن: 300/1.

2- ثم يبحث عن المعنى من القرآن ذاته: «وندع هذه الأقوال جميعها، لنأخذ بما يقع في وجداننا، ونحن نتلو الآية الكريمة، وما بعدها من آيات. فنقول والله أعلم»⁽¹⁾:

- يذكر أولاً ما يوصله إليه تدبره للنص مستدلاً بمعنى كلمة "الذين" في القرآن الكريم⁽²⁾.

- ثم يستعين بملاحظات التزول⁽³⁾.

- وبعدها يستنتج قائلاً: «فالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف إذن على هذا التفسير - هم بنو إسرائيل... ولا تحتاج الآية بعد هذا إلى شرح أو تأويل»⁽⁴⁾.

ب- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾⁽⁵⁾ يقول: ذهب المفسرون مذاهب شتى في هذه الشجرة، والذي نتخذه دليلاً في بحثنا عن تلك الشجرة، أنها ذات صلة بقريش، وأنها مثار فتنة للمشركين وعلى هذا فإننا نجد في القرآن الكريم شجرة ذكرت في سورة "الصافات" وهي من القرآن المكي، وقد تهدد بها الله سبحانه وتعالى المشركين، وأذاقهم طعامها النكد، في هذه الدنيا قبل أن يملئوا منها بطونهم في جهنم، فقال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾⁽⁶⁾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾⁽⁷⁾.

وفي سورة الواقعة، وهي مكية أيضاً، جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾⁽⁸⁾ لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرَيْنِ زَقُومٍ⁽⁹⁾ وفي سورة الدخان وهي مكية أيضاً، جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتِ الزَّقُّومِ⁽¹⁰⁾ طَعَامُ الْأَثِيمِ⁽¹¹⁾﴾.

وقد كانت هذه الشجرة مثار استهزاء وسخرية فيما بين المشركين، كما أنها كانت مادة للعبث منهم بالمسلمين... ومن ذلك ما روي عن أبي جهل أنه كان يقول: هذا محمد

(1) - المصدر السابق.

(2) - المصدر السابق.

(3) - المصدر السابق.

(4) - المصدر السابق: 301/1.

(5) - سورة الإسراء: الآية 60.

(6) - الآية: 62.

(7) - الآية: 68.

يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر؟ وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، ثم يأمر جارية له، فتحضر تمرا وزبدا، ثم يقول لأصحابه: تزقمو⁽¹⁾. ويواصل تفسيره للنص ثم يختم قائلا «وهذا مما يرجح القول بأن المقصود بالشجرة هي شجرة الزقوم، كما يقيم ذلك دليلا على أنها شجرة ملعونة»⁽²⁾.

ج- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾⁽³⁾ يقول:

«إن هذه القصة لم تذكرها التوراة.. ومن ثم فقد أنكرها اليهود وأنكروا أن يكون "موسى" المذكور فيها هو موسى بن عمران رسول الله...!! وهذا ما جعل كثيرا من المفسرين يقيمون لهذا الإنكار من اليهود وزنا، ويجعلون من مقولاتهم عن "موسى" هذا، أنه رجل آخر غير موسى ابن عمران، ثم يحاولون أن يجعلوا له نسبا لا يتفقون عليه.. فهو عند بعضهم موسى بن مشيا بن يوسف بن يعقوب، وعند آخرين هو موسى بن أفرائيم بن يوسف.. إلى كثير من تلك المقولات التي لا حدود لها..

وهذا كله مردود على أهله، سواء اليهود، أو من جعل لمقولاتهم حسابا في هذا المقام.. فليس في القرآن الكريم أي ذكر في غير هذا الموضع لموسى، غير موسى رسول الله فإذا ذكر "موسى" في أي موضع من القرآن فهو "موسى" رسول الله، ما دام ذكره مجردا من كل وصف خاص، يفرق بينه وبين موسى رسول الله»⁽⁴⁾.

د- وفي هذا المثال يشير عبد الكريم الخطيب أنه إذا كان لابد من بيان بعض ما أجمعه القرآن مما لا يتوقف فهم المعنى على بيانه، فليكن النظر مقصورا على القرآن لبيان ذلك. أشار إلى هذا بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽⁵⁾ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ

(1)- التفسير القرآني للقرآن: 8/512-514. بتصرف.

(2)- المصدر السابق: 8/515.

(3)- سورة الكهف: الآية 60.

(4)- التفسير القرآني للقرآن: 8/641.

(5)- سورة يس: الآيتان 13-14.

أهم في هذا النص؛ فقال: «والصورة التي يصورها المثل واضحة مشرقة، لا ينقصها أن يفتقد اسم القرية فيها، ولا أن تغيب أسماء الرسل ومشخصاتهم إنما مستغنية عن كل هذا. وإذا كان لا بد من التطلع إلى ما وراء هذه الصورة، والنظر إلى موقع القرية من هذا العالم، وإلى أشخاص الرسل من بين رسل الله... ليكن النظر مقصوراً على كتاب الله... وننظر في القرآن الكريم فنرى:

أولاً: أن القرآن الكريم، لم يتحدث عن رسولين حملاً رسالة واحدة، إلى جبهة واحدة، غير موسى وهارون... ورابعاً: أن القرآن الكريم، يعقد الصلة في أكثر من موضع منه، بين فرعون، وبين هؤلاء المشركين من قريش...»⁽¹⁾. وهكذا يستدل بما جاء في القرآن؛ ليخلص إلى تعيين ما أهم في هذه الآيات، دون قطع بأن ذلك البيان هو المعنى المقصود⁽²⁾.

المطلب الثالث: منهج عبد الكريم الخطيب في تعيين وجه البيان بين الناسخ والمنسوخ:

من خلال تتبع المواضع التي صرح فيها عبد الكريم الخطيب بعدم وجود نسخ⁽³⁾ بين الآية المنسوخة والآية الناسخة لها، منتقداً رأي القائلين بالنسخ؛ يلاحظ أن تعليقه يدور حول مسألة نفي التعارض الذي يبدو بين الناسخ والمنسوخ، وإن العلاقة بينهما بالتأمل والتدبر تؤول إلى أن ذلك من تمام البيان للقضية الواحدة في الغالب الأعم. ويمكن تقسيم الأمثلة التي خصها بالذكر لنفي مسألة النسخ في القرآن الكريم إلى قسمين:

القسم الأول: الناسخ والمنسوخ من سورة واحدة:

المثال الأول:

يرى عبد الكريم الخطيب أن قوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ﴾

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 917/11-918.

(2) -المصدر السابق، وهذا المثال هو من المواضع التي خالف فيها الإجماع كما قال. انظر هذا البحث، ص

(3) -يقصد النسخ في اصطلاح الخلف.

وَلَا تَقْتَدُوا إِلَهَ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١﴾ «ليس بالمنسوخ بالآية بعدها، كما يقول المفسرون»^(٢) لأنه يشير إلى «الدعائم التي يقوم عليها قتال المسلمين أبداً مع مقاتليهم على أية ملة، وفي أي زمان ومكان»^(٣) أما قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾^(٤) «هو من تمام البيان لهذه القضية، قضية القتال بين المسلمين ومشركي قريش، فحين يلتقي بهم المسلمين في ميدان القتال، فلا يتحرج المسلمون من قتلهم حيث التقوا بهم»^(٥).

المثال الثاني:

بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنِكُمْ صَدَقْتُمْ فَأَذَلُّمُ تَفَعَّلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦) منتقداً قول المفسرين بأنه ناسخ لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٧) صرح في الختام أنه «ليس بين الآيتين تناسخ، بل إن كلا الآيتين من المحكم وأهما يتناولان أمراً واحداً، ويعالجان قضية واحدة، لا تتم أركانها إلا بالآيتين معاً.. والله أعلم»^(٨).

الأمثلة المتبقية:

وباختصار نشير للأمثلة المتبقية وهي:

1- الآيتان "8" و"176" من سورة النساء:

(١) - سورة البقرة: الآية 190.

(٢) - التفسير القرآني للقرآن: 211/1.

(٣) - المصدر السابق: 212/1.

(٤) - سورة البقرة: الآية 191.

(٥) - المصدر السابق: 212/1.

(٦) - سورة المجادلة: الآية 13.

(٧) - سورة المجادلة: الآية 12.

(٨) - التفسير القرآني للقرآن: 839/14.

يرى عبد الكريم الخطيب أن آية الميراث⁽¹⁾ لم تنسخ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁽²⁾.⁽³⁾

2-الآيتان "1" و "41" من سورة الأنفال:

قال: لا نسخ بين قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾⁽⁴⁾ الذي يقرر حكما في شأن الغنائم وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾⁽⁵⁾ الخاص بحكم الأنفال كما يقول بذلك أكثر المفسرين؛ لأن الغنائم شيء والأنفال شيء آخر⁽⁶⁾.

3-الآيتان "65" و "66" من سورة الأنفال:

قال: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾⁽⁷⁾ ليس مرادا به رفع حكم كان واقعا على المؤمنين، ملزما لهم، بل أنه إلفات للمسلمين إلى ما أمدهم الله سبحانه وتعالى به من أنصار وأعوان حين كثر أعدادهم⁽⁸⁾.

4-الآيتان "72" و "75" من سورة الأنفال:

قال: «ذهب أكثر المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾⁽⁹⁾ هو مراد به الولاية في التوارث، بحكم القرابة بينهم، على ما جاء في كتاب الله سبحانه، في أحكام الميراث..⁽¹⁰⁾ وعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة لما قررته الآيات السابقة في قوله تعالى:

(1)-سورة النساء: الآية 176.

(2)-سورة النساء: الآية 8.

(3)-التفسير القرآني للقرآن: 1/158 بتصرف.

(4)-سورة الأنفال: الآية 41.

(5)-سورة الأنفال: الآية 1.

(6)-التفسير القرآني للقرآن: 5/614 بتصرف.

(7)-سورة الأنفال: الآية 66.

(8)-التفسير القرآني للقرآن: 5/673-674 بتصرف.

(9)-سورة الأنفال: الآية 75.

(10)-أما هو فيقول في تفسيرها «إشارة إلى ما بين المؤمنين من سبق منهم ومن لحق من نسب قريب، ورجم ماسة.. فيهم جميعا أبناء أب واحد، هو الإسلام...» التفسير القرآني للقرآن: 5/688.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] ⁽¹⁾ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ⁽²⁾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ⁽³⁾﴾ ⁽⁴⁾ «هذا القول مردود من وجوه» ⁽⁵⁾.

5- الآيات "4-5" و "6-10" و "11-12" من سورة النور:

بعد تفسير هذه الآيات قال: «والقضية في أصلها قضية واحدة... جاءت في ثلاثة معارض، الأول عام، والثاني خاص، والثالث أخص» ⁽⁶⁾، «وكل من الآيات السابقة واللاحقة تقرر حكما لا يتعارض، ولا يتداخل مع صاحبه» ⁽⁷⁾.

6- الآيتان: "50" و "52" من سورة الأحزاب:

قال: «يرى بعض المفسرين، أن هذه الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ ⁽⁸⁾﴾ منسوخة بالآية قبلها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ⁽⁹⁾﴾... ونحن على رأينا، من أنه لا نسخ... وان الآية الأولى ظلت عاملة إلى أن نزلت الآية الثانية، فأقرت الأوضاع التي انتهت إليها بيت النبوة... وبقيت الآيتان تمثلان دورين من أدوار التشريع للنبي خاصة، من حياته الزوجية... وهذان الدوران، يسبقهما دور ثالث، هو الإباحة المطلقة للنبي، بالتزوج ممن يشاء من النساء، بأي عدد شاء منهن. وعلى هذا كانت مراحل التشريع للحياة الزوجية للنبي ثلاثا...» ⁽¹⁰⁾.

القسم الثاني: الناسخ والمنسوخ من سورتين:

⁽¹⁾ - فيه سقط لهذا اللفظ، انظر: التفسير القرآني للقرآن: 689/5.

⁽²⁾ - سورة الأنفال: الآية 72.

⁽³⁾ - سورة الأنفال: الآية 75.

⁽⁴⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 689/5.

⁽⁵⁾ - المصدر السابق: 690/5.

⁽⁶⁾ - المصدر السابق: 1228/11.

⁽⁷⁾ - المصدر السابق: 1229/11.

⁽⁸⁾ - سورة الأحزاب: الآية 52.

⁽⁹⁾ - سورة الأحزاب: الآية 50.

⁽¹⁰⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 743/11.

المثال الأول:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكَ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦﴾^(١) قال: «نحن على رأينا بألا نسخ في القرآن - نرى أن هاتين الآيتين محكمتين وأهما تنشئان أحكاما لمن يأتون الفاحشة - من الرجال والنساء غير ما تضمنته آية النور من حكم الزانية والزاني»^(٢) والتي «يجمع»^(٣) المفسرون على أن هاتين الآيتين منسوختان»^(٤) بها لأن: «قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكَ﴾»^(٥) هو لبيان الحكم في جريمة "السحاق" التي تكون بين المرأة والمرأة... و أما قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا﴾»^(٦) «فهو خاص بجريمة اللواط، بين الرجل والرجل»^(٧) أما آية النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٨) فهي صريحة في حكم الجريمة التي تقع بين الرجل والمرأة على غير فراش الزوجية.^(٩) «وفي هذه الصور الثلاث تكتمل العملية الجنسية» في أصلها، وفيما يتفرع عنها»^(١٠) فأين النسخ كما قالوا؟

المثال الثاني:

بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ

(١) - سورة النساء.

(٢) - التفسير القرآني للقرآن: 718/2.

(٣) وفي موضع آخر قال: «فإننا - إذ خالفنا ما يكاد ينعقد إجماع الفقهاء والمفسرين [عليه] نرى». وفي موضع ثالث

قال: الذين قالوا بالنسخ في الآيتين، وهم جمهور المفسرين والفقهاء». انظر المصدر السابق، 721/2، 723.

(٤) - المصدر السابق: 817/2.

(٥) - سورة النساء: الآية 15.

(٦) - سورة النساء: الآية 16.

(٧) - التفسير القرآني للقرآن: 721/2.

(٨) - الآية: 2.

(٩) - التفسير القرآني للقرآن: 720/2.

(١٠) - المصدر السابق.

كَأَفٍّ⁽¹⁾ قال: «وآية السيف هذه - كما يقول عنها القائلون - إنما هي دعوة للمؤمنين إلى جمع جماعتهم على أمر واحد في المشركين، وهو أن يعدوهم جميعاً جبهة معادية، لا فرق بين مشرك ومشرك...»⁽²⁾ وليست «أمراً يوجب على المسلمين، قتال المشركين قتالاً دائماً متصلاً، على أية حال يكون عليها المشركون إزاء المسلمين، سواء أكانوا محاربين أم مسلمين»⁽³⁾ كما يرى كثير من الفقهاء والمفسرين⁽⁴⁾، فلا تعارض بينها وبين «ما جاء في القرآن من آيات تدعو إلى مهادنة غير المسلمين ومساملتهم، إذا هم هادنوا المسلمين وسالموهم»⁽⁵⁾ ولا داعية إذن للقول بأنها ناسخة لهذه الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدْهُ وَأَعْلِيهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾⁽⁶⁾ وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾⁽⁷⁾ وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾⁽⁸⁾»⁽⁹⁾

الأمثلة المتبقية:

وباختصار أيضاً نشير للأمثلة المتبقية:

1- الآية "180" من سورة البقرة وآية المواريث:

يرى عبد الكريم الخطيب أن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁰⁾ ليس

(1) - سورة التوبة: الآية 36.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 763/5.

(3) - المصدر السابق.

(4) - المصدر السابق.

(5) - المصدر السابق.

(6) - سورة البقرة: الآية 194.

(7) - سورة البقرة: الآية 193.

(8) - سورة البقرة: الآية 190.

(9) - التفسير القرآني للقرآن: 763/5 بتصرف.

(10) - سورة البقرة: الآية 180.

إلا «استثناء من حكم عام هو الميراث، وبهذا الاستثناء تعالج الثغرات التي تظهر في الحكم العام عند تطبيقه، الأمر الذي لا يخلو منه حكم عام»⁽¹⁾ وهو ليس منسوخا بآية المواريث كما قيل⁽²⁾.

2- الآية "240" من سورة البقرة وآية الميراث:

قال عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾ ليس منسوخا بآية المواريث - كما يرى المفسرون - وما فرض فيها للزوجة من فريضة الربع أو الثمن؛ بل للزوجة حق القرار في بيت الزوجية عاما كاملا ولها من مال زوجها نفقة هذا العام⁽⁴⁾.

3- الآية "102" من سورة آل عمران والآية "16" من سورة التغابن:

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁽⁵⁾ لا يعارض قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾⁽⁶⁾ كما يقول بعض المفسرين القائلين بالنسخ بينهما؛ لأن المقصود منه «الاجتهاد في عبادته، وفي طاعته، على قدر ما تسع نفس الإنسان وتحتمل، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽⁷⁾...

وهو ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾⁽⁸⁾.. فالتقوى على قدر الاستطاعة هي التقوى حق التقوى»⁽⁹⁾.

(1) - التفسير القرآني للقرآن: 197/1.

(2) - المصدر السابق: 196/1 بتصرف.

(3) - سورة البقرة: الآية 240.

(4) - التفسير القرآني للقرآن: 291/1 بتصرف.

(5) - سورة آل عمران: الآية 102.

(6) - سورة التغابن: الآية 16.

(7) - سورة البقرة: الآية 286.

(8) - سورة التغابن: الآية 16.

(9) - التفسير القرآني للقرآن: 540/2.

4- الآية "43" من سورة النساء والآيتان "90-91" من سورة المائدة:

مما ذكره عبد الكريم الخطيب عن وجه البيان بين الآيات التي وردت في شأن تحريم الخمر مثلاً، إن قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ؟ (١) ليس فيه نهي للمسلم العاصي عن إتيان الصلاة، إذا كان مبتلى بشرب الخمر (٢)؛ فهو إذن غير ناسخ لقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٣) الذي يعطي حكم شارب الخمر إذا أراد الصلاة، فهو منهي عنها حتى يفيق إفاقة تامة من السكر (٤). ويؤكد رأيه هذا في أكثر من موضع، منتقدا قول من يرى النسخ بين الآيات التي جاء فيها ذكر أو حكم للخمر (٥).

والملاحظ أن تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر سواء كان واضحاً أو كان خفياً قليل، وجلّ النصوص القرآنية تفسّر بالمعنى أي بما تدل عليه، وفيما يلي تلخيص لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بما يدل عليه القرآن ذاته:

(١) -سورة المائدة: الآيتان 90-91.

(٢) -التفسير القرآني للقرآن: 797/3 بتصرف.

(٣) -سورة النساء: الآية 43.

(٤) -التفسير القرآني للقرآن: 797/3 بتصرف.

(٥) -المصدر السابق: 1/151، 246.

المبحث الثالث:

منهج عبد الكريم الخطيب

في تفسير النص القرآني

بما يدل عليه القرآن

الجزء الأكبر من عملية تفسير عبد الكريم الخطيب للقرآن الكريم هو من قبيل تفسير النص القرآني بما يدل عليه القرآن؛ حيث لا يكون بيان النص القرآني بنص قرآني آخر، وإنما البيان هو ما يفهم أو يدل عليه النص ذاته. والطريق الموصّل إلى ذلك البيان هو التدبر والتأمل للنص، والاستعانة بالسياق الخاص والعام وملابسات التزول.

والتأمل في التفسير القرآني للقرآن كما يُسميه عبد الكريم الخطيب، لا يمكنه معرفة وجه الصواب لذلك التفسير لسببين بارزين؛ الأول عدم الالتزام بإسناد ما يسجله من معنى للنصوص، والثاني كثرة التصريح بمخالفة المفسرين الذين يفسرون النص القرآني بغير ما يدل عليه النص ذاته - كما يقول - لذلك وإن اعتمد على النظرة الشمولية للمعنى على ما يبدو بصفة عامة؛ يبقى الغموض وصفا ملازما لتفسيره، حتى وإن لم يكن للتفسير كله بل لمنهجه في التفسير.

ولتوضيح ما سبق ذكره نأخذ نماذج من التفسير القرآني للنص في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النص القرآني حرف أو كلمة:

أولا: النص القرآني عبارة عن حرف أو ضمير:

أ- النص القرآني حرف⁽¹⁾ من الحروف:

من الحروف القرآنية التي تحدث عبد الكريم الخطيب عن تفسيرها بالاعتماد على القرآن ذاته:

1- حرف "لعل"⁽²⁾:

(1) - «الحرف كلمة تدل على معنى، في غيرها، فقط» وهو «قسمان: عامل، وغير عامل» انظر: الحسن بن قاسم المرادي الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص20، 27.

(2) - قال الزركشي في البرهان: «عسى ولعل من الله تعالى واجبتان، وإن كانتا رجاء وطمعا في كلام المخلوقين؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والبارئ مته من ذلك.

والوجه في استعمال هذه الألفاظ: أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها ولا يقطعون على الكائن منها، وكان الله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان: نسبة إلى الله تعالى تسمى نسبة قطع و يقين، ونسبة إلى المخلوق و تسمى نسبة شك و ظن، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع، بحسب ماهي [عليه] عند الله كقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾

قال عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾: «و"لعل" هنا الدالة على الترجي، إنما يتوجه بها إلى المخاطبين، وإلى ما عندهم من استعداد لهذا الخطاب، فهم على رجاء من القبول، أو التوقف، أو النكوص على الأعقاب... وهكذا كل صيغة رجاء واردة في القرآن الكريم، إنما هي للمخاطبين ولموقفهم من فحوى ما خوطبوا به»⁽²⁾

2- حرف "رُبَّ" ⁽³⁾:

قال عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾⁽⁴⁾: «رب: حرف جر يفيد التقليل» فإذا اتصلت به "ما" دخل على الأفعال، وهنا مخفف من "رُبَّ" الثقيلة. هذا، ولم يرد هذا الحرف في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع. وقد بذل المفسرون كثيرا من الجهد في التأويل والتخريج⁽⁵⁾، ليجدوا لهذا الحرف وجهها

يَقَوْمٌ يُهَيِّئُونَ لَهُمْ أَسْوَاقَ الْبَلَدِ كُلِّ مُخَيَّيْنًا [المائدة: 54]. وتارة بلفظ الشك، بحسب ماهي عليه عند المخلوقين انظر ص 1017. وانظر أيضا ما قاله عن "لعل" ص 1164-1166.

وقال المرادي: "لعل" لها ثمانية معان: الترجي وهو الأشهر والأكثر، الإشفاق، التعليل، الاستفهام، ... انظر: الجني الداني: ص 579-580 بتصرف.

⁽¹⁾ - سورة البقرة: الآية 63.

⁽²⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 1/94.

⁽³⁾ - رُبَّ: حرف جر عند البصريين، واختلف النحويون في معناها، والراجح ما ذهب إليه الجمهور: أنها حرف

تقليل. انظر: الجني الداني: ص 438-440 بتصرف. وانظر ما قاله الزركشي في البرهان: ص 1096. وما قاله السيوطي في الإتيان: ص 392-393 عن هذا الحرف.

⁽⁴⁾ - سورة الحجر: الآية 2.

⁽⁵⁾ - غريب قوله هذا. انظر ما جاء في تفسير هذا النص نحو:

- قال الطبري: فتأويل الكلام: ربما يود الذين كفروا بالله فجحدا وحادانته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين، كما: روي عن أبي موسى ويذكر عدة روايات أخرى. انظر: جامع البيان: 8/6-10 بتصرف.

- وقال ابن كثير: «قوله: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا مع المسلمين في الدنيا. ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما من الصحابة: أن الكفار لما عُرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين، وقيل... وقد ورد في ذلك أحاديث موضوعة». انظر: تفسير القرآن العظيم: 5/4.

مفهوما، يستقيم مع الآية الكريمة... وكان محصول هذا كله أقوالا متهافئة، رأينا من الخير ألا نقف عندها، وأن نأخذ بما أرانا الله سبحانه من فهم، استراحت له النفس، واطمأن إليه القلب.. فالآية التي سبقت هذه الآية... تشير إلى القرآن الكريم... ومقصود هذه الإشارة هو لفت الأنظار... إلى آيات الله تلك، ففيها الهدى لمن نظر واعتبر.. ولكن قليل من الناس هم الذين ينظرون، ويعتبرون...⁽¹⁾ ويتمم التفسير إلى أن يستنتج المعنى قائلا: «فادع إلى سبيل ربك بآيات ربك، وقل: لعلّ وعسى!! أو قل «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين!»⁽²⁾.

ب- النص القرآني عبارة عن ضمير:

الحديث في هذا البحث عن مرجع الضمير⁽³⁾، والأمثلة كثيرة في ذلك نحو:

1- ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽⁴⁾

«أي وخلق من هذه النفس، ومن مادتها وطبيعتها زوجا لهذه النفس، مقابلا لها ومكملا لوجودها.

والقصة التي تقول إن "حواء" خلقت من ضلع آدم، هي من واردات الأساطير⁽⁵⁾، وقد أخذ بها معظم المفسرين، وفهموا هذه الآية الكريمة عليها. والآية الكريمة لا تعين على هذا

-أما القاسمي فقد قال: هذا «تبشير للنبي ﷺ بظهور دينه، وأنه سوف يأتي أيام يتمنى الكافرون بها، ألو سبق لهم الإسلام فكانوا من السابقين. لما يرون من إعلاء كلمة الدين وظهوره على رغم الملحدين...» فبين هذا وما سبق نقله فرق! انظر: محاسن التأويل: 340/6.

-وجاء في تفسير الشعراوي: «الطلب هنا في هذه الآية؛ يقول: ﴿زُبَيَّا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ولنر متى يودون ذلك. إن ذلك التمني سوف يحدث إن وقعت لهم أحداث تترع منهم العناد؛ فيأخذون المسائل بالمقاييس الحقيقية... وقد حدث لهم حين وقعت غزوة بدر، ونال منهم المسلمون الغنائم أن قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين، وأخذوا تلك الغنائم. أي: أن هذا التمني قد حدث في الدنيا، ولسوف يحدث هذا عند موت أحدهم... وسيتمنون أيضا أن يكونوا مسلمين، مصداقا لقول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَى = إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة] أي يوم القيامة. انظر: 7636/12-7637 بتصرف.

⁽¹⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 211/7-212.

⁽²⁾ -التفسير القرآني للقرآن: 213/7.

⁽³⁾ - انظر: ما جاء في البرهان: ص 933 وما بعدها وما جاء في الاتقان: ص 448-452.

⁽⁴⁾ -سورة النساء: الآية 1.

⁽⁵⁾ -انظر: هذا البحث: ص

الفهم، ولا تسانده.. وإنا إذ ننظر في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽¹⁾ لنجد الضمير في "منها"⁽²⁾ الذي يشير إلى النفس الواحدة، لا يقصدها باعتبارها كائناً بشرياً هو "آدم" وإنما يشير إليها باعتبارها مادة مهياة لخلق البشر، ومن هذه المادة كان خلق آدم، ومن هذه المادة أيضاً كان خلق زوجه، التي يكتمل بها وجوده، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى - في آية أخرى - ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾⁽³⁾ «⁽⁴⁾ ويواصل الاستدلال بالقرآن وغيره على ما ذهب إليه⁽⁵⁾».

2- ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾⁽⁶⁾:

«المفسرون على أن الهاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾⁽⁷⁾ يعود إلى جبريل، عليه السلام. [وأن المرئي لجبريل، هو النبي ﷺ]⁽⁸⁾، وأن الأفق المبين، هو الأفق العالي، أي أفق السموات العلا، حيث عرج بالنبي، فظهر له جبريل على صورته الملكية..⁽⁹⁾

وإنه الأولى عندنا، أن يكون هذا الضمير عائداً على القرآن الكريم، وهو هذا القول الذي تلقاه النبي من جبريل.. فلقد رأى النبي -صلوات الله وسلامه عليه- القرآن الكريم بالأفق المبين، العالي الواضح، في معراجهِ إلى الملاء الأعلى، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18] فالقرآن هو بعض ما رأى النبي الكريم في معراجهِ.. حيث كان القرآن قد نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر، كما يذهب إلى ذلك أكثر

(1) -سورة النساء: الآية 1.

(2) -قال الزركشي: الهاء تكون ضميراً للغائب وتستعمل في موضع الجر والنصب نحو: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: 37]، وتكون لبيان السكت. انظر: البرهان: ص 1187 بتصرف، وقال المرادي: "ها" لفظ مشترك؛ يكون اسماً وحرفاً، فإذا كان اسماً فله قسمان: أحدهما أن يكون اسم فعل، والثاني أن يكون ضميراً للغائبة. وإذا كان حرفاً فهو حرف تنبيه. انظر: الجني الداني: ص 346 بتصرف.

(3) -سورة النبأ: الآية 8.

(4) -التفسير القرآني للقرآن: 682/2.

(5) -المصدر السابق: 683/2.

(6) -سورة التكويد: الآية 23.

(7) -سورة التكويد: الآية 23.

(8) -أظنه يقصد: وأن المرئي لمحمد ﷺ هو جبريل، فهو خطأ في النسخ.

(9) -قال الطبري في جامع البيان ولم يحك خلافاً في ذلك: 102/3/15، وابن كثير في تفسيره: 404/6. والقاسمي في محاسن التأويل: 342/9.

العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽¹⁾ «⁽²⁾».

ثانيا: النص القرآني كلمة⁽³⁾:

في القرآن الكريم كلمات يتعدد ذكرها في أكثر من موضع، وعند تفسيرها نلاحظ أمرين:

أ- معنى الكلمة واحد في كل المواضع:

ومن الأمثلة على ذلك:

1- كلمة "الخلق" و "الجعل" ومما يقوله عند تفسيرهما: «فالحلق» في القرآن⁽⁴⁾ - في كل موضع ورد فيه- هو الإيجاد، [إيجاد]⁽⁵⁾، غير الموجود، وإظهاره للوجود... ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁶⁾..

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾⁽⁷⁾ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾⁽⁸⁾..
﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾⁽⁹⁾.. ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ

(1)- سورة القدر: الآية 1.

(2)- التفسير القرآني للقرآن: 1474/16-1475.

(3)- وهذا ما يسمى بـ "الوجوه والنظائر": فالوجه هو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ "الأمه" والنظائر كالألفاظ المتواطئة. انظر: البرهان للزركشي: ص81. والإتقان للسيوطي: ص346 بتصرف.

(4)- الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبداعهما، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: 4]، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى، وأما الذي يكون بالاستحالة، فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال، نحو ما جاء عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110]، والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين: أحدهما: في معنى التقدير، والثاني: في الكذب نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ [العنكبوت: 17]، وكل موضع استعمل فيه الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب. انظر: مفردات القرآن: ص213-214 بتصرف.

(5)- كتبت في التفسير القرآني للقرآن "إيجاد". انظر: 123/4.

(6)- سورة البقرة: الآية 164.

(7)- سورة الرحمن.

(8)- سورة الزمر: الآية 4.

شئ⁽¹⁾ .. فالخلق، وهو الإيجاد من عدم، هو مما انفرد به الله سبحانه وتعالى، ولهذا كان من صفاته الكريمة: «الخالق».

أما "الجعل"⁽²⁾ فهو إضافة تلحق المخلوق، وتكشف عن صفته، وتبرز طبيعته.. هو توجيه الخالق للمخلوق، ليعطي وظيفته، ويحقق وجوده.. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا﴾ (7: الكهف) ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ﴾ (9-11: النبأ) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (24: السجدة) .. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (134: البقرة).

بل إن "الجعل" يضاف إلى الإنسان، ويحسب له، أو عليه، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَلَمَ الْيَكَّةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ (19: الزخرف) ويقول سبحانه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (19: التوبة) ويقول: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (57: النحل)⁽³⁾.

2- عند تفسيره لكلمة "الشرح"⁽⁴⁾ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽⁵⁾ يقول «في القرآن الكريم أكثر من آية تدل على أن شرح الصدر، هو تفتحه للحياة، وإقباله على معالجة أمورها، في رضا، وشوق، وإقبال.. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (22- الزمر) ويقول سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: 125)

(1) - سورة الزمر: الآية 62.

(2) - تحت عنوان "أحكام لألفاظ يكثر دورها في القرآن" ذكر الزركشي لفظ جعل وقال عنه: أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات أحداث، وفي ذلك حديث يطول. انظر: البرهان: ص 998-1002. وجاء في المفردات: جعل: لفظ عام في [الأفعال] كلها ويتصرف على خمسة أوجه. انظر: ص 135 بتصرف.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 123/4-124

(4) - شرح الصدر: بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: 25]، وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1]، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ [الزمر: 22]. انظر: مفردات القرآن: ص 334 بتصرف.

(5) - سورة الشرح: الآية 1.

وعلى لسان موسى عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ ﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۖ ﴾ (طه: 25-27). وشرح الصدر في هذه المواضع كلها، هو بمعنى استجابته للخير الذي يدعى إليه، وتقبله واتساعه للكثير منه.⁽¹⁾

ب- معنى الكلمة يختلف من موضع إلى آخر:

في هذه الحالة؛ الكلمة القرآنية واحدة أيضاً، لكن المعنى في كل موضع يحدده السياق الذي وردت فيه، ومن أمثلة ذلك:

1- كلمة "الكتاب" فقد وردت بكثرة في القرآن الكريم، إلا أن معناها في كل موضع يحدده السياق مثلاً في:

* قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ ﴾ (٢) قال عبد الكريم الخطيب: «المراد بالكتاب هنا ما كتب على المرأة من عدة، وأجل الكتاب عمره ومدته». (3)

* وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (4) قال أي «كتاب موقوت، كتبه الله على المؤمنين، أي فرضه، وحدد لكل صلاة وقتها، الذي هو الظرف الحاوي لكل صلاة». (5)

* وفي قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ (6) قال عبد الكريم الخطيب: «والكتاب المشار إليه... هو ما قضى الله به سبحانه وتعالى في سابق علمه، وهو العفو عن الذنب إذا لم يكن قد جاء حكم إلهي بتحريمه، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى...» (7) وما يدل عليه السياق كما يقول.

(1) - التفسير القرآني للقرآن: 1606/16 .

(2) - سورة البقرة: الآية 235.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 182/1.

(4) - سورة النساء: الآية 103.

(5) - التفسير القرآني للقرآن: 885/3.

(6) - سورة الأنفال: الآية 68.

(7) - التفسير القرآني للقرآن: 679/5.

* وفي قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ﴾⁽¹⁾ قال: «الكتاب هنا، هو الكتاب الذي سجلت فيه الأعمال كل الأعمال، الصالحة، والسيئة.. كما يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتْ﴾ (10: التكوين) .. حيث ينكشف لكل إنسان عمله، من خير أو شر.. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْانًا لِّيرَوُاْ أَعْمَالَهُمْ﴾⁽²⁾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽³⁾».

2- كلمة "أمة"⁽⁴⁾ كذلك وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم، والسياق هو الدال على معناها في كل موضع، مثلاً في:

* قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾⁽⁵⁾ قال عبد الكريم الخطيب: «الأمة: الجماعة من كل شيء والمراد بها هنا كتلة من الزمن، أي زمن طويل.. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَبَاءً نَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ (22: الزخرف) أي على مجموعة من العادات والمعتقدات»⁽⁶⁾.

* وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁷⁾ قال: «أي كان مجتمعاً وحده، يؤمن بالله بين مجتمعات كلها على الشرك والكفر.. فهو بهذه الصفة يمثل أمة مميزة عن غيرها، بالإيمان، تقابل تلك الأمم التي تمثل الكفر...»⁽⁸⁾.

* وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾⁽⁹⁾ قال:

(1) - سورة الكهف: الآية 49

(2) - سورة الزلزلة.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 630/8.

(4) - جاء في المفردات: الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً، وجمعها: أمم. انظر: ص 48 بتصرف.

(5) - سورة يوسف، الآية: 45.

(6) - التفسير القرآني للقرآن: 1279/6.

(7) - سورة النحل: الآية 120.

(8) - التفسير القرآني للقرآن: 391/7.

(9) - سورة القصص: الآية 23.

«الامة: الجماعة من كل حي.. من الإنسان أو الحيوان.. وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ (38: الأنعام) وقد غلب استعمال هذا اللفظ على بني الإنسان»⁽¹⁾.

* وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾⁽²⁾ قال: «أي على دين.. فالأمة في اللغة تجمي. بمعنى الدين، حيث تجتمع الجماعة عليه، وتكون أمة تنتسب إليه، كما تنتسب بقوميتها، فكما يقال الأمة العربية يقال كذلك الأمة الإسلامية»⁽³⁾.

المطلب الثاني: النص القرآني عبارة عن آية أو جزء منها أو أكثر:

المقصود بكلمة "الآية" النص القرآني المراد تفسيره لا المصطلح المتداول عند أهل الاختصاص⁽⁴⁾ ففي القرآن الكريم نصوص يعتمد عبد الكريم الخطيب عند تفسيرها على ما تدل عليه هي ذاتها، سواء استعان في ذلك بسياقها الخاص، أو بسياقها العام، أو بملاسات التزول أم لا؟ وهو يؤكد أن ذلك البيان هو التفسير القرآني لها، منتقدا تفسير غيره لتلك النصوص غالب الأحيان.

وسنختار في هذا المطلب ثلاثة أنواع من النصوص تزيد منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن وضوحا:

أولا: التفسير القرآني للنصوص القرآنية التي استدل بها على وجود النسخ في القرآن الكريم:

عبد الكريم الخطيب من الذين ينكرون وقوع النسخ في القرآن الكريم؛ والأصل في هذا الإنكار يعود إلى مخالفة الجمهور في تفسير النصوص القرآنية التي يستدلون بها على النسخ؛ مؤكدا أن التفسير القرآني لتلك النصوص ليس كما قال المفسرون وفيما يلي نقل

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 333/10.

(2) -سورة الزخرف: الآية 22.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 120/13-121.

(4) -مما ورد في تعريف لفظ "الآية" اصطلاحا: الآية طائفة حروف من القرآن، علم بالتوقيف. انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن، وعن الكلام الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك. انظر: البرهان للزركشي: ص188 بتصرف. والاتقان للسيوطي: ص174.

لتفسيره لها:

النص الأول: قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾⁽¹⁾ مما يقوله عند التفسير: «وعلى هذا، فإن أقرب مفهوم إلى النسخ الذي تشير إليه الآية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾⁽²⁾ هو نسخ الأمر بالتوجه بالصلاة إلى البيت المقدس، وجعله إلى المسجد الحرام.. وكلا المسجدين آية من آيات الله، إذ قاما بأمره، وأفاض عليهما من فضله، فإذا نسخ المسجد الحرام المسجد الأقصى، فإنما هو نسخ آية بآية، وتبديل نعمة بنعمة»⁽³⁾ ثم يقول: «ونخلص من هذا كله، إلى القول، بأن آية النسخ ليست موجهة إلى نسخ آيات من القرآن الكريم بآيات أخرى، وإنما إلى نسخ قبلة وإحلال أخرى مكانها.. وأن النسأ هو تأخير الحكم الذي دُعي به المسلمون إلى التحول إلى البيت الحرام -مدة بلغت سبعة عشر شهرا، كانوا يتجهون خلالها نحو بيت المقدس، وذلك لحكمة أرادها الله»⁽⁴⁾.

النص الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾⁽⁵⁾

يفسر الآية ثم يختم قائلا: «المراد بتبديل آية مكان آية هنا، هو ما كان يحدث في ترتيب الآيات، في السور، ووضع الآية بمكانها من السورة، كما أمر الله سبحانه وتعالى.. وذلك أن آيات كثيرة كانت مما نزل بالمدينة، قد وضعت في سور مكية، كما أن آيات مما كان قد نزل بمكة، ألحقت بالقرآن المدني»⁽⁶⁾ والله أعلم كما يقول، ثم يستأنس على هذا التفسير بما جاء في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾⁽⁷⁾ الآيات.

النص الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(1) -سورة البقرة: الآية 106.

(2) -سورة البقرة: الآية 106.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 150/1.

(4) -المصدر السابق: 150/1.

(5) -سورة النحل: الآية 101.

(6) -التفسير القرآني للقرآن: 363/7.

(7) -الآيات: 16-19.

حَكِيمٌ ﴿١﴾.

مما يقوله عبد الكريم الخطيب في تفسير هذا النص: «إن الرسول أو النبي في تلك الحال - وإن كان وحده - هو آية الله، أو آيات الله التي أحكمت، فثبتت، وبقيت أما ما ألقى الشيطان، فقد نُسخ وبطل، وذهب هباء»^(٢) ثم يقول: «إذن، فالذي ينبغي أن نقطع به قطعاً جازماً، هو أن معنى النسخ في هذه الآية، لا يمكن أن يكون وارداً على نسخ آيات الله المتلوة، كما هو المعروف عن النسخ بمعناه العام المطلق^(٣) الذي فسره عليه المفسرون»^(٤).

ثانياً: التفسير القرآني لنصوص قرآنية هي من قبيل المبهم:

بعض النصوص القرآنية هي من قبيل ما أُبهم فيها الأمر، أو لم يوصف ذلك المبهم، يفسرها عبد الكريم الخطيب في حدود ما تدل عليه هي ذاتها، أو ما يدل عليه السياق الخاص، أو السياق العام، وربما استعان في ذلك بالأحداث التي لا بست نزولها، وهذه أمثلة:

أ- يقول عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(٥): «هذه الشجرة لم يعرض القرآن لبيان نوعها... وإن كانت معروفة لآدم... ومع ذلك فإن المفسرين والقصاص، قد ذهبوا في الحديث عن الشجرة ونوعها كل مذهب، مستنديين في هذا إلى بعض الروايات المعزوة إلى بعض الصحابة والتابعين، لتكتسب شيئاً من الاحترام والقبول، وهي في حقيقتها إسرائيليّات، وأساطير وخرافات... وبعيد أن يكون لهذه المقولات مستند صحيح من كتاب أو سنة^(٦)، وإلا لما كان بينها هذا الاختلاف البعيد، في حقيقة واحدة!»^(٧).

ب- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ

(١)- سورة الحج: الآية 52

(٢)- التفسير القرآني للقرآن: 1066/9 .

(٣)- قوله هذا فيه غموض. انظر هذا البحث ص .

(٤)- التفسير القرآني للقرآن: 1068/9 .

(٥)- سورة البقرة: الآية 35.

(٦)- قوله هذا يناقض ما قاله عن الخضر عند تفسير الآيات التي ذكرته من سورة الكهف. انظر هذا البحث، ص

(٧)- التفسير القرآني للقرآن: 70-69/1

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾^(١) يقول: «لم يذكر القرآن الكريم اسم هاتين الجماعتين اللتين همّتا هذا الهم السيئ... وكعادة المفسرين، في مثل هذه الأمور التي يذكر فيها القرآن الأحداث مطلقة، من غير تحديد أزمانها أو أمكنتها، أو أشخاصها، حيث لا تؤثر الأزمان ولا الأمكنة ولا الأشخاص في العبر والعظات المستخلصة من الحدث - نراهم يجهدون الجهد كله في البحث عن متعلقات الحدث... يجلبونها من كل واد ويلتقطونها من كل فم، ثم يلقيونها بين يدي الحدث جثثا هامة مستجدية مستخرجة! وهنا ذكر المفسرون مقولات كثيرة في هاتين الطائفتين، ولو أخذ بتلك المقولات جميعها لشمّلت المسلمين كلهم، من مهاجرين وأنصار!

ونحن نحترم صمت القرآن هنا، ولا نقول من هما هاتان الطائفتان، لأننا لا ندري على وجه اليقين من هما، ولو درينا لم نر داعية للقول»^(٢).

ج- قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٣)، عند تفسير هذه الآيات: يتأمل عبد الكريم الخطيب النص ذاته ويستعين بملاحظات نزوله مستدلا بذلك على أن: «الوليد بن المغيرة هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾»^(٤) ثم يقول: «وهذا القول لم نجد أحدا من المفسرين قال به، أو أشار إليه.. بل لقد تضاربت بهم مذاهب القول، فمن قائل: إنه "لعم بن باعوراء" من الكنعانيين، وقيل إنه من بني إسرائيل، ومن قائل إنه: "أمية بن الصلت"، ومن قائل: إنه "النعمان بن سيفي الراهب".. ولا نرى قولاً من هذه الأقوال يعطي مفهوماً للآية من قريب أو بعيد... ولو لا أننا استشعرنا أن القرآن لا يقول مخاطباً النبي: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾»^(٥) إلا إذا كانت هناك قصة يتلوها النبي عليهم في شأن هذا الرجل، فإن لم تكن هناك قصة يذكرها القراء عن هذا الرجل في هذا الموقف فلا

(١)-سورة آل عمران: الآية 122.

(٢)-التفسير القرآني للقرآن: 570/2-571.

(٣)-سورة الأعراف: الآية 175.

(٤)-سورة الأعراف: الآية 175.

(٥)-التفسير القرآني للقرآن: 522/5.

(٦)-سورة الأعراف: الآية 175.

بد أن تكون هناك قصة مذكورة مشهورة في موضع آخر، يعلمها القوم عن يقين، ولا يحتاج الأمر إلى ذكرها مرة أخرى-لولا أننا استشعرنا هذا لما كان لنا قول نقوله في رجل هذا القصة.

ثم إذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءِيْنِنَا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾⁽¹⁾ وفي قوله تعالى عن الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يَتَنَاغَيْدًا﴾⁽²⁾. ثم ذكرنا مع هذا ما كان للآيات التي تلاها الرسول الكريم عليه، وأثرها فيه، واستيلائها على كيانه، ثم نكوصه عنها بعد ذلك، وانسلاخه منها بعد أن لبسها-إذا نحن ذكرنا ذلك، رأينا أن هذا الرجل هو ذلك الإنسان عينه، بلحمه ودمه، وبكل مشخصاته، في جميع أحواله»⁽³⁾.

ثالثا: التفسير القرآني لنصوص متفرقة:

ثمة نصوص قرآنية يصرح عبد الكريم الخطيب عند تفسيرها بمخالفة غيره، ويستدل بالقرآن ذاته على ما يقول، وثمة نصوص أخرى يخالف غيره عند تفسيرها لكن لا يصرح، ومن أمثلة ذلك:

أ- استدلاله بالسياق العام:

نحو تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾⁽⁴⁾ حيث يقول: «أي امنحني بيانا وقدرة على محاجة فرعون، وغلبته، حتى يفقه هو والملا من حوله، قولي، ويعقلوه»⁽⁵⁾ وفي موضع آخر يؤكد هذا التفسير، منتقدا الاعتماد على غير القرآن في تفسير معنى "العقدة".

يقول عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾⁽⁶⁾ «وهنا سؤال: هل كان موسى

(1)-سورة الأعراف: الآية 175.

(2)-سورة المدثر: الآية 16.

(3)-التفسير القرآني للقرآن: 522/5.

(4)-سورة طه: الآية 27.

(5)-التفسير القرآني للقرآن: 790/8.

(6)-سورة القصص: الآية 34.

ألكن أو عيباً، على لسانه حُبسة، حتى يطلب إلى الله أن يرسل معه هارون الذي هو أفصح منه لساناً؟

هذا ما يقول به المفسرون، ويأتون على ذلك بأخبار تحدث بأن موسى قد أخذ بيده جمره، وهو طفل في بيت فرعون.. ورفعها إلى فمه فمست لسانه، وتركت عليه هذه الحبسة! وهذا خبر لا يصدق... إذ كيف يستطيع الطفل أن يمسك الجمره بيده، ثم يصبر عليها حتى يحملها إلى فمه، ثم يلقي بها في فيه؟

ومن جهة أخرى، فإن اللسان، هو الأداة العاملة في رسالة الرسول.. فكيف تعطل هذه الأداة، أو تصاب بعطب؟ ذلك بعيد.. وماذا يبقى من الرسول بعد أن يؤخذ لسانه؟

والذي نراه، هو أن الخوف الذي كان يملأ كيان موسى من فرعون، هو الذي كان يمسك لسانه عن الانطلاق، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (13: الشعراء) فضيق الصدر من الخوف والرغبة، هو الذي يجبس اللسان عن الانطلاق في الحديث ولهذا جاء قوله تعالى إلى موسى: ﴿وَأَضْمِمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾⁽¹⁾ أي اضمم إليك جناحك، تسكينا لك من الرهب، أي الخوف، الذي يجيء من الرهبة.

وقد يرد على هذا... وردنا على هذا...

أما ما قاله موسى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾⁽²⁾ فهو لما لم يكن لهارون ذنب يطالب به فرعون، فهارون في هذا الموقف أقدر على الكلام من موسى، ولهذا قدم قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾⁽³⁾ على قوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾⁽⁴⁾ (1).

(1) -سورة القصص: الآية 32.

(2) -سورة القصص: الآية 34.

(3) -سورة القصص: الآية 33.

(4) -سورة القصص: الآية 34.

ب- استدلاله بالسياق الخاص:

نحو تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ﴾⁽²⁾. حيث يقول: «فهم جمهور المفسرين هذه الآية على أنها خطاب للمؤمنين جميعاً، وأن الله سبحانه وتعالى وجه هذا العتاب التهديدي للمؤمنين ... والذي ينظر في الآية الكريمة، وفي سياقها مع ما سبقها من آيات، يجد أنها خطاب تهديدي لهؤلاء المنافقين الذين كانوا يعيشون في مجتمع المؤمنين، ويحسبونهم منهم»⁽³⁾ ويكمل التفسير.

ج- مخالفة دون تصريح مثلاً:

يقول عبد الكريم الخطيب في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾⁽⁴⁾: «هي السحب الممطرة»⁽⁵⁾، التي تلقي بما حملت من ماء، على المواقع التي ساقها الله سبحانه وتعالى إليها.. ويُسمى المطر "ذكرا"⁽⁶⁾ لأنه مما يذكر بالله سبحانه وتعالى، ويحدث عن واسع فضله، وعظيم رحمته، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (28: الشورى)⁽⁷⁾ وقوله سبحانه .. ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ⁽⁸⁾ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ (49: الروم) فأنظار الناس وآمالهم متعلقة بالمطر، في حال إمساكه أو حال نزوله

(1) -التفسير القرآني للقرآن: 344-345/10.

(2) -سورة الحديد: الآية 16.

(3) -التفسير القرآني للقرآن: 765-766/14.

(4) -سورة المرسلات: الآية 5.

(5) -قال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا^(١) يعني: الملائكة، قاله: ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري. ولا خلاف ها هنا؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتُلقي إلى الرسل وحيا فيه إعداؤٌ إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره». انظر: تفسير القرآن العظيم: 369/6. وجامع البيان: 282/29/14-28344. ومحاسن التأويل: 299/9.

(6) -مثلاً لم يرد في مفردات ألفاظ القرآن أن من معاني الذكر المطر. انظر: ص 239-240.

(7) -وردت في تفسيره خطأ "48". انظر: 1392/15.

(8) -كتبت في التفسير القرآني للقرآن "عليه": 1392/15.

لأن فيه حياتهم، وحياة حيوانهم وزروعهم»⁽¹⁾.

المطلب الثالث: النص القرآني عبارة عن موضوع:

من أهم أسباب إختيار "التفسير القرآني للقرآن" للدراسة والبحث، إتباع منهج استقراء أجزاء المسألة القرآنية كما يبدو، ثم تفسيرها وعرضها في شكل موضوع واضح الصورة، وعند الشروع في البحث يلاحظ أيضا استدلال عبد الكريم الخطيب بموضوع السورة القرآنية في تفسير النص القرآني.

وهذه ثنائية تعرف عند المعاصرين بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، إلا أن هذا المصطلح لم يجر له ذكر في "التفسير القرآني للقرآن"⁽²⁾.

أما العبارات المستعملة في هذا التفسير فمثل، السياق القرآني، وسيق السورة، والسابق واللاحق للآية وغير ذلك.

والملاحظ أن حديث عبد الكريم الخطيب عن لم أجزاء المسألة القرآنية - ولا سيما القصة القرآنية حيث يبدو فيها هذا المنهج بدقة ووضوح - التي ورد ذكرها مفرقا في القرآن، أكثر من حديثه عن موضوع السورة، بل الظاهر أن ضرورة الانطلاق من النظرة الشمولية للمسألة القرآنية كان أهم أسباب ظهور "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب. لذلك سنذكر مثالين من هذا القبيل، ونختتم ببعض النقول عن موضوع السورة القرآنية من تفسيره هذا:

المثال الأول:

يتحدث عبد الكريم الخطيب عن مسألة تحديد الزمن، في القرآن الكريم فيقول مثلا: «قلنا في أكثر من موضع في تفسيرنا للآيات التي تشير إلى زمن محدد لما خلق الله من مخلوقات، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (54: الأعراف) قلنا إن هذا الزمن إنما هو منظور فيه إلى طبيعة المخلوق لا إلى قدرة الخالق.. وإلى أن هذا

(1) -التفسير القرآني للقرآن" 1391/15-1392.

(2) -وذلك ما يلاحظ أيضا في تفسير الشعراوي حسب الإطلاع العام عليه، مع أن عبد الكريم الخطيب من الأرض التي عرف فيها هذا المصطلح، بل أن أول محاولة تنظير للتفسير الموضوعي كمنهج جديد في التفسير كان اعتمادها -فيما اعتمدت -على ما قاله عبد الكريم الخطيب في القصص القرآني. انظر: محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1970م، ص302.

الزمن، هو الذي قدره الخالق سبحانه وتعالى لينضج فيه المخلوق، ويستوفي فيه تمام خلقه، كالجنين في الرحم، حيث يتم تكوينه في تسعة أشهر، في عالم الإنسان، وفي زمن أقل أو أكثر في العوالم الأخرى من الأحياء.. فالزمن جزء من وجود كل موجود، وفي تطوره من حال إلى حال.. سواء في هذا، الحيوان، والنبات، والجماد»⁽¹⁾.

فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجَعَّلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِئَالِيَن ١٠﴾⁽²⁾ إشارة إلى الزمن الذي نضجت فيه الأرض، وتم تكوينها، وتهيأت لاستقبال الحياة فيها ..

والأيام هنا هي أيام الله.. ففي يومين من أيام الله.. ولا يعلم قدر هذا اليوم إلا الله - [تم] ⁽³⁾ تكوين جرم الأرض... ثم بعد ذلك بدأت تظهر عليها الجبال، وتجري فيها الأنهار،... وذلك في يومين آخرين من أيام الله.. فكانت حضانة الأرض في كيان الكون أربعة أيام، من أيام الله»⁽⁴⁾.

والأيام الستة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ٥﴾ «ليست بيانا للزمن الذي عملت فيه القدرة هذا الخلق للسموات والأرض - كما يذهب إلى ذلك أكثر المفسرين - فذلك فهم خاطئ لقدرة الله... فهذه الأيام الستة هي المدة التي ينضج فيها خلق السموات والأرض.. وهكذا الشأن في كل مخلوق.. له وعاء زماني يتخلق فيه، وأجل محدود ينتهي إليه»⁽⁶⁾.

المثال الثاني:

(1)- التفسير القرآني للقرآن: 1290/12

(2)- سورة فصلت.

(3)- كتبت في التفسير القرآني للقرآن : "ثم".

(4)- التفسير القرآني للقرآن: 1291/12

(5)- سورة الأعراف: الآية 54.

(6)- التفسير القرآني للقرآن: 411/4-412.

وعندما يتحدث عن مسألة القضاء والقدر⁽¹⁾ من خلال القرآن الكريم يقول: «لم يذكر "القضاء" في القرآن الكريم بلفظه هذا، وإنما ذكرت مشتقاته، في آيات كثيرة.. فذكر في صورة فعل كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (12: فصلت) وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ (20: غافر)... كذلك ورد من مشتقات "القضاء" اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (21: مريم) واسم الفاعل في قوله سبحانه: ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (72: طه).

والذي ينظر في هذه الآيات، يجد تقارباً واضحاً بين المعاني التي تدور حولها مشتقات القضاء، تلتقي جميعاً عند معنى واحد، هو: الفصل، والحسم والأمر، وأن قضاء الأمر معناه إنجاز، وحسمه، من جهة قادرة ممكنة⁽²⁾ مما تقضي به.. ومنه القضاء، وهو الفصل في الخصومات، ومنه القاضي الذي يفصل بين المتخاصمين⁽³⁾.

وعن القدر قال: «ورد في القرآن الكريم، لفظ "ق...د...ر" مصدراً، وفعلاً، واسم فاعل. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (49: القمر) وقال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ (10: فصلت) ومعنى هذا في المصدر، ومشتقاته: التقدير، ووضع الشيء في موضعه المناسب له..

عن عكرمة عن الضحاك⁽⁴⁾، قال في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾⁽⁵⁾ أي أرزاق أهلها، وما يصلح لمعاشهم، من التجارات، والأشجار، والمنافع، في كل بلدة، ما لم يجعله في الأخرى..

من ذلك نرى أن دائرة القدر أشمل وأعم «من دائرة القضاء.. فالقدر تدبير.. والقضاء

(1) - وهو بحث مستفيض وفيه مناقشة ونقل عن العلماء وتطبيق على قصة موسى والعبد الصالح حيث تبدو فيه هذه المسألة بوضوح، انظر التفسير القرآني للقرآن: 672/8-694.

(2) - هكذا وردت في تفسير عبد الكريم الخطيب: 674/8.

(3) - التفسير القرآني للقرآن: 674/8-675.

(4) - الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني المفسر. وهو خراساني صدوق كثير الإرسال. مات بعد المائة. انظر: طبقات المفسرين: 216/1.

(5) - سورة فصلت: الآية 10.

حكم... لأن آيات الكتاب الكريم توحى بهذا الفهم لكل من القضاء والقدر..»⁽¹⁾.

والملاحظ أن منهجه هذا يأتي في صورتين، إما بعقد فصل معنون لبحث تلك المسألة، وإما عند تفسير نص من النصوص القرآنية التي ورد فيه ذكرها كما سبق ذكر ذلك. المثال الثالث:

يتحدث عبد الكريم الخطيب بين الحين والآخر عن موضوع السورة القرآنية فيقول مثلاً:

أ- «بِهذه الآيات⁽²⁾ تختتم سورة الأعراف، كما بدأت، فتلتقي بالنبى الكريم لقاء مباشراً، بعد أن كان مفتتحها ذلك الخطاب الموجه إلى النبى بأن يلقي قومه، ويواجههم بآيات ربه، وبالكتاب الذي نزل عليه ...

وفيما بين هذين اللقاءين، في مفتتح السورة ومختتمها، عرضت السورة الإنسان في معارض الحياة كلها.. كيف خلق الإنسان، وكيف كان تحدى الشيطان فيه لله، واعتراضه على هذا التكريم الذي كرم الله الإنسان به، ثم كيف كان عصيان آدم لربه،... بعد هذا كله، تحيء خاتمة السورة داعية النبى إلى النهج الذي يأخذه في دعوته إلى الله، بعد أن كان متجه الدعوة إليه في مفتتح السورة أن ينهض للدعوة... فجاءت الخاتمة هنا لترسم له الطريق الذي يلتزمه في دعوته .

وهذا الفاصل الممتد بين مفتتح السورة وخاتمها، والذي كان بطبيعة الحال فاصلاً بين مادة الدعوة، وبين المنهج الذي تقوم عليه... إنما هو -في الواقع- منهج تطبيقي للدعوة، رأى فيه النبى، كما رأى فيه قوم النبى، صوراً متعددة من الصدام بين الحق والباطل ...

وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾⁽³⁾ هو المنهج الذي يسلكه النبى مع الناس في أداء رسالته إليهم من تبعه منهم ومن عصاه على السواء، وهذا المنهج ذو أصول ثلاثة، يقوم عليها...»⁽⁴⁾.

(1)-التفسير القرآني للقرآن: 676/8.

(2)-يقصد الآيات 199-206.

(3)-سورة الأعراف: الآية 199.

(4)-التفسير القرآني للقرآن: 543/5-544.

ب-«فآية الكريمة⁽¹⁾ ترسم مع الآيات التي قبلها، صورة واضحة الألوان والظلال للمشركين، الضالين، الذين ...

وهنا في هذه الآية تكتمل الصورة، حين ...

وليس المراد بالدابة، دابة واحدة، وإنما المراد جنسها، وهي كل ما يدب على الأرض من حيوان [و]⁽²⁾ حشرات، وأنعام، وطيور .. وغيرها ..

هذا هو المفهوم الذي نستريح إليه من معنى الآية الكريمة، وهو مفهوم كما ترى يعطي دلالة تعين على تأكيد المعنى الذي قصدت إليه الآيات التي سبقتها، والآيات التي لحقتها، كما سنرى .. ومما يستأنس به لهذا الفهم الذي فهمنا عليه الآية الكريمة، هو أن هذه الآية قد جاءت في تلك السورة "سورة النمل" التي كان من آياتها، حديث النملة، وحديث المهدد، مع سليمان، فقد وقف هذان الحيوانان الضعيفان وهما دابتان من دواب الأرض - وقفنا من سليمان هذا الموقف، ...

وهذا يشير من بعيد إلى أنه ... من الممكن أن يتلقى الإنسان من هذه الدواب علما بدلالة الإشارة أو العبارة، كما وقع ذلك لسليمان، وكما يقع ذلك للناس، يوم يكشف الغطاء، وترفع الحجب التي بين الناس وبين عالم الحق .. فينطق كل شيء، شاهد بأن الله هو الحق⁽³⁾.

فمن خلال هذا النقل نلاحظ؛ أن عبد الكريم الخطيب يستدل بمعنى السياق على أن التفسير القرآني للنص الوارد فيه ليس كما قال المفسرون، ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾⁽⁴⁾

ج- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

(1)- يقصد: الآية 82 من سورة النمل.

(2)- هذه الواو غير مكتوبة في تفسيره. انظر: 292/10.

(3)- التفسير القرآني للقرآن: 290/10-293.

(4)- سورة النمل: الآية 82.

وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ⁽¹⁾ وهي الآية الأخيرة من سورة العنكبوت يقول: «هذه الآية الكريمة تختم السورة.. فيلتقي ختامها مع بدئها، ولقد بدئت السورة بإيدان المؤمنين بالابتلاء، وملاقاة الفتن على طريق الإيمان، وأن استمسك المؤمن بإيمانه يقتضيه جهادا وتضحية، بالنفس والمال، والأهل والولد، والوطن، وكما يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾⁽²⁾ [كما]⁽³⁾ يقول سبحانه في آية أخرى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ (186: آل عمران).

وهذا الختام الذي ختمت به السورة، هو وعد كريم من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين الذين يجاهدون في سبيل الله.. أن يهديهم الله، ويثبت أقدامهم على سبيله.. لأنهم سعوا إلى الله، فتلقاهاهم الله بإمداد عونه، وتأييده، ونصره، فكان لهم الغلب، وكانت لهم العزة في الدنيا⁽⁴⁾.

هذا هو منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن الكريم، بالاعتماد على القرآن ذاته، وكل ما عارض معنى النص القرآني فهو مردود، فما مدى صحة هذا المنهج المتبع؟ للإجابة على ذلك، ننتقل إلى الدراسة النقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن في الباب الثاني:

(1) -سورة العنكبوت: الآية 69.

(2) -سورة العنكبوت: الآية 2.

(3) -الظاهر أن هذا اللفظ كتب خطأ في التفسير.

(4) -التفسير القرآني للقرآن: 470/11. وانظر أيضا حديثه عن موضوع السورة: 355/4، 358، 924/6، 1096، 1226، 719/8، 1194/9، 761/11، 1112/12-1113، 89/13، 257، 701/14، 912، 1267/15.

الباب الثاني:
دراسة نقدية لمنهج عبد
الكريم الخطيب في تفسير
القرآن بالقرآن

تمهيد:

من خلال عرض منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن الكريم، وفهم المقصود من تسميته لتفسيره بالتفسير القرآني للقرآن؛ نحاول في الجزء الثاني من هذا البحث معرفة صحة تفسيره للنص القرآني بنص قرآني آخر، وصحة تفسيره له بما يدل عليه القرآن، وذلك عقب تخصيص مسألتين بالدراسة النقدية:

المسألة الأولى: نقف من خلالها على حقيقة الانطلاق من النص القرآني عند تفسيره ثم الاستعانة بالنقل.

والمسألة الثانية: تطلعنا على حقيقة التدبر كدعامة أساسية لهذه العملية التفسيرية؛ وهي الانطلاق من النص القرآني عند التفسير.

ولذلك قسمنا هذه الدراسة إلى فصلين:

الفصل الأول:
نقد عبد الكريم الخطيب
للتفسير فيه نظر

تمهيد:

عنوان هذا الفصل هو ملخص للاستنتاج الذي سُجل عقب مقارنة تفسير "عبد الكريم الخطيب" لجملة من النصوص القرآنية التي رُوي عند تفسيرها نقل؛ حديث أو سبب نزول أو لغة أو إجماع؛ وكان موقفه من ذلك؛ تقديم التفسير القرآني لهذه النصوص، على التفسير الذي اعتمد فيه على النقل كما يقول لأنّ المنهج الصحيح في التفسير هو الانطلاق من النص القرآني، ثم قبول ما يوافق معنى النص، وردّ ما يعارضه من ذلك النقل.

والحق أن هذا القول يحمل يحتاج إلى تفصيل؛ لأن الأصل عدم وجود تعارض بين النص القرآني والنقل الثابت في تفسيره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن الناظر في التفسير لا بد وأنه سيعتمد على مرجعية فكرية معينة، وهي ما تُسمى بقواعد التفسير وأصوله، وأولى مصادر هذه المرجعية السنة ثم تفسير الصحابة ثم التابعين ثم اللغة...

وهذا الاعتماد لا يشترط فيه التصريح بذلك النقل والإحاطة به، لأنّ ذلك متعذر؛ وإنما يشترط التحقق به في ذات الناظر؛ بمعنى آخر أن يكون قد توفرت فيه شروط المفسر، والذي يؤكد ذلك أن تدبر القرآن مقصور على فئة معينة، -أقصد التدبر المفضي إلى التفسير وبيان كلام الله تعالى- إذن سواء انطلق المتدبر من النص، أو من النقل الثابت فعدم التعارض بين العقل والنقل تحصيل حاصل؛ هذا هو المنهج العام، أما تفاصيل هذا المنهج نحو ما ظاهره التعارض بين المنقول والمعقول؛ فالراجح أنه يرجع إلى منهج التعامل مع النقل.

فعلى أقل تقدير لا بد من التمييز بين: الحديث الذي هو بمثابة التفسير للنص، والحديث الذي هو بمثابة التمثيل، أو الإشارة لمعناه الإجمالي -هذا على سبيل المثال- وبين سبب النزول الذي يجب معرفته لفهم معنى النص، وبين غيره مما يطلق عليه هذا المصطلح ويقصد به غير ذلك، وهكذا...

وهذا الأمر من الصعب الإحاطة به نظرياً؛ بل هو شيء يدركه الراسخون في العلم ممن يزاولون مهمّة البيان والتفسير لكلام اللطيف الخبير، وإذا ثبت أن من الصحابة وهم العدول من

كان يتورّع ويحذر من تفسير القرآن، فمن باب أولى أن يكون هذا الخلق ديدن المتأخرين⁽¹⁾.

ولذلك فإنّ منهج التعامل مع النقل عند التفسير له ضوابط؛ كلما كان الالتزام بها، كان ما ظاهره التعارض بين التفسير بالنقل والتفسير بالعقل وفاقاً في الأصل، وهذا ما لا يلاحظ عند مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب لبعض النصوص القرآنية، بتفسير الطبري، وابن كثير، والقاسمي، والشعراوي، لأنّ دعوى التعارض بين معنى النص القرآني والتفسير المنقول له كما يقول، ليس لها شاهد عند هؤلاء المفسرين في الغالب الأعم.

والظاهر أن علة هذه الدعوى تعود إلى أمرين:

-أحدهما: منهج التعامل مع النقل عند عبد الكريم الخطيب فيه نظر.

-والثاني: منهجه في التفسير أصلاً فيه نظر من أكثر من زاوية؛ وأبرز مثال على ذلك مدى الالتزام بمعنى المصطلح المتداول في مجال التفسير نحو مصطلح "النسخ"⁽²⁾، ومصطلح "الإجماع"⁽³⁾.

وفي هذا الفصل نحاول تفصيل قول أن: «في نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير نظر»⁽⁴⁾ في مبحثين:

-المبحث الأول: يخصص لنقد منهجه في التعامل مع السنة؛ كنموذج يكفي لكشف الغطاء عن منهج التعامل مع النقل عنده.

-والمبحث الثاني: يكمل صورة النقد لذلك المنهج؛ من خلال بقية مصادر النقل التي سبق الحديث عنها في الباب الأول:

⁽¹⁾ - والمطلع على بعض تفسير الشعراوي يقف على قيمة هذا التفسير ابتداءً من تسميته بـ "خاطر في تفسير القرآن". والحق أن ميزة تفسير القرآن بالقرآن بارزة فيه.

⁽²⁾ - انظر: المسألة الثالثة من المدخل ومطلب "نموذج من تفسير النص المنسوخ بالناسخ"، ص 17 و 235 من هذا البحث.

⁽³⁾ - انظر: مطلب "نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع التراث"، ص 202 وما بعده من هذا البحث.

⁽⁴⁾ - من حيث المنهج، أمّا النقد في حد ذاته فهذا أمر آخر، انظر ما كتب في ذلك نحو: نقد الصحابة والتابعين للتفسير لـ د. عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، ط 1، دار التدمرية: الرياض، 2008م. وأسباب الخطأ في التفسير (دراسة تأصيلية) لـ د. طاهر محمود محمد يعقوب، ط 1، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، 1425هـ.

المبحث الأول:
نقد منهج عبد الكريم الخطيب
في التعامل مع السنة

حينما يصرّح عبد الكريم الخطيب بأن التفسير القرآني للنص هو الذي أدى إلى ردّ التفسير النبوي له بسبب التعارض بينهما، فذلك تصريح يحتاج إلى تفصيل، حسب ما يسمح به المقام في هذا البحث ويمكن تلخيص ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالسنة - الجانب النظري -

ثمة ثلاثة مسائل تتعلق بموضوع تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية يحسن الانطلاق منها في هذا النقْد:

المسألة الأولى: السنة أوّل مصدر يجب الاعتماد عليه في تفسير القرآن:

يقول الزركشي⁽¹⁾: «لطالب التفسير مأخذ كثيرة أمهاتها أربعة.

أولاً: النقل عن رسول الله ﷺ: وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنّه كثير»⁽²⁾ قال عز من قائل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾⁽³⁾، وقال أيضاً: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾⁽⁴⁾، فالسنة موضوعة للبيان بإجماع، وهذه قاعدة جملة تحتاج إلى تفصيل؛ ومن ذلك التفصيل الذي تحتاج إليه قوْلهم: أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن.. فإن لم تجده أو فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن⁽⁵⁾، والظاهر من هذا القول أن كل ما خفي معناه من القرآن ففي القرآن بيانه قطعاً؛ لكن قد لا يهتدي إليه الناظر فحينئذ يرجع إلى السنة هذا من جهة، ومن جهة أخرى: أن تفسير الرسول ﷺ للقرآن كان قولاً وعملاً، أو قل كان تطبيقاً عملياً في الواقع⁽⁶⁾، وأما التفسير المقصود في البحث، فهو هذا الذي يسجله المفسرون في مصنفاتهم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، فالرسول ﷺ لم ينقل عنه أنّه فسّر كل نص من نصوص القرآن

(1) - محمد بن عبد الله بن بھادر الإمام العالم العلامة المصنف المحرر بدر الدين أبو عبد الله المصري الزكشي الشافعي، كان فقيهاً أصولياً مفسراً أديباً فاضلاً في جميع ذلك، ت794هـ. انظر: طبقات المفسرين: 2/158.

(2) - البرهان: ص421.

(3) - سورة النحل: الآية 64.

(4) - سورة النحل: الآية 44.

(5) - سيأتي توثيقه في البحث، ص

(6) - وربما هذا هو المقصود من أن الرسول ﷺ فسر القرآن كله، -وهي من المسائل الخلافية على المستوى النظري-.

كتفسيره مثلاً للظلم من سورة الأنعام بالشرك من سورة لقمان⁽¹⁾ -على سبيل المثال-، ولذلك نص العلماء على أن تفسير القرآن بالقرآن هو أصح طرق التفسير، اقتداءً بمنهج النبي ﷺ، إذ وجه نظر من استشكل عليه معنى النص إلى القرآن ذاته، وهو الذي لا ينطق عن الهوى.

فلا تعارض إذن بين قولهم السنة أول مصدر للتفسير وبين قولهم: تفسير القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير، لأن ذلك يقوم أساساً على فهم السنة قبل إعمال العقل والنظر عند البيان⁽²⁾.

المسألة الثانية: هل كل السنة تفسير للقرآن؟

مما ورد في هذا الشأن قول الشاطبي: «يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولا عن النبي ﷺ على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز⁽³⁾، بل إنما نص عليه من جهته ﷺ، كان بياناً لما في الكتاب أولاً⁽⁴⁾».

وقوله أيضاً: «حيث قلنا: إن الكتاب دالٌّ على السنة، وإن السنة إنما جاءت مبينة له، فذلك بالنسبة إلى الأمر والنهي والإذن أو ما يقتضي ذلك، وبالجملة ما يتعلق بأفعال المكلفين من جهة التكليف، وأما ما خرج عن ذلك من الأخبار عما كان أو ما يكون، مما لا يتعلق به أمر ولا نهي ولا إذن فعلى ضربين:

-أحدهما: أن يقع في السنة موقع التفسير للقرآن، فهذا لا نظر في أنه بيان له، كما في... وحديث موسى مع الخضر ثابت صحيح... وأمثلة هذا الضرب كثيرة.

-والثاني: أن لا يقع موقع التفسير، ولا فيه معنى تكليف اعتقادي أو عملي، فلا يلزم أن يكون

(1) -وربما هذا من التأويل الذي يحتمله قول أن الرسول ﷺ لم يفسر القرآن كله، وقد سبق ذكر هذا الحديث، انظر ص:

(2) -يقول الشاطبي: «لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة». انظر: الموافقات: 256/3/2.

(3) -قال دراز: «معناه مما لم يكن معتبراً جزءاً من الكتاب بنفس ألفاظه». انظر: الموافقات: 305/3/2. الهامش رقم 1. والظاهر أن هذا ما ذكره الشافعي: «فجماع ما أبان الله خلقه في كتابه، مما تعبد بهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه... منها: ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه ﷺ، مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه، ومنها: ما سنَّ رسول الله ﷺ مما ليس لله فيه نصُّ حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله ﷺ والانتهاة إلى حكمه، فمن قبل عن رسول ﷺ بفرض الله قبل». انظر: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة، ط 1، دار الفكر: بيروت،

2009م، ص 61. وفصل ذلك في ص 63-64.

(4) -الموافقات: 305/3/2.

له أصل في القرآن، لأنه أمر زائد على مواقع التكليف...»⁽¹⁾.

والذي يفهم من قول الشاطبي؛ أنه يجب على المفسر التمييز بين السنة التي هي بمثابة التفسير والبيان للقرآن، وبين ما ليس من هذا القبيل⁽²⁾؛ بنحو ما جاء في البخاري في كتاب التفسير منه، وكتاب بدء الخلق وكتاب أحاديث الأنبياء كما قال دراز⁽³⁾.

والظاهر أن هذا المفهوم يدخل في المقصود من قول الغزالي: «لو كان المعنى هو الظاهر المنقول، لما اختلفت الناس فيه»⁽⁴⁾، أي أن الاختصار على المنقول في التفسير ليست قاعدة مطردة؛ فقد يكون بمثابة البيان للنص، وقد لا يكون؛ سواء في ذلك السنة النبوية أو مطلق السنة⁽⁵⁾.

المسألة الثالثة: افتراض التعارض بين النص القرآني والنص النبوي:

هذا الافتراض لا أصل له إلا من جهتين كما سنرى لاحقاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾⁽⁶⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽⁷⁾.

وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»⁽⁸⁾، يقول القرطبي

(1) -الموافقات: 341-339/4/2.

(2) -«فالسنة إذا خرجت عن ذلك فلا حرج، وقد جاء من ذلك غلط صالح في الصحيح، كحديث أبرص وأقرع وأعمى، وحديث جريح العابد، ووفاة موسى، وجمل من قصص الأنبياء عليهم السلام والأمم قبلنا، مما لا ينبغي عليه عمل، ولكن في ذلك من الاعتبار نحو مما في القصص القرآني... فهو خادم للأمر والنهي... فلم يخرج بالكلية» عما كان مبيهاً للكتاب، لأنه خادم لمقصود الكتاب. انظر: الموافقات: 341/4/2 بتصرف.

(3) -انظر: المصدر السابق: 341/4/2 الهامش رقم 7. و دراز هو محمد بن عبد الله دراز: فقيه، أديب، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر نال عضوية جماعة كبار العلماء (1949)، وافته المنية بمدينة لاهور بباكستان حيث كان يمثل مصر في المؤتمر العلمي الإسلامي سنة 1377هـ. انظر: معجم المفسرين: 564/2.

(4) -إحياء علوم القرآن: 428/1.

(5) -لأن مصطلح السنة يطلق أيضاً على أقوال الصحابة. انظر مثلاً: الموافقات: 305/4/2 وما بعده، قال الشاطبي: «ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد... ويدل على هذا الإطلاق قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين».

(6) -سورة النحل: الآية 44.

(7) -سورة الحشر: الآية 7.

(8) -مسند أحمد: 131-130/4.

بعد نقل شرحه«قال: وفي الحديث دلالة على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب، فإنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه؛ قال: فأما ما رواه بعضهم أنه قال:«إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه وإن لم يوافقه فردّوه»⁽¹⁾، فإنه حديث باطل لا أصل له»⁽²⁾.

ب-أما علة هذا الافتراض فكما يقول الشاطبي:«وقع الخروج عن السنة في أولئك لمكان إعمالهم الرأي وإطراحهم السنن، لا من جهة (إن القرآن تبيان لكل شيء، فإنه صحيح في ذاته، ولكن الفساد فيما بنوه عليه من الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم)⁽³⁾ وذلك أن السنة - كما تبين - توضح الجمل، وتقيّد المطلق، وتخصّص العموم، فتخرج كثيراً من الصيغ القرآنية عن ظاهر مفهومها في أصل اللغة، وتعلم بذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ، فإذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالاً في نظره، جاهلاً بالكتاب...؛ إذ ليس للعقول من إدراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيوية إلا التزير اليسير، وهي في الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل»⁽⁴⁾.

ج-والتسليم بافتراض التعارض بين النص القرآني والنص النبوي إمّا:

1-من جهة عدم ثبوت النص النبوي؛ ولذلك فإن«رتبة السنة التأخر عن الكتاب في الاعتبار»⁽⁵⁾، لأنّ الكتاب مقطوع به جملة وتفصيلاً، والسنة مظنونة والقطع بها جملة فقط كما يقول الشاطبي⁽⁶⁾. فإذا لم يصح النص النبوي فأين التعارض أصلاً؟ ثم إن عدم صحته يؤخذ من أهله الذين فصلوا القول فيه جملة وتفصيلاً⁽⁷⁾؛ يقول ابن تيمية:«إن المنقولات التي يحتاج

⁽¹⁾قال الصغاي هو موضوع، انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخلفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 86/1.

⁽²⁾انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 38/1. تحت عنوان: باب تبين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك. وقد نقل القرطبي هذا الكلام من الخطاب البستي: أبو سليمان حمد بن محمد، حيث جاء في كتابه: معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م، كتاب شرح السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن، حديث رقم 1637، 276/4.

⁽³⁾ما بين قوسين هو شرح دراز لقول الشاطبي «لا من جهة...» أنظر الموافقات: 317/4/2. الهامش رقم (1).

⁽⁴⁾المصدر السابق: 316-317/4/2.

⁽⁵⁾المصدر السابق: 307/4/2.

⁽⁶⁾المصدر السابق.

⁽⁷⁾وهذا علم قائم بذاته، فلا يعقل أن يصحح الحديث أو يضعف تبعاً لتفسير المفسر.

إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره»⁽¹⁾، ويقول الشاطبي وهو يتحدث عن عصمة الشريعة وعصمة صاحبها ﷺ وعصمة اجتماع الأمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾. والحفظ دائم إلى أن تقوم الساعة، وذلك أن الله عز وجل وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة والمناضلة عنها بحسب الجملة والتفصيل.

أما القرآن الكريم، فقد قيض الله له حفظه، وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة، فقيض الله لكل علم رجالا حفظه على أيديهم، فكان منهم... ثم قيض رجالا... ثم قيض الحق سبحانه رجالا يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله ﷺ، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله ﷺ، وهكذا جرى الأمر في كل علم توقف فهم الشريعة عليه، أو احتيج في إيضاها إليه. وهو عين الحفظ الذي تضمنته الأدلة المنقولة⁽³⁾.

2- وإما من جهة الناظر: حيث بدا له التعارض بين النص القرآني والنص النبوي بسبب التقصير أو بسبب الزيف والانحراف واتباع الهوى.

لكن ثمة أمر ينبغي الإشارة إليه، يقول الشاطبي: «الثابت في الجملة أن مخالفة الظني لأصل قطعي يسقط اعتبار الظني على الإطلاق، وهو مما لا يختلف فيه»⁽⁴⁾، ثم يقول: «وللمسألة أصل في السلف الصالح، فقد ردت عائشة - رضي الله عنها - حديث: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»⁽⁵⁾، بهذا الأصل نفسه، لقوله تعالى: ﴿أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ ۖ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾⁽⁶⁾، وردت حديث... وإن كان عند غيرها غير مردود، لاستناده إلى أصل آخر لا يناقض الآية... وفي الشريعة من هذا كثيرا جدا، وفي اعتبار السلف له نقل كثير»⁽⁷⁾.

(1)- مجموع الفتاوى: 346/13.

(2)- سورة الحجر: الآية 9.

(3)- الموافقات: 301/2/1-302 بتصرف.

(4)- الموافقات: 14/2/2.

(5)- صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه...، حديث رقم 1286، رواه عبد الله بن عمر ؓ: 283/1.

(6)- سورة النجم.

(7)- الموافقات: 16-15/3/2.

وهذا الأمر الذي أشرنا إليه لا ينافي القول بأن افتراض التعارض بين النص القرآني - وهو قطعي - والنص النبوي - وهو ظني - مردود لأسباب منها:

1- ما يقوله المتأخر يختلف حكماً وما يقوله السلف؛ خاصة الصحابة أو الأئمة المشهود لهم بالرسوخ في العلم.

2- ثم إن هذا القول جاء فيه «يسقط اعتبار الظني» ولم يذكر فيه ردُّ لهذا الظني - وفي ذلك تفصيل ليس ههنا محله -.

3- والملاحظ إن المنهج العام⁽¹⁾ في التعامل مع النصوص النبوية التي يبدو بينها وبين النصوص القرآنية تعارضاً؛ يتصف بميزة الحذر من ردِّ تلك النصوص، فيذكرون لذلك تحريجاً، أو لا يذكرون تلك النصوص أصلاً، أو يسكتون بعد ذكرها، بحيث يلتمس القارئ اتهام الناظر لما يوصله إليه تدبره وتأمله، وهو يفسر القرآن⁽²⁾ بصفة عامة، ذلك ما لاحظناه عند المقارنة، لمعرفة وجه الصواب من عدمه فيما قيل عنه أنه عارض معنى النص، وفيما يلي مزيد من التفصيل:

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة - الجانب التطبيقي -:

إذا كان ظاهر ما نقل عن عبد الكريم الخطيب: من ردِّ لأحاديث نبوية، أو عدم الأخذ بها، لتعارضها ومعنى النصوص القرآنية فيه نظر، سواء من ناحية المنهج، أو من ناحية المعنى، فإنَّ مقارنة ما يقوله، بما يقوله الطبري وابن كثير والقاسمي والشعرابي، في نصين فقط يكفي لتعصيد ذلك الظاهر:

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾⁽³⁾، ودعوى معارضته لحديث: «والله لأزيدن عن السبعين»⁽⁴⁾، وحديث «لو علمت أنه لو زدت

(1) - على الأقل عند هؤلاء المفسرين الذين قارنا بتفسيرهم، حيث يلاحظ نذرة التوقف عند الحديث النبوي عند التفسير.

(2) - وليس أدل على ذلك من ذكر الأحاديث التي فيها نظر - من الزاويتين - عند تفسير النصوص القرآنية التي رويت في تفسيرها دون تعليق عليها حيناً أو كراي مرجوح حيناً آخر، احتياطاً من ردِّ نص نبوي قد يصح بطريق أو بآخر، وكان المفسر يقول بلسان الحال: هذا ما أوصلني إليه تدبري للنص وهذا ما روي والله أعلم بالصواب.

(3) - سورة التوبة: الآية 80.

(4) - سبق تخريجه.

على السبعين مرة غفر الله لهم لفعلت»⁽¹⁾.

أ- مقارنة تفسيره للآية بتفسير:

1- الطبري:

بعد تفسيره للآية⁽²⁾ يقول: «ويروى عن رسول الله ﷺ أنه حين نزلت هذه الآية، قال: «لأزيدن في الاستغفار لهم على سبعين مرة»⁽³⁾، رجاء منه أن يغفر الله لهم، فتزلت: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾⁽⁴⁾»⁽⁵⁾، ثم يذكر مجموعة من الروايات في ذلك.

2- ابن كثير:

بعد تفسير الآية حسب ما يدل عليه ظاهرها، يذكر قولين في تفسير السبعين مرة؛ الأول أن العرب تقصد به المبالغة، والثاني أن له مفهوماً، و يسوق روايتين عن النبي ﷺ في ذلك نقلاً عن الطبري⁽⁶⁾.

3- القاسمي:

بعد تفسير الآية يورد في التنبيهات عدة أمور تتعلق بمسألة الاستغفار لهم، ومنها رواية البخاري وغيره: «وسأزيد على السبعين»⁽⁷⁾، وما ذكر من تأويل لذلك نقلاً عن بعض العلماء؛ فلا تعارض بين الآية والرواية كما يفهم من تفسيره لها⁽⁸⁾.

(1) -.

(2) - انظر: جامع البيان: 249-248/10/6.

(3) -.

(4) - سورة المنافقون: الآية 6.

(5) - جامع البيان: 249/10/6.

(6) - تفسير القرآن العظيم: 421-420/3.

(7) - انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾

[التوبة: 80]، حديث رقم 4670، رواه ابن عمر، 435/2.

(8) - محاسن التأويل: 480-478/5.

4-الشعراوي:

يشير عند تفسير الآية إلى عدم وجود تعارض بينها وبين رواية البخاري: «وسأزيد على السبعين»⁽¹⁾، ومما قاله: «أوضح رسول الله ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين؛ أنه ما دامت مرات الاستغفار قد حددت بسبعين مرة فلازيد على السبعين قليلا وبذلك غلب الرسول الكريم جانب الرحمة، وجانب الإكرام لعبد الله بن عبد الله بن أبي الذي أسلم وحسن إسلامه»⁽²⁾ وجاء قول الحق سبحانه: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾⁽³⁾، أي: مهما استغفرت بأي عدد من الأعداد فلن يغفر الله لهم»⁽⁴⁾، ويواصل الاستدلال على ما يقوله بما يحدث به علماء السيرة بهذا الصدد.

ب-تعقيب:

عندما نقارن تفسير عبد الكريم الخطيب للآية بتفسير هؤلاء العلماء نلاحظ:

1-التعارض الذي يبدو بين معنى الآية وهذين الحديثين له تخريج وتأويل يزيله، وهذا ما صرح به الشعراوي عند التفسير للنص بنوع من التفصيل والاستدلال، وأكد القاسمي بعد تفسير النص في التنبيهات.

2-أما الطبري فلا يشير لمسألة التعارض هذه نهائيا، وابن كثير يلمح بعد التفسير للنص لهذا الإشكال الظاهر.

ج-استنتاج:

منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع الحديثين، وهو يفسر النص فيه نظر سواء: من جهة دعوى عدم صحة الحديث الثاني كما قال؛ لأنه في هذه الحالة يفترض التعويل على أهل الاختصاص في تصحيح أو تضعيف الأحاديث.

أو من جهة دعوى التعارض بين معنى النص القرآني والنص النبوي، وهي دعوى خالف فيها هؤلاء على الأقل، فهل يكون الصواب عند الجماعة أم عند الفرد الواحد؟

(1)-انظر الهامش رقم "6" من هذه الصفحة.

(2)-تفسير الشعراوي: 5364/9.

(3)-سورة المنافقون: الآية 6.

(4)-تفسير الشعراوي: 5365/9.

النص الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾⁽¹⁾، ودعوى معارضته لحديث «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»»⁽²⁾.

أ- مقارنة تفسيره للآية بتفسير:

1- الطبري:

يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾⁽³⁾: «وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله،... فلما أراهم أعرضوا وكذبوا.. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل»⁽⁴⁾، ثم يذكر الآثار المروية في ذلك.

2- ابن كثير:

يقول عند تفسير الآية: «قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة... وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: خمسٌ قد مضين: الروم، والدخان، والزام⁽⁵⁾، والبطشة، والقمر⁽⁶⁾، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»⁽⁷⁾، ثم يذكر الأحاديث الواردة في ذلك.

(1)- سورة القمر: الآية 1.

(2)- سبق تخريجه في البحث، انظر ص:

(3)- سورة القمر: الآية 1.

(4)- جامع البيان: 105/27/13.

(5)- المراد به قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ «أي: يكون عذابهم لازماً، قالوا: وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهي البطشة الكبرى». انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 9/122.

(6)- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، رقم 2798 (ورد خطأ برقم 121/9، 2789).

(7)- تفسير القرآن العظيم: 45/6.

3-القاسمي:

لا يذكر تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾⁽¹⁾، وعند تفسير الآية المواتية ينقل عن ابن جرير تفسيره لها، ثم يذكر ملخص ما قاله القاضي عياض في ذلك، وبعدها يقول: «وزعم ابن كثير أن أحاديثه متواترة، إلا أن الشهاب نقل عن الإمام الخطابي أن معجزاته ﷺ غير القرآن لم تتواتر»⁽²⁾، ويواصل نقل ما جاء في المسألة عن بعض العلماء بطريقة تفهم أن الأمر يحتاج إلى تحقيق وبحث، وأن تفسير الآية بوقوع ذلك زمن النبي ﷺ فيه نظر⁽³⁾، ولذلك قال مثلاً: «ولي ههنا كلمة لا بد من التنبيه عليها، وهي أن الرمي بالإلحاد لمنكر حديث غير مجمع على تواتره، جناية كبرى، وزلة عظمى. فإنَّ باب [التكفير]⁽⁴⁾ والتضليل، ليس بالأمر القليل، ولأجله صنف حجة الإسلام الغزالي كتابه (فيصل التفرقة) ودمغ بحججه أولئك المتعصبين الذين سهل عليهم الرمي لمن خالفهم بالزندقة. ولعمر الحق إن هذا مما فرق الكلمة،... وهذا، كما لا يخفاك، حيف على قواعد العلم، وغل للأفكار، نعم! تفلت منهم علم الأصول،... وقد تنبه كثير من المحققين لما ذكرناه، وأشاروا له في مواضع، فقرروا في كتب العقائد أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة»⁽⁵⁾، ثم ينقل بعض ما يؤكد -بل يؤصل- قوله هذا عن ابن تيمية والغزالي وغيرهما، ويختم بقوله: «ويأتي مثل البحث في كثير من المواضع التي فسرهما بعض السلف بشيء، أو روى فيها ما أنكره [غيرهم]⁽⁶⁾ لما قام [لديهم]⁽⁷⁾، ولا ملام في معترك الأفهام -وبالله التوفيق-»⁽⁸⁾.

ب-تعقيب:

ثمّة أمرٌ ينبغي الإشارة إليه عند مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب للآية بتفسير هؤلاء المفسرين، وهو قول عبد الكريم الخطيب: «ولكننا إذ نخالف هذه الأخبار، فإنما نخالفها ونحن في شك

(1)- سورة القمر: الآية 1.

(2)- محاسن التأويل: 543/8.

(3)- أي أن اتفاق العلماء على وقوع انشقاق القمر زمن الرسول ﷺ شيء، وتفسير هذا النص بهذا الحديث شيء آخر.

(4)- وردت في الكتاب "التفكير": 544/8.

(5)- محاسن التأويل: 544-545.

(6)- كتبت في التفسير "غيره".

(7)- كتبت في التفسير "لديه".

(8)- المصدر السابق: 546/8.

من صحة السند»⁽¹⁾ لأن:

1- دعوى التعارض بين معنى النص القرآني، وهذه الأخبار من طرف عبد الكريم الخطيب لها شاهد، أو يعضدها موقف القاسمي من التفسير المنقول للنص مع الفارق في المنهج؛ فالقاسمي يؤكد أن تفسير الآية بهذه الأحاديث يحتاج إلى بحث وتفصيل، وأنه لا ينبغي رمي الناظر في الآية - وتفسيرها بغير ما فسرت به - بالإلحاد لإنكاره حديثاً غير مجمع على تواتره كما قال، ثم إن هذا أمر ملاحظ في أكثر من موضع من تفسير النصوص القرآنية كما قال أيضاً؛ بينما عبد الكريم الخطيب ذهب إلى القول بأن العلة في السند.

2- مجاوزة الناظر والمتدبر للتفسير المنقول أو الظاهر للنص؛ لا يعني بالضرورة تضعيف أو رد ذلك النقل الثابت، وإنما الأمر يكمن في ضرورة التحقق من كون ذلك النقل الثابت، أو التفسير الظاهر للنص، يمكن مجاوزته أو لا، بمعنى هل هو بمثابة التفسير له أم لا؟

ج- استنتاج:

من المسلم به أن مخالفة المتأخر للسلف في تفسير القرآن أمر لا بد له من برهان؛ ثم إن هذا الانتقاد أصلاً لا ينظر إليه إلا إذا كان من طرف العلماء المتخصصين؛ والملاحظ بصفة عامة أنه إذا كان ولا بد من وقوع المخالفة بين المتأخر والمتقدم - وهو أمر متوقع، لأن العصمة معلومة المصادر - ضرورة الحذر والتحقيق من طرف المخالف في المنهج المتبع؛ وفي هذا المثال، وإن استؤنس بشاهد له في الدعوى، فإن قوله: العلة في السند؛ تحتاج إلى وقفة، بغض النظر عن صحة أو عدم صحة دعوى معارضة معنى النص لمعنى الحديث.

وثمة أمر يلاحظ بين تفسير الطبري وابن كثير، وتفسير القاسمي الذي يقرب من تفسير عبد الكريم الخطيب، وهو أن هذا الاختلاف إنما هو في نسبة تدبر النص؛ حيث اكتفى بالظاهر المنقول عند الطبري، وابن كثير⁽²⁾ وتعدى تفسير القاسمي، تلميحا، وعبد الكريم، تصرّحاً، هذا الظاهر.

⁽¹⁾ - التفسير القرآني للقرآن: 630/14.

⁽²⁾ - في هذا الموضع، بمعنى قد يتعدى هذا الظاهر في موضع آخر.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالسنة - تلخيص لنقد المنهج -

من خلال مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب لنصوص قرآنية أخرى، بتفسير هؤلاء العلماء؛ يتضح لنا النقد المتوصل إليه - أكثر من ذي قبل - لمنهجه في التعامل مع السنة، وهو يفسر القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك:

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَايَتُهُ رَحْمَةً﴾⁽¹⁾.

أشار عبد الكريم الخطيب عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَايَتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾⁽²⁾، إلى أن التفسير القرآني لهذا العبد هو "العبد الصالح"، والتزم عند تفسير باقي الآيات التي تذكره بهذه التسمية، وأما تسميته بالخضر وكأنه لا يرجحها⁽³⁾ وعند:

أ- مقارنة تفسيره للآية بتفسير:

1- الطبري:

نلاحظ أن الطبري وهو يفسر هذه الآيات يسميه "العالم" من أول آية ذكر فيها⁽⁴⁾ إلى نهاية القصة؛ يقول الطبري: «وكان سبب سفر موسى ﷺ وفتاه، ولقائه هذا العالم...»⁽⁵⁾، «قال موسى للعالم... قال العالم...»⁽⁶⁾، وهكذا في باقي الآيات⁽⁷⁾.

(1)- سورة الكهف: الآية 65.

(2)- سورة الكهف: الآية 65.

(3)- انظر هذا البحث، ص

(4)- سورة الكهف: الآية 65. أو يسميه "صاحب موسى".

(5)- قال ذلك عند تفسير الآية 65 من سورة الكهف، انظر: جامع البيان: 337/19/9، وبعد ذلك ذكر روايات ورد في بعضها تسميته بالخضر. انظر: المصدر السابق، 337/15/9-344.

(6)- قال ذلك عند تفسير الآية 67 من السورة. انظر: جامع البيان: 344/15/9.

(7)- انظر: جامع البيان: 347-344/15/9 و 18-5/16/9.

2- ابن كثير:

يقول عند تفسير أول آية ذكرت هذه القصة⁽¹⁾: «وهذا هو الخضر عليه السلام، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة بذلك عن رسول الله»⁽²⁾، ويواصل تسميته بالخضر عند تفسير باقي الآيات⁽³⁾.

3- القاسمي:

يقول القاسمي: «فوجدنا ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾⁽⁴⁾... والجمهور على أنه الخضر...»⁽⁵⁾، ثم يشير في التنبيهات⁽⁶⁾ إلى رواية تدل على ذلك.

4- الشعراوي:

يسميه العبد الصالح ويسميه الخضر عند تفسير الآيات التي ذكر فيها⁽⁷⁾ وقد يقول: «الخضر -عليه السلام-»⁽⁸⁾.

ب- تعقيب:

أهم ما يلاحظ عند مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب بتفسير هؤلاء العلماء: مخالفة عبد الكريم الخطيب هؤلاء في منهج التعامل مع النقل عند تفسير هذه الآيات، بحيث نجد هؤلاء المفسرين بين حالتين؛ إما الاكتفاء بما يدل عليه النص، والإشارة لما ورد في النقل، وإما تفسيره بما ورد في النقل، أما عبد الكريم الخطيب فيثير مسألة الاكتفاء بالنص القرآني، وأنه لا حاجة لتفسيره بما ورد في النقل، وفي هذا المنهج نظر؛ لأنه إذا كان ليس له كبير أثر في مثل هذا النص، فقد يكون له الأثر السلبي مع نصوص قرآنية أخرى.

(1)- وهي الآية 65 من سورة الكهف.

(2)- تفسير القرآن العظيم: 228/4، ثم يذكر الأحاديث وأولها ما جاء عند البخاري.

(3)- المصدر السابق: 233/4-239.

(4)- سورة الكهف: الآية 65.

(5)- محاسن التأويل: 51/7. وكذلك فسره بالخضر عند تفسير الآية 72 من السورة. انظر: المصدر السابق: 52/7. وفي بعض

الآيات الأخرى أيضا.

(6)- محاسن التأويل، 62/7، المسألة 7.

(7)- تفسير الشعراوي: 8953/14-8974.

(8)- المصدر السابق: 8971/14.

ج- استنتاج:

إذا كان التعارض بين النص القرآني والنص النبوي هو العلة في الإعراض عن النص النبوي -وهي دعوى فيها نظر- فأين التعارض في مثل هذه الحالة، فالتفسير القرآني لهذا العبد هو العبد الصالح، هذا مسلم به لكن عدم الأخذ بالتفسير النقلي له أي "الخضر" ما المغزى منه؟ جاء في الموافقات عن هذا المثال أنه من باب تفسير النص بالحديث، وهو بيان له⁽¹⁾، ويمكن القول أيضا أنه من قبيل ما أجم اسمه وجاء بيانه في السنة -وهو ثابت صحيح-.

النص الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽²⁾.

أ- مقارنة تفسيره⁽³⁾ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽⁴⁾، بتفسير:

1- الطبري:

يقول الطبري: ﴿﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾﴾⁽⁵⁾، يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق ﴿صَدْرَكَ﴾ فنلين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة⁽⁶⁾، دون ذكر لرواية شق صدره ﷺ.

2- ابن كثير:

يقول ابن كثير: ﴿﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾﴾⁽⁷⁾، يعني أما شرحنا لك صدرك؟ أي: نورناه وجعلناه فسيحا رحيا واسعا كقوله⁽⁸⁾: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

(1)- سبق ذكره في البحث: ص

(2)- سورة الشرح: الآية 1.

(3)- انظر هذا البحث: ص

(4)- سورة الشرح: الآية 1.

(5)- سورة الشرح: الآية 1.

(6)- جامع البيان: 294/30/15.

(7)- سورة الشرح: الآية 1.

(8)- وكأنه بهذا اللفظ يفسر النص الأول بالنص الثاني أقصد قوله تعالى: ﴿نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

﴿⁽¹⁾، وقيل: المرادُ بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽²⁾، شرح صدره ليلة الإسراء... وقد أورده الترمذي⁽³⁾ هاهنا، وهذا وإن كان واقعا، [ليلة الإسراء...]، ولكن لا منافاة، فإن من جُملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء، ما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا، والله أعلم⁽⁴⁾، ثم يذكر رواية جاء في الهامش عنها أن في الإسناد ضعف⁽⁵⁾ و«لكن أصل الحديث له شواهد»⁽⁶⁾.

3-القاسمي:

يقول القاسمي: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽⁷⁾، «أي: ألم نوسعه بإلقاء ما يسره ويقويه... وأصل الشرح بسط اللحم ونحوه، مما فيه توسيع مستلزم لإظهار باطنه، وما خفي منه، استعمل في القلب الشرح والسعة، لأنه محل الإدراك لما يسرّ وضده... ثم استعمل في الصدر الذي هو محل القلب مبالغة فيه، لأنّ اتساع الشيء يتبعه اتساع ظرفه»⁽⁸⁾، ولا يوجد ذكر لتلك الرواية.

4-الشعراوي:

يقول الشعراوي: «وكذلك من الأمور التي وقفت أمام المعارضين على الإسراء والمعراج حادثة شق الصدر التي حكاها رسول الله ﷺ، والمتأمل فيه يجده عملا طبيعيا لإعداد الرسول ﷺ لما هو مُقبل عليه من أجواء ومواقف جديدة تختلف في طبيعتها عن الطبيعة البشرية... إذن: لا غرابة في أن يحدث له تغيير ما في تكوينه ﷺ ليستطيع مباشرة هذه المواقف»⁽⁹⁾.

ب-تعقيب:

عندما نقارن تفسير عبد الكريم الخطيب للآية بما يدلّ عليه القرآن بتفسير هؤلاء نلاحظ:

(1)- سورة الأنعام: الآية 125.

(2)- سورة الشرح: الآية 1.

(3)- الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي الضريير مصنف الجامع وكتاب العلل. ت279هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ: 2/635.

(4)- تفسير القرآن العظيم: 6/485.

(5)- المصدر السابق.

(6)- المصدر السابق: 6/486.

(7)- سورة الشرح: الآية 1.

(8)- محاسن التأويل: 9/424.

(9)- تفسير الشعراوي: 13/8330-8331. قال ذلك عند تفسير فاتحة سورة الإسراء.

1- إن استنكار عبد الكريم الخطيب لحديث شرح أو شق صدر الرسول ﷺ كتفسير لهذا النص غير مطابق للواقع؛ فقد نبّه إليه ابن كثير بعد تفسير الآية كتفسير آخر محتمل لها بينما لم يجر له ذكر عند الطبري والقاسمي.

2- والراجع أن هذا الاستنكار -وقد ورد في غير محله-؛ إنما هو استنكار العقل لما رُوي نقلاً؛ وليس مطلق العقل، بل العقل في نظر من في نظرهم نظر، وفي هذا الصدد يقول الشعراوي: «الفكرة»⁽¹⁾

في هذه القضية... دائرة بين يقين المؤمن... وبين تحكيم العقل، وهل استطاع عقلك أن يفهم كل قضايا الكون من حولك؟... وما العقل إلا وسيلة إدراك، كالعين والأذن، وله قوانين محددة لا يستطيع أن يتعداها... ولتوضيح ذلك نأخذ مثلاً العين، وهي وسيلة إدراك يحكمها قانون الرؤية، فإذا رأيت شخصاً مثلاً تراه واضح الملامح، فإذا ما ابتعد عنك تراه يصغر تدريجياً حتى يختفي عن نظرك... كذلك العقل كوسيلة إدراك له قانون، وليس الإدراك فيه مطلقاً... فالحجة... إذن قول الرسول، وما دام الرسول قد قال ذلك فهو صادق، ولا مجال لعمل العقل في هذه القضية»⁽²⁾.

ج- استنتاج:

إن إعمال العقل عند تفسير النص الذي ثبت في تفسيره نقل -بغض النظر عن نوع ذلك التفسير- لا يتعدى حدود إثبات صحة ذلك النقل من عدمه⁽³⁾، بل وحتى هذا العمل قد فصل فيه أهله من الراسخين في العلم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تفسير هذا النص بنصوص قرآنية أخرى شيء وإثبات صحة هذا الخبر من عدمه شيء آخر؛ لماذا إذن هذا الاعتراض على الخبر بدعوى تعارضه مع النص، وأين تطابق هذه الدعوى على الأقل بما قاله هؤلاء العلماء؟

وثمة أمر آخر: ألا يمكن القول أن تفسير هذا النص بالقرآن هو أحسن وأصح من تفسيره بالسنة -إذا كان الأول صحيحاً والثاني ثابتاً-؟

(1)- يقصد قضية الإسراء والمعراج، وحادثة شق الصدر هي من هذا القبيل، لذلك ذكرت هذا التوجيه.

(2)- تفسير الشعراوي: 8331/13-8333.

(3)- مثلاً في هذا الموضع لا مجال لإعمال العقل في كون حادثة شق الصدر ممكنة الوقوع أو غير ممكنة، وإنما مجاله هل هذا الخبر صحيح أم غير صحيح، هذا أولاً وثانياً هل هو المقصود من هذا النص أم لا؟

° خلاصة:

أ- يمكن تلخيص نقد منهج عبد الكريم الخطيب في تعامله مع السنة، وهو يفسر القرآن الكريم، فيقدم التفسير القرآني للنص على الحديث الذي روي في تفسيره لتعارضه معه، كما يقول في أمور أهمها:

* عدم مطابقة دعوى اعتراضه على تفسير هذه النصوص بتلك الأحاديث، مع ما يقوله هؤلاء المفسرين في تفاسيرهم في الغالب الأعم.

* دعوى التعارض بين تلك النصوص والأحاديث التي رويت عند تفسيرها فيها نظر.

* مسألة تصحيحه للحديث أو تضعيفه له؛ بناء على تفسيره للنص الذي يروي عنده فيها نظر.

ب- وهذه الملاحظات تصدق أيضا في مواضع لم يصرح فيها بالنقد؛ إذن فالتفسير كله قد يصدق فيه مثل هذا الاستنتاج، والعلّة في ذلك تعود إلى المنهج، لذلك يمكن القول:

* إن مسألة التقيد بفهم منهج التعامل مع السنة عند التفسير⁽¹⁾؛ كما هو مقرر عند العلماء، لا بُد منه عند إعمال العقل في تفسير النص، بل تعتبر مسألة إسناد ما يُسجل كتفسير له ضرورية، ولو في العموم لأنها تبدد احتمال تطرّق الشك في ذلك التفسير.

* وإن مخالفة المنهج الواضح والمعلوم في تفسير القرآن؛ خاصة إذا كانت تلك المخالفة ممن لم يشتهر في الوسط العلمي، ولا اشتهر تفسيره بالتداول والإفادة منه؛ أقول تلك المخالفة تؤكد ملاحظة أن في ذلك المنهج نظر بصفة عامة.

(1) - أقصد متى يكون الحديث النبوي كالتفسير للنص القرآني؟ ومتى يكون غير ذلك؟ هذا هو الإشكال الذي جعل عبد الكريم الخطيب يردّ كل نص نبوي - وإن كان متفقا عليه - لا يوافق المعنى الذي يوصله إليه تدبره للنص القرآني. وسيوضح ذلك أكثر في الدراسة النقدية لتفسيره القرآن بالقرآن في الفصل الثاني من هذا الباب.

المبحث الثاني:

نقد منهج عبد الكريم الخطيب

في التعامل مع أسباب النزول

واللغة والتراث

المطلب الأول: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع أسباب النزول.

أولاً: منهج التعامل مع أسباب النزول - الجانب النظري:-

متى يجب الاعتماد على سبب النزول عند تفسير النص القرآني، ومتى يمكن الاستغناء عنه؟ هذه مسألة تدرك حسب الإطلاع على بعض تفاسير العلماء للنص، القرآني الذي رُوي فيه سبب النزول، بمقارنة منهج ثلاثة مفسرين معتبرين على الأقل في تفسير النص القرآني الذي رُوي فيه سبب نزول بتفسير عبد الكريم الخطيب له، وأما ما قرره العلماء والمحققون فيما يتعلق بحكم معرفة سبب النزول عند تفسير القرآن الكريم، ففيه بعض الإجابة على ذلك؛ ومما أشاروا إليه أمرين:

أ- ضرورة معرفة أسباب النزول في التفسير:

من أقوال العلماء في ذلك:

- قول ابن تيمية: «معرفة "سبب النزول" يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب؛ ولهذا كان أصح قول الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالفُ رجع إلى سبب يمينه وما هيجه وأثارها»⁽¹⁾.

- وقول الشاطبي: «معرفة أسباب التزيل لازمة لمن أراد علم القرآن... ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال... والجهل بأسباب التزيل موقع في الشبه والإشكالات ومورد للنصوص الظاهرة مُورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع التراجع»⁽²⁾، وقال أيضاً: «إن علم الأسباب من العلوم التي يكون العالم بها عالماً بالقرآن»⁽³⁾.

ب- ضرورة فهم منهج التعامل مع هذا العلم:

المقصود من ذلك الإشارة لمسألة فهم المقصود من أقوال النقلة لأسباب النزول، نحو قولهم: أنزلت الآية في كذا ماذا يراد منه؟ وهذا ما أشار إليه مثلاً:

(1)- مجموع الفتاوى: 339/13، وقد ذكره ابن تيمية في الصنف الثاني من صنفه اختلاف التنوع في التفسير بين السلف.

(2)- الموافقات: 241/3/2.

(3)- الموافقات: 243/3/2. وانظر أيضاً: البرهان: ص28، والاتقان: ص84، والزرقاتي محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت، 1999م، 91/1، ومنايع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، الرياض، 2000م ص79.

-ابن تيمية قائلًا: «قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا»⁽¹⁾.

-والزرركشي بقوله: «قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد [بذلك] أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، [لا أن] هذا كان السبب في نزولها. فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع»⁽²⁾. ومن فصل في هذه القضية الدهلوي⁽³⁾ بقوله: «من المواضع الصعبة معرفة أسباب النزول ووجه الصعوبة فيها أيضا خلاف المتقدمين والمتأخرين، والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم لا يستعملون نزلت في كذا لحض قصة كانت في زمنه ﷺ وهي سبب نزول الآية بل ربما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه ﷺ أو بعده ﷺ ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود بل يكفي انطباق أصل الحكم فقط وقد يقررون حادثة تحققت في تلك الأيام المباركة واستنبط ﷺ حكمها من آية وتلاها في ذلك الباب ويقولون نزلت في كذا وربما... ويذكر المحدثون في ذيل آيات القرآن كثيرا من الأشياء ليست من قسم سبب النزول في الحقيقة مثل... ولا يشترط إحاطة المفسر بهذه الأشياء إنما شرط المفسر أمران:

الأول: ما تعرض به الآيات من القصص فلا يتيسر فهم الإيماء بتلك الآيات إلا بمعرفة تلك القصص. والثاني: ما يخصص العام من القصة أو مثل ذلك من وجوه صرف الكلام عن الظاهر فلا يتيسر فهم المقصود من الآيات بدونها...

وبالجملة فشرط المفسر لا يزيد على نوعين من هذه الأنواع:

-الأول: قصص الغزوات وغيرها، مما وقع في الآيات الإيماء إلى خصوصياتها وما لم تعلم تلك القصص لا يتأتى فهم حقيقتها.

-والثاني: فوائد بعض القيود وسبب التشدد في بعض المواضع مما يتوقف على معرفة حال

(1)-مجموع الفتاوى: 339/13.

(2)-البرهان: ص 33.

(3)-أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي ولقبه قطب الدين، من أهل دهلبي بالهند، أخذ الأئمة والأعلام المصلحين ت 1176 هـ. انظر: معجم المفسرين: 2/564 بتصرف.

التزول...»⁽¹⁾.

والذي يتقرر من خلال هذه النقول؛ ضرورة التمييز بين ما يجب معرفته من هذا العلم عند تفسير النص القرآني، وما لا يجب⁽²⁾. أمّا منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع سبب التزول ولا سيما ما صرح به من ردّ لروايات أسباب نزول⁽³⁾ نصوص قرآنية لتعارضها والتفسير القرآني لتلك النصوص فسبيل فهمه المقارنة.

ثانيا: منهج التعامل مع أسباب التزول - الجانب التطبيقي -:

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

أ- مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب للآية بتفسير:

1- الطبري:

يقول الطبري: «اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك⁽⁵⁾،... وأولى هذه الأقوال بالصواب...»

⁽¹⁾ - حجة الله الدهلوي: الفوز الكبير في أصول التفسير، دار قتيبة: بيروت، دمشق، 1989م، ص 54-58.

⁽²⁾ - انظر مثلاً ما جاء في الإتيان في ذلك: ص 90-91.

⁽³⁾ - مثلاً ردّه لأسباب نزول الآية 77 من سورة مريم لتعارضها ومعنى الآية كما يدلّ عليه القرآن في رأيه، نلاحظ فيه:

1- الطبري والقاسمي يفسران الآية. ثم يذكران ما روي فيها. انظر: جامع البيان: 156/16/9 ومحاسن التأويل: 116/7.

2- ابن كثير يذكر ما روي في الآية عند تفسيرها. انظر: تفسير القرآن العظيم: 297/4-298.

3- الشعراوي يقول عند تفسير النص: «نلاحظ هنا أن القرآن لم يذكر لنا هذا الشخص الذي قال هذه المقولة ولم يُعيّنه، وإن كان معلوماً لرسول الله الذي حوّل بهذا الكلام؛ وذلك لأنّ هذه المقولة يمكن أن تقال في زماننا وفي كل زمان، إذن: فليس المهم الشخص بل القول نفسه. وقد أخبر عنه أنه أمية بن خلف، أو العاصي بن وائل السهمي». انظر: تفسير الشعراوي: 9173/15-9174.

4- سبب نزول هذه الآية ذكره السيوطي في لبّاب النقول: ص 180. (وسبب تأنيقه كاملاً). وقال أخرجه الشيخان وغيرهما:

لذلك كان الأولى تقديم ما أوصله إليه تدبره دون ردّ لهذا النقل الثابت؛ لأنّ التعارض بين معنى النص ومعنى هذا النقل - كما

يقول - ليس دليلاً على بطلان هذه الروايات وإنما التعارض يكمن في منهج أو فقه التعامل مع النقل بصفة عامة ومع ما

يروى من تفسير للنصوص القرآنية بصفة خاصة.

⁽⁴⁾ - سورة آل عمران: الآية 188.

⁽⁵⁾ - ويذكر عدة آراء لكل رأي أكثر من رواية. انظر: جامع البيان: 256/4/3-260.

قول من قال: عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جلّ وعزّ أنّه أخذ ميثاقهم، ليبين للناس أمر محمد ﷺ، ولا يكتمنونه»⁽¹⁾.

2- ابن كثير:

يقول ابن كثير: «يعني بذلك المرائيين المتكثرين بما لم يعطوا»⁽²⁾ ثم يذكر روايات منها رواية ابن عباس وما قاله لرافع، ثم يقول: «ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء؛ لأنّ الآية عامة في جميع ما ذكر، والله أعلم»⁽³⁾.

3- القاسمي:

يقول: «ثم أشار تعالى أنهم لا يرون»⁽⁴⁾ قبح ذلك بل يفرحون به فقال... ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾⁽⁵⁾ أي: بما فعلوا من اشتراء الثمن القليل بتغيير كلام الله تعالى...»⁽⁶⁾ وبعد تفسيرها وذكر روايتين في نزولها يقول: «ولا منافاة بين الروايتين لأنّ الآية عامة في جميع ما ذكر، ومعنى نزول الآية في ذلك وقوعها بعد ذلك، لا أن أحد الأمرين كان سبباً لنزولها. كما حققناه غير مرة»⁽⁷⁾ وفي التنبيه يضيف قوله: «ويدخل في ذلك المراءون المتكثرون بما لم يعطوا، كما جاء في الصحيحين»⁽⁸⁾.

4- الشعراوي:

يصدّر الشعراوي تفسيره للآية بتمهيد؛ يتضمن من جملة ما يتضمن مسألة الفرح -مطلقاً- الممنوع والمشروع كما يشير إلى ذلك القرآن⁽⁹⁾، ثم يقول: «وماذا صنع الذين جاء فيهم القول:

(1)-المصدر السابق: 261-260/4/3.

(2)-تفسير القرآن العظيم: 162/2.

(3)-المصدر السابق: 163/2.

(4)-يقصد بهم علماء اليهود والنصارى المذكورين في الآية قبلها. انظر: محاسن التأويل: 526/2.

(5)-سورة آل عمران: الآية 188.

(6)-محاسن التأويل: 528/2.

(7)-المصدر السابق: 529-528/2.

(8)-المصدر السابق: 529/2.

(9)-تفسير الشعراوي: 1947-1946/3.

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾⁽¹⁾ يحتمل أن يكون المراد هم أهل الكتاب الذين كتموا نعت رسول الله ﷺ، لأن الآية السابقة تقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾⁽²⁾... وإذا قال قائل: إنها نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فالقول محتمل؛...

سواء كان هذا أو ذاك فالآية على إطلاقها: للذين يفرحون بما أتوا من مناهضة الحق وذلك فعل، والفرح به ذنب آخر، والرغبة في الحمد عليه شيء ثالث، إذن فالذنب مركب... والحق سبحانه وتعالى يعطي لهذا دستوراً إيمانياً لمطلق الحياة⁽³⁾ ويواصل التفسير⁽⁴⁾.

ب- تعقيب:

من خلال تأمل تفسير هؤلاء العلماء للآية نلاحظ مايلي:

1- الطبري يرجح الرواية الأقرب لمعنى النص بدليل السياق بعد ذكره لعدة تأويلات، وابن كثير يشير بعد تفسير الآية إلى عموم المعنى، وأنه لا منافاة بين ما يروى وبين ذلك، أما القاسمي فيضيف المقصود من حكاية سبب النزول، وفي تفسير الشعراوي يبدو الأمر أكثر وضوحاً؛ حيث يشرح المعنى انطلاقاً من النظرة الشمولية لمسألة الفرح في القرآن الكريم، وأن الفرح المقصود في النص جزء من ذلك وما يروى كسبب لنزولها له توجيهه⁽⁵⁾، وهو لا ينافي المعنى.

2- وإذا رجعنا إلى تفسير عبد الكريم الخطيب للنص⁽⁶⁾؛ نجد أنه يكتفي بذكر معنى النص بدليل السياق القرآني، ولا يشير إلى هذه الروايات.

ج- استنتاج:

1- حينما يكتفي المفسر ببيان معنى النص القرآني الذي ورد في تفسيره نقل كاسباب النزول

(1)- سورة آل عمران: الآية 188.

(2)- سورة آل عمران: الآية 187.

(3)- تفسير الشعراوي: 3/1948.

(4)- المصدر السابق: 3/1948-1951.

(5)- قال السيوطي بعد ذكر أسباب نزول هذه الآية وفي مقدمتها ما رواه الشيخان عن علقمة بن وقاص: «لا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك». انظر: لباب النقول في أسباب النزول، ط1، دار البيان الحديثة، القاهرة، 2002م، ص74.

(6)- انظر هذا البحث: ص

في هذا النموذج، دون تصريح أو تلميح لما روي من نقل فيه؛ فذلك مظنة التوقف عند ذلك التفسير؛ لأن ظاهره الاعتماد على الرأي - أقصد حتى وإن انطلق المفسر من ذلك النقل، ولكنه خفي على القارئ - إلى أن يجد له شاهدا عند غيره من المفسرين المعتمدين، هذا أمر.

2- والأمر الآخر؛ أن العلم بظاهر التفسير لهذا النص له فائدة كبيرة عند تدبره؛ خاصة إذا فُسِّرَ مستقلا عن سياقه من سورته، فقد يلتبس المعنى على طالب تفسيره، كما أشكل معناه على مروان⁽¹⁾، ولعل ذلك هو السبب في ذكر هذا النص كمثال على ضرورة معرفة أسباب النزول في الغالب⁽²⁾.

3- والأمر الثالث لا ينبغي مجاوزة ظاهر التفسير للنصوص؛ وإلا استغني عن التفسير بالمأثور بصفة عامة؛ إذا اكتفى بإعمال العقل.

النص الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرَتْهُمُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁾.

أ- مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب للآية بتفسير:

⁽¹⁾ - عن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد بما لم يفعل مُعَذِّباً لنُعَذِّبَنَّ أجمعون فقال ابن عباس: وما لكم ولهذا؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتبهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

هذا اللفظ للبخاري. انظر: صحيحه، كتاب تفسير القرآن باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ [آل عمران: 188] حديث رقم 4568، 408/2.

أما لفظ مسلم: فقال ابن عباس: ما لكم ولهذا الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 178] وتلا: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: 188]، وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء الحديث. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم 2778، 106/9.

⁽²⁾ - انظر مثلاً: الموافقات: 2/242، والبرهان: ص 30-31. والإتقان: ص 85، ومناهل العرفان: 1/92، ومباحث في علوم القرآن: ص 79.

⁽³⁾ - سورة الأحقاف: الآية 10.

1- الطبري:

يورد الآراء والروايات - لاختلافهم في معنى الآية وفي تعيين الشاهد -⁽¹⁾، ويرجح بأنها نزلت في مشركي قريش ثم يقول: «غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام...»⁽²⁾.

2- ابن كثير:

يقول: «وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام وغيره، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام... وإسلام عبد الله بن سلام كان بالمدينة... واختاره ابن جرير»⁽³⁾، ثم يورد روايات مفادها أنه عبد الله بن سلام دون أي تعليق أو تعقيب.

3- القاسمي:

يعطي تخريجا لما يُروى من أحاديث -دون ذكر لها- في ذلك، ثم يشير إلى أن هذا من قبيل الاختلاف «ويقرب مما ذكره كثيرا من المراد من سبب النزول في مثل هذا، وأنه استشهاد على ما يتناوله اللفظ الكريم»⁽⁴⁾، ذلك ما قاله القاسمي في التنبيه بعد تفسير الآية.

ب- تعقيب:

1- أبرز ملاحظة نسجلها من خلال مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب للآية⁽⁵⁾ بتفسير هؤلاء العلماء: عدم مطابقة قوله أن الإجماع يكاد يكون على أن عبد الله ابن سلام هو المقصود في الآية.
2- ثم نلاحظ اختلافا بينه وبين هؤلاء في التعامل مع النقل الوارد في تفسير هذا النص، حيث نجد تخريجا وتأويلا لتلك الروايات⁽⁶⁾ أو ذكرها دون تعليق من طرف هؤلاء العلماء، بينما نلمس

(1)- جامع البيان: 13/26-18.

(2)- المصدر السابق: 13/26-18.

(3)- تفسير القرآن العظيم: 5/566-567.

(4)- محاسن التأويل: 8/338.

(5)- انظر: هذا البحث: ص

(6)- مثلا ردّه لما يُروى من أسباب نزول الآيتين 95 و96 من سورة النساء بسبب التعارض ومعنى النص فيه خلل في منهج التعامل مع النقل. انظر مثلا: ما قاله المفسرون عند تفسير هذا النص:

- الطبري يذكر معنى الآية 95 ثم يورد ما روي من أخبار في ذلك. انظر جامع البيان: 4/295-299.

الإعراض عن هذا النقل ووصفه بالاختلاف والتناقض من طرف عبد الكريم الخطيب، والرأي أن مسألة تصحيح أو تضعيف المنقولات ليس ههنا موضعها، فلها أهلها ولها مصادرها.

ج-استنتاج:

- 1- في هذا المثال تبدو مسألة اعتقاد الخطأ في النقل⁽¹⁾ حالة التعارض والمعنى القرآني الذي طريقه التدبر واضحة، وفي ذلك كله نظر. بل وحتى أسلوب الانتقاد لذلك النقل فيه نظر فضلا عن المنهج.
- 2- في هذا النموذج مثال حي يفترض الاقتداء به؛ وهو عدم إغفال تقليب النظر وإعمال العقل والتصريح بذلك، لكن ما يذكره النقل يظل هو الأصل، وهذا ما يلاحظ جليا عند الطبري وابن كثير -وكأنهما يقولان بلسان الحال: للعقل مجال محدد يمنع تجاوزه، ثم وإن قام الدليل على صحة ما يتوصل إليه، فذلك مشروط بموافقة ما ثبت نقلا. وإلا فالنقل هو الأصوب.

المطلب الثاني: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع اللغة:

أولا: منهج التعامل مع اللغة -الجانب النظري-:

أ-مما قرره العلماء فيما يتعلق بمسألة اللغة وتفسير القرآن الكريم:

*قول ابن تيمية: «ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي

-ابن كثير يقدم حديث البخاري عن البراء: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله: ﴿غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ﴾، ثم يذكر روايات أخرى. هذا ما جاء في تفسير هاتين الآيتين. انظر: تفسير القرآن العظيم: 351/2-354.

-القاسمي يفسر الآية 95 ويذكر حديث البراء الذي قدمه ابن كثير. أما التعارض الذي حكاه عبد الكريم الخطيب فلا إشارة له نهائيا. انظر: محاسن التأويل: 291/3-293.

= أما الشعراوي فيقدم الرواية التي ردها عبد الكريم الخطيب عند تفسير الآية، ويفسر تلك الآية دون إثارة مسألة التعارض هذه مجيبا لمن يلتبس عليه الأمر «ولقائل أن يقول: وهل كانت الآية تنتظر أن يستدرك ابن أم مكتوم ليقول هذا؟ ونقول: إن الحق سبحانه وتعالى أراد أن ينبه كل مؤمن أنه حين يتلقى كلمة من الله أن يتدبر ويتبين موقعه من هذه الكلمة» ثم يقول: «وقال زيد بن ثابت: فكتبها إنها الدقة في أداء زيد بن ثابت لتدلنا على صدق الرواية... قال... لقد نزلت "غير أولى الضرر" وحدها وكأني. أنظر إلى ملحقتها عند صدع الكنف...». انظر: تفسير الشعراوي: 2575/4-2576.

⁽¹⁾ ومن تلك الروايات ما أخرجه «الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾». انظر: لباب النقل: ص 246.

ﷺ لم يحتاج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة»⁽¹⁾.

* وقول الشاطبي: «إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، وقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي ولسان العرب...، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»⁽²⁾.

* وقول الزركشي: «لطالب التفسير مأخذ كثيرة أمهاتها أربعة... الثالث: الأخذ بمطلق اللغة. فإن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، وقد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع...»⁽³⁾.

ب- والتأمل في مثل هذه الأقوال يقف على أمرين:

* الأمر الأول: إن التععيد للغة كعلم جاء عقب التطبيق لهذه اللغة - كعلم أيضا - في تفسير النبي ﷺ وتفسير الصحابة ولسان العرب زمن نزول القرآن.

* والأمر الثاني: وهي مسلمة؛ أنه لا تعارض بين معنى النص القرآني والتفسير اللغوي له؛ لأنه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽⁴⁾، فالتفسير اللغوي⁽⁵⁾ من الوسائل الموصلة لفهم المعنى المقصود.

وعليه فإن القول بأن معنى النص القرآني أصل والتفسير اللغوي له تابع مسلمة، شريطة أن يكون ذلك المعنى مصدره النقل الصحيح أو الرأي المحمود، وذلك أمر يحتاج إلى تفصيل دقيق، أما في مثل هذا البحث، فإن مقارنة منهج عبد الكريم الخطيب وهو ينطلق من هذه المسلمة بمنهج هؤلاء العلماء، يوقفنا على حقيقة تصريحه بمخالفة غيره في عدة مواضع من التفسير انطلاقاً من

(1)- مجموع الفتاوى: 27/13.

(2)- الموافقات: 305/2/1.

(3)- البرهان: ص 421-423.

(4)- سورة الشعراء: الآية 195.

(5)- قدم مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار بحثاً قيماً بعنوان "التفسير اللغوي للقرآن الكريم"، من 734 ص، ط 1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، أخرجه من الأنترنت.

هذه المسئلة.

ثانيا: منهج التعامل مع اللغة - الجانب التطبيقي:-

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾.

أ- مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب لهذا النص بتفسير:

1- الطبري:

يقول في تفسير ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾⁽²⁾: «اختلف في المقيمين في الصلاة، أهم الراسخون في العلم، أم هم غيرهم؟... وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون "المقيمين" في موضع خفض نسقا على "ما" التي في قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾⁽³⁾ وأن يوجه معنى المقيمين الصلاة إلى الملائكة...»⁽⁴⁾، ومما يعلل به رأيه هذا قوله: «وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوما، أدلّ الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب»⁽⁵⁾.

2- ابن كثير:

يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾⁽⁶⁾: «هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة، وكذا هو في مصحف أبي بن كعب»⁽⁷⁾، ثم يحكي باختصار تفسير الطبري للآية ويعلق

(1)- سورة النساء: الآية 162.

(2)- سورة النساء: الآية 162.

(3)- سورة النساء: الآية 162.

(4)- جامع البيان: 4/35-37.

(5)- المصدر السابق: ص 37.

(6)- سورة النساء: الآية 162.

(7)- أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري أقرأ الصحابة وسيد القراء شهد بدرا والمشاهد وقرأ القرآن

على النبي ﷺ، ت 17 هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 1/16.

على اختياره قائلاً: «وهذا اختيار ابن جرير... وفي هذا نظر، والله أعلم»⁽²⁾.

3-القاسمي:

ينقل عند تفسير الآية بعض ما قاله ابن كثير والزمخشري ثم يذكر ما قاله السخاوي⁽³⁾ عن ضعف الرواية القائلة بأن الكاتب أخطأ في كتابة الآية -فقط-⁽⁴⁾.

4-الشعراوي:

ينبه الشعراوي إلى اختلاف الأسلوب بين قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾⁽⁵⁾، وبين ما سبقه من الآية، وأن العلة في ذلك أو السر في هذا الاختلاف يعرفه العرب، وأنه لو كان خطأ لكانوا أول من اعترض على الرسول ﷺ على ذلك⁽⁶⁾، «فحين يكسر الحق الأعراب عند قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾⁽⁷⁾ إنما جاء ليلفتنا إلى أهمية هذه العبادة. ولذلك يقولون: هذا كسر إعراب بقصد المدح -فهي منصوبة على الاختصاص- ويخص به الحق المقيم الصلاة؛ لأن إقامة الصلاة فيها دوام إعلان الولاء لله...»⁽⁸⁾.

ب-تعقيب:

الملاحظ أن الأسلوب الذي جاءت وفقه الآية الكريمة ملفت للانتباه، وكل من هؤلاء المفسرين قدم وجهة نظره في ذلك، وأقصى تعليق على المفسرين في تحليل ذلك الأسلوب، كان من طرف ابن كثير على اختيار الطبري، وبلطف، حيث قال: «وهذا اختيار ابن جرير... وفي هذا نظر، والله

(1)-تفسير القرآن العظيم: 426/2.

(2)-المصدر السابق:

(3)-محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، أبو الخير أبو عبد الله شمس الدين السخاوي: مؤرخ، ناقد، عالم بالحديث والتفسير والأدب، من فقهاء الشافعية، ملأت شخصيته الحركة الأدبية المصرية زهاء نصف قرن و هو تلميذ ابن

حجر، ت 902هـ. معجم المفسرين: 548/2.

(4)-محاسن التأويل: 447/3-448.

(5)-سورة النساء: الآية 162.

(6)-تفسير الشعراوي: 2819/5 بتصرف.

(7)-سورة النساء: الآية 162.

(8)-تفسير الشعراوي: 2820/5.

أعلم⁽¹⁾، بينما كان قول الشعراوي دقيقاً ووجيهاً؛ حيث أكد أن ما خفي على الناظرين في هذا الاختلاف الظاهر في أسلوب الآية؛ كان معلوماً عند العرب زمن نزولها، وهذا توجيه أو تعليق، يؤكد أن مسألة فهم اللغة من الناحية النظرية؛ إنما مصدرها الرئيسي التفسير المنقول عن السلف الصالح عهد نزول القرآن، وذلك ما قرره العلماء نحو ما أوردناه قبل ذكر هذا المثال. أمّا ما قاله عبد الكريم الخطيب عند تفسير الآية؛ فيبدو غير مطابق للمنهج العام المعروف عند المفسرين في التعامل مع اللغة عند التفسير، وقد يكون تعليقا على فئة معينة، إلا أن التعميم الذي صرح به فيه نظر ونظر.

النص^٥ الثاني:

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا تَلْبِسُوا الْحَرَّمَ بِالْحَلَالِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَلَالَ بِالْحَرَّمَ﴾ (2).

أ- مقارنة تفسير عبد الكريم الخطيب بتفسير:

1- الطبري:

يقول في تفسير الآية: «قل يا محمد لهؤلاء العادلين برهم الأوثان والأصنام... تعالوا أيها القوم اقرأ عليكم ما حرّم ربكم حقاً يقيناً... ألا تشركوا بالله شيئاً من خلقه... ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (3) يقول: وأوصى بالوالدين إحساناً وحذف "أوصى" وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه... ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ﴾ (4) ولا تقتلوا أولادكم فتقتلوه من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم... ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاخِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (5) ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرّمة عليكم... والباطن منها الذي تأتونه سرّاً في خفاء لا تجاهرون به، فإن كل ذلك حرام... ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا

(1)- تفسير القرآن العظيم: 426/2.

(2)- سورة الأنعام: الآية 151.

(3)- سورة الأنعام: الآية 151.

(4)- سورة الأنعام: الآية 151.

(5)- سورة الأنعام: الآية 151.

ندعه، هي الأمور التي وصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾ يقول: وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم»⁽²⁾.

2- ابن كثير:

يفسرها بطريقة عادية ذاكرا من حين لآخر أحاديث وآثار وآيات قرآنية⁽³⁾.

3- القاسمي والشعراني:

وكذلك القاسمي في محاسن التأويل⁽⁴⁾ والشعراوي في تفسيره⁽⁵⁾.

ب- تعقيب:

الملاحظ أن النقد الذي ذكره عبد الكريم الخطيب عند تفسير هذا النص⁽⁶⁾، غير مطابق للواقع - على الأقل عند هؤلاء المفسرين - هذا من جهة، ومن جهة ثانية يمكن القول أن تعليقه ذاك هو من قبيل تفرد بدعوى التعارض بين معنى النص القرآني والتفسير اللغوي له⁽⁷⁾، كوصف للمنهج العام في التفسير عند غيره؛ وذلك الوصف غير مطابق للواقع بصفة عامة.

وثمة أمر يجعل القارئ في حيرة؛ وهو أن مثل هذا التعليق في "التفسير القرآني للقرآن" موجود في مواضع عدة منه، وعلى افتراض تطابقه ومن قصد التعليق عليهم، لماذا التعميم؟ ولماذا هذا الأسلوب عند التعميم؟ إن ذلك يفتح مجال الشك في الموروث من التفسير عند مرضى القلوب.

(1) - سورة الأنعام: الآية 153.

(2) - جامع البيان: 109-105/8/5.

(3) - تفسير القرآن العظيم: 112-107/3.

(4) - 548-546/4.

(5) - تفسير الشعراوي: 3991-3985/7.

(6) - انظر: هذا البحث: ص

(7) - ممن كتب في هذه المسألة من المعاصرين الطيار. انظر كتابه: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ومحمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، فإن مسألة التعارض بين معنى النص القرآني والتفسير اللغوي له، إنما هي من جهة الناظر والمفسر لا من جهة معنى النص والمعنى اللغوي له. وهذا ما يشير إليه مثلاً عضيمة: «وللنحويين قوانين كثيرة جاء نظيرها في القرآن... ولبعض النحويين جرأة عجبية: يجزم بأن القرآن خلا من بعض الأساليب من غير أن ينظر في القرآن ويستقرى أساليبه... كذلك رأينا بعض النحويين يخطئ في حصر ما جاء في القرآن حينما يتعرض لذلك... أقول: ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة، وما لم يقع في القرآن نلتزمه في كلام العرب ونظير هذا: الأحكام الشرعية، إذا جاء الحكم في القرآن عمل به، وإن لم يرد به نص في القرآن نلتزمه في السنة وفي غيرها». انظر: ص 6-13. من كتابه دراسات لأسلوب القرآن الكريم.

وعلى فرض تطابق تعليقاته -ولو عموما- مع الواقع؛ أليس التلميح المحتشم والإشارة الخاطفة كاف كمنهج سليم في النقد.

إن منهج عبد الكريم الخطيب في نقد التفسير فيه نظر؛ وفي الملخص الآتي مزيد من التوضيح والتأكيد لهذه الملاحظة.

ثالثا: بعض المسائل التي انتقدها عبد الكريم الخطيب في تفسيره:

أ-مسألة وجود حرف زائد:

كما يقول المفسرون⁽¹⁾ عند التفسير على حد تصريحه وحينما ترجع لبعض ما قيل في هذه المسألة نحو قول الزركشي في البحر المحيط:

*«مسألة [لا زائد في القرآن]

ولا يجوز أن يقال: فيه زائد إلا بتأويل، بل يقول: إن واضح اللغة لا يجوز عليه العبث، فليس فيها لفظ زائد لا لفائدة، وقول العلماء: "ما" زائدة و"الباء" زائدة ونحوها، فمرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها.

أي: لا تتوقف دلالته على معناه الأصلي على ذكر ذلك الزائد، لا أنه لا فائدة فيه أصلا، فإن ذلك لا يجوز من واضح اللغة فضلا عن كلام الحكيم، وجميع ما قيل فيه زائد، ففائدته التوكيد»⁽²⁾.

تُلاحظ بوضوح: عدم مطابقة التعميم في الانتقاد للواقع، إذن في منهجه نظر على الأقل من زاوية عدم الاستقراء، ثم المعنى الذي ينتقده والذي عُرف بمصطلح ما؛ له تأويل وتخريج لو علم لما كان ذلك التعليق، وكل ذلك فضلا عن حكايته لما يناقض ذلك في مواضع أخرى.

ب-مسألة هل في القرآن كلمات أعجمية؟

أشار إلى ذلك عند تفسير كلمة "القسطاس" من قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾

(1)-انظر هذا البحث: ص

(2)-انظر: ط1، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، دار الكتب الجمهورية، 1994م، 200/2-201، وقال في البرهان: «كثيرا ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف... والذي عليه المحققون تجنب هذا اللفظ في القرآن، إذ الزائد ما لا معنى له، وكلام الله مزره عن ذلك» ص433.

الْمُسْتَقِيمُ ﴿١﴾، ومما جاء في هذا الباب عن العلماء:

* قول الشاطبي: «وَأَمَّا كونه [جاء] ^(٢) فيه ألفاظ من ألفاظ العجم، أو لم يجيء فيه شيء من ذلك، فلا يحتاج إليه إذا كانت العرب قد تكلمت به، وجاء في خطابها، وفهمت معناه، فإن العرب إذا تكلمت به صار من كلامها... ومع ذلك فالخلاف الذي يذكره المتأخرون في خصوص المسألة لا ينبني عليه حكم شرعي، ولا يستفاد منه مسألة فقهية، وإنما يمكن فيها أن توضع مسألة كلامية ينبني عليها اعتقاد، وقد كفى الله مئونة البحث فيها بما استقر عليه كلام أهل العربية في الأسماء الأعجمية» ^(٣).

فالمسألة على هذا لا ينبني عليها أثر في معنى النص، ثم إن العلماء ^(٤) قد فصلوا في ذلك هذا من الناحية النظرية، وإذا رجعنا إلى تفسيرها عند هؤلاء المفسرين، نلاحظ عدم مطابقة قول عبد الكريم الخطيب «ويقول اللغويون والمفسرون، إن الكلمة فارسية معربة» ^(٥) لما يقولونه في

(١) -سورة الإسراء: الآية 35.

(٢) -كتبت في الموافقات "جانب" انظر: 305/2/1.

(٣) -الموافقات: 306-305/2/1.

(٤) -انظر مثلاً ما قاله الشافعي في الرسالة: «ومن جماع علم كتاب الله: العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب... وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له، إن شاء الله...»
=فقال منهم قائل: إن في القرآن عربياً وأعجمياً، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب... قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: 4]...»: ص 66-67.

وما قاله الزركشي في البرهان: «اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب، فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2]، وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا﴾ [فصلت: 44] الآية، وهذا يدل على أنه ليس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام ودلالة قاطعة لصدقه وليتحدى العرب العرباء به... فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة، هذا مذهب الشافعي، وهو قول جمهور العلماء»، ثم يذكر بعض ما قاله العلماء وبعض ما قاله من يرى خلاف ذلك. انظر: ص 201.

وانظر لمزيد من الفائدة ما جاء في بحث بعنوان "عروبة لغة القرآن، وهل يقدر فيها المعرب": «المقصود من هذا البحث: أن القرآن الكريم جاء بأصفي ألفاظ اللغة العربية... أما ما يدّعيه البعض من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن، فليس في القرآن لفظ أعجمي لا يعرفه العربي أو لم يسمعه،... ولو كان في القرآن أعجمي لبادر العرب بإنكاره على القرآن، فمن ينفي وجود الأعجمي في القرآن إنما يقصد الذي لا تعرفه العرب ولا تستعمله، ومن قال بوجوده فهو يقصد الذي عرفه العرب واستعملوه حتى لان وانقاد للسانهم...». انظر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: الموسوعة القرآنية المتخصصة، إشراف وتقديم: أ.د. محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 2007م، 1/131.

(٥) -التفسير القرآني للقرآن: 485/8.

تفسيرها، حيث يفسرونها دون إشارة إلى هذه المسألة⁽¹⁾، عدا ما أشار إليه ابن كثير بأن معناها العدل بالرومية⁽²⁾. فلماذا إثارة مثل هذه المسائل؟

رابعاً: خلاصة:

إن الناظر في "التفسير القرآني للقرآني" وهو يسجل بين الفينة والأخرى عدم تطابق النقد للواقع من عدة زوايا، بغض النظر عن المنهج المتبع في ذلك، وأسلوب الانتقاد الملفت للانتباه؛ لا يمكنه التسليم بما يذكر فيه في باقي التفسير، وإن كان عين الصواب؛ إلا إذا كان لذلك شاهد عند المفسرين المعترين ممن شهد لهم في هذا المجال، يقول الشاطبي: «فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولاً وفروعاً أمران:

-أحدهما: أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربياً، أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغ العرب، أو مبالغ الأئمة المتقدمين... والمراد أن يصير فهمه عربياً في الجملة... فإن لم يبلغ ذلك فحسبه في فهم معاني القرآن التقليد، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به... فإن القول في القرآن والسنة بغير علم تكلف -وقد نهينا عن التكلف- ... لأنهم إذا لم يكن لهم لسان عربي يرجعون إليه في كتاب الله وسنة نبيه رجع الأعجمي إلى فهمه وعقله المجرد عن التمسك بدليل فضل عن الجادة...

-والأمر الثاني: أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إماماً فيها، ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات، فالأولى في حقه الاحتياط، إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها، وقد نقل شيء من هذا من الصحابة -وهم العرب- فكيف بغيرهم...»⁽³⁾.

(1)-انظر: جامع البيان، 108/15/9، محاسن التأويل: 479/6، تفسير الشعراوي: 8530/14، وقد فسرهما الراغب بالميزان

ويذكر الآيات في ذلك. انظر: المفردات: ص511.

(2)-انظر: تفسير القرآن العظيم: 143/4.

(3)-الاعتصام، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث: القاهرة، 2003م، ص498-499 وما بعده.

المطلب الثالث: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع التراث.

إن مسألة التصريح بمخالفة المفسرين في مواضع كثيرة من "التفسير القرآني للقرآن" تجعل المبتدئ من طلاب العلم في غنى عن مثل هذه المصنفات كمرجع أو كمصدر يؤخذ منه العلم، هذا فضلا عن أمور ثلاثة لوحظت في هذا الكتاب:

* الأمر الأول: التصريح بتقديم التفسير القرآني للنص كما سُمي، على أيّ تفسير⁽¹⁾ آخر له إذا تعارض معه في أكثر من موضع من هذا الكتاب⁽²⁾.

* والأمر الثاني: عدم مطابقة نقد تفسير عدّة نصوص قرآنية للواقع، سواء ذكر مصدر ذلك التفسير أم لا، والواقع أن ملاحظة أمر كهذا في موضع واحد، يوجب النظر في مثل هذه المصنفات لا سيّما وأن الأمر يتعلق بتفسير كلام الله تعالى.

* والأمر الثالث: أسلوب النقد فيه نظر ونظر، ثم لماذا مثل هذا الأسلوب؟ يقول الشاطبي: «ترك الاعتراض على الكبراء محمود، كان المعترض فيه مما يفهم أو لا يفهم، والدليل على ذلك أمور:

- أحدها: ما جاء في القرآن الكريم...

- والثاني: ما جاء في الأخبار، كحديث...: «يا أيها الذين اتهموا الرأي، فإننا كنا يوم أبي جندل⁽³⁾ ولو نستطيع أن نرد أمر رسول الله ﷺ لرددناه»⁽⁴⁾...

- والثالث: ما عهد بالتجربة من أن الاعتراض على الكبراء قاض بامتناع الفائدة⁽⁵⁾...»⁽¹⁾.

(1)- سواء كان الاعتماد في ذلك البيان على حديث نبوي أو على غيره، وفي هذه القضية يقول الشاطبي مثلاً: «فإنما وقع الخروج عن السنة في أولئك لمكان إعمالهم الرأي وإطراحهم السنن، لا من جهة أخرى...» انظر الموافقات: 316/4-317.

(2)- والملاحظ أن المنهج العام في التفسير، على الأقل عند هؤلاء المفسرين الأربعة، فيه إجلال وتعظيم لمسألة التعامل مع هذه المصادر التي هي أهم مأخذ التفسير، كما يسميها الزركشي في البرهان.

(3)- يوم أبي جندل هو يوم الحديبية، واسم أبي جندل: العاص بن سهيل ابن عمرو. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: 323/6.

(4)- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذمّ الرأي وتكلف القياس: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تقل

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، حديث رقم 7308، رواه سهل بن حنيف: 430/3.

(5)- وفي مثل هذا الاعتراض المصرّح به في "التفسير القرآني للقرآن" تطريق للشك في جملة الموروث في التفسير عند مرضى القلوب. وكان الأولى اتباع منهج الدعوة إلى التأسّي بالسلف الصالح؛ لا سيّما في هذه الأزمنة التي كثرت فيها الفتن وقل فيها العلماء.

وإذا كان الأمر كذلك مع التصريح بمطلق المخالفة؛ فكيف هو مع التصريح بمخالفة الإجماع؟ والإجماع حجة⁽²⁾ وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة؛ ولا يقال أن الإجماع المقصود في هذا الكتاب ليس هو ذاك الإجماع؛ لأنّ الراجح أن التزام معنى المصطلح في هذه الحالة أمر لا بُد منه، ومع ذلك ستكون الدراسة النقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع التراث؛ غير معتبر فيها هذا الأمر؛ حيث سنأخذ بعين الاعتبار في هذه الدراسة الجانب التطبيقي، ونكتفي بإشارة خاطفة للجانب النظري لها في الختام:

أولاً: منهج التعامل مع التراث - الجانب التطبيقي -:

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾⁽³⁾:

أ- مقارنة تفسير النص بتفسير:

1- الطبري:

«هذا خبر من الله عز ذكره عن الرجلين الصالحين من قوم موسى: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا...»⁽⁴⁾. ثم يذكر الروايات في ذلك، على خلاف في كالب بن يوفنا؛ مرة كلاب بن يوفنا وأخرى كالوب بن يوفنة أو كالوب وثالثة كالب.

2- ابن كثير:

يقول عند تفسيرها: «أي: فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى عليه السلام - حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه...»

(1) -الموافقات: 521/4/2-523.

(2) -قال الشافعي في الرسالة: «من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول جماعة المسلمين، فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب ولا سنة» باب الإجماع، ص 187. وقال الآمدي: «اتفق أكثر المسلمين على أن الإجماع حجة شرعية يجب العمل به على كل مسلم، خلافاً للشيعة والخوارج والنظام من المعتزلة». انظر: سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد، الأحكام في أصول

الأحكام، دار الفكر: بيروت، 2003م، 1/139.

(3) -سورة المائدة: الآية 23.

(4) -جامع البيان: 228/6/4.

ويقال: إنهما «يوشع بن نون» و«كالب بن يوفنا» قاله... غير واحد من السلف والخلف -رحمهم الله-...»⁽¹⁾.

3-القاسمي:

يقول عند تفسير الآية: «هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا»⁽²⁾.

4-الشعراوي:

يقول عند تفسيرها: «هما كالب، ويوشع بن نون، أحدهما من بسط يهوذا والآخر من بسط افرايم، وهما ابنا يوسف عليه السلام...»⁽³⁾.

ب-تعقيب:

عندما نتأمل تفسير الآية عند هؤلاء المفسرين نلاحظ:

* إن دعوى عبد الكريم الخطيب في مخالفة الإجماع⁽⁴⁾ مطابقة لما ذكره هؤلاء المفسرين.

* وقد استدل عبد الكريم الخطيب بالقرآن في تعيين هذين الرجلين، بينما: استدل الطبري بالنقل أما ابن كثير فقد أشار إلى ما قاله الطبري كرأي ثان وبعبارة "يقال"، وأما القاسمي والشعراوي فلم يرد في تفسيريهما دليل على ذلك.

ج-استنتاج:

يمكن القول بعد النظر في دعوى عبد الكريم الخطيب:

* أن تفسيره للآية يحتاج إلى تحقيق في الأمر فإذا ثبت فهو الأصح لأنه تفسير قرآن بقرآن.

* أما ما ذكره هؤلاء المفسرين فيبحث عنه من جهتين:

-الأولى صحة ذلك التفسير.

-والثانية حكم ذلك التفسير، حيث يأخذ حكم المصدر الذي أخذ منه؛ أهو من طرف

(1)-تفسير القرآن العظيم: 512/2.

(2)-محاسن التأويل: 105/4. ولا يذكر أي دليل إلا المعنى.

(3)-تفسير الشعراوي: 3066/5. ولا يذكر مصدر هذا التفسير.

(4)-انظر هذا البحث: ص

الصحابة أم التابعين أم هو من الإسرائيليات.

النص الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنْتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾⁽¹⁾.

أ- مقارنة تفسير الآية بتفسير.

1- الطبري:

يقول عند تفسيرها: «فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب... فنفعها إيمانها...»⁽²⁾ ﴿قَوْمَ يُونُسَ﴾⁽³⁾ فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة... فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى...»⁽⁴⁾، ثم يسوق الروايات في ذلك.

2- ابن كثير:

يقول عند تفسيرها: «فهل كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل!... إلا قوم يونس...»⁽⁴⁾.

3- القاسمي:

يقول عند تفسيرها: «أي: فهل كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب...»⁽⁵⁾، إلا قوم يونس ويذكر ما يروى عنهم.

4- الشعراوي:

يقول عند تفسيرها: «يبين لنا الحق سبحانه أن هناك كثيرا من القرى لم تؤمن إلا وقت العذاب، فلم ينفع أيًا منهم هذا الإيمان، ولكن قوم يونس قبل أن تأتي بشائر العذاب والبأس أعلنوا الإيمان فقبل الحق سبحانه إيمانهم...»⁽⁶⁾.

(1)- سورة يونس: الآية 98.

(2)- سورة يونس: الآية 98.

(3)- جامع البيان: 210/11/7.

(4)- تفسير القرآن العظيم: 513/3.

(5)- محاسن التأويل: 65/6.

(6)- تفسير الشعراوي: 6209/10.

ب-تعقيب:

عندما نتأمل تفسير الآية عند هؤلاء المفسرين نلاحظ مايلي:

*مخالفة عبد الكريم الخطيب للجماعة في تعيين القرية⁽¹⁾.

*دليله في ذلك السياق الخاص والسياق العام، ودليل الجماعة:

-النقل على ما صرح به الطبري وأشارة إليه ابن كثير:

°أما الطبري فيذكر عن ابن عباس قوله: «لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله، إلا قرية يونس»⁽²⁾ ومثله عن مجاهد⁽³⁾ وعن قتادة: «لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت، إلا قوم يونس...»⁽⁴⁾، وفي رواية أخرى لمجاهد: «زاد أبو حنيفة»⁽⁵⁾ في حديثه قال: لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها، إلا قوم يونس متعناهم»⁽⁶⁾، ومثله عن الربيع بن أنس⁽⁷⁾.

°وأما ابن كثير فبعد تفسير الآية يقول: «قال قتادة في تفسير هذه الآية: لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس... وكذا روي عن ابن مسعود، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف، وكان ابن مسعود يقرأها: «فهلأ كانت قرية آمنت»»⁽⁸⁾.

-والسياق كما يفهم ذلك ضمناً من طريقة تفسير القاسمي والشعراوي للآية وكأن الأمر واضح.

*ثم إن مسألة الاختلاف في تفسير هذه الآية؛ لم يُشر إليها أحد من هؤلاء؛ مما يزيد ملاحظة

(1)-انظر هذا البحث: ص

(2)-جامع البيان: 211/11/7.

(3)-المصدر السابق.

(4)-المصدر السابق.

(5)-أبو حنيفة الإمام الأعظم، فقيه العراق النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي مولا هم الكوفي. قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، ت150هـ. انظر تذكرة الحفاظ: 168/1.

(6)-المصدر السابق: 212/11/7.

(7)-المصدر السابق.

(8)-تفسير القرآن العظيم: 514/3.

وضوح المعنى تأكيداً.

فهل دعوى عبد الكريم الخطيب في إثارة مسألة الاختلاف أولاً، ثم في مخالفة على الأقل هؤلاء ثانياً، فيها أو قل فيها مجانبة للصواب؟

ج- الاستنتاج:

الذي يمكن تسجيله في حدود ما يسمح به الحال في هذا البحث: إن هذه الدعوى تحتاج إلى البحث؛ وليس لأن في المنهج العام المتبع في "التفسير القرآني للقرآن" نظر كما سبق الإشارة إلى ذلك، نقول هنا أيضاً فيه نظر، بل الأمر في هذه الحالة يفرض على الباحث الاحتكام إلى التحقيق.

ثانياً: تلخيص:

أ- مقارنة بعض المواضع المتبقية بما قاله هؤلاء المفسرين:

الموضع الأول⁽¹⁾:

ما قاله عبد الكريم الخطيب عن القول بالنسخ بإجماع غير مطابق للواقع، وأما معنى الآية فقد خالفهم في ذلك⁽²⁾.

الموضع الثامن⁽³⁾:

دعوى مخالفة الإجماع مطابقة للواقع⁽⁴⁾، لكن مخالفتها هذه فيها نظر، خاصة وأن الدليل عنده وعند الإجماع هو السياق، فهل يخفى المعنى على الجماعة ويتضح للفرد؟

الموضع التاسع⁽⁵⁾:

دعوى مخالفة الإجماع مطابقة للواقع⁽⁶⁾، وهذه المخالفة هي في الحقيقة ترجيح منه للمعنى الذي يدلّ عليه السياق كما يقول، وليس مخالفة.

(1)- انظر هذا البحث: ص

(2)- انظر جامع البيان: 131/3/3. وتفسير القرآن العظيم: 643/1. ومحاسن التأويل: 263/2. وتفسير الشعراوي: 1199/2.

(3)- انظر هذا البحث: ص

(4)- انظر: جامع البيان: 331/7/5. وتفسير القرآن العظيم: 57/3. ومحاسن التأويل: 429/4. وتفسير الشعراوي: 3779/6.

(5)- انظر هذا البحث: ص

(6)- انظر جامع البيان: 209/9/6. وتفسير القرآن العظيم: 263/3. ومحاسن التأويل: 253/5. وتفسير الشعراوي: 8554/5.

الموضع العاشر⁽¹⁾:

دعوى مخالفة الإجماع غير مطابقة للواقع⁽²⁾، وما يقوله في تفسير النص موافق لما ذكره الشعراوي في تفسيره، لكن الشعراوي لا يثير مسألة الخلاف هذه.

ب-تعقيب:

في هذا التعقيب نشير إلى أمور أهمها:

1- المواضع التي صرح فيها عبد الكريم الخطيب بمخالفة الإجماع متنوعة؛ منها ما يتعلق بالأحكام⁽³⁾، ومنها ما يتعلق بالقصاص⁽⁴⁾،

ومنها ما يتعلق بتعيين المبهم من القرآن وغير ذلك⁽⁵⁾.

2- يمكن تقسيم ما صرح فيه بمخالفة الإجماع إلى قسمين: قسم يبدو أنه من قبيل اختلاف التنوع⁽⁶⁾، والقسم الثاني: يبدو من قبيل اختلاف التضاد⁽⁷⁾.

3- الراجح إن إطلاقه لمصطلح "الإجماع" لا يقصد به الإجماع الذي هو المصدر الثالث من مصادر التشريع بدليل:

* قوله مثلاً: «الإجماع» في الشريعة الإسلامية أصلاً من أصول الشريعة، ومادة من مواد التشريع لهذه الأمة التي اصطفاه الله سبحانه، لتكون محمل الرسالة الخاتمة لرسالات السماء، إذ كانت كما أرادها الله، ﴿حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁽⁸⁾.. وهذا ما يشير إليه قول الرسول

(1)- انظر هذا البحث: ص

(2)- انظر جامع البيان: 54/10/6. وتفسير القرآن العظيم: 333/3. ومحاسن التأويل: 331/5-334. وتفسير الشعراوي: 3799/8.

(3)- مثل الموضع 1 و2 و3، انظر هذا البحث: ص

(4)- مثل الموضع 17 و19، انظر هذا البحث: ص

(5)- مثل الموضع 5 و12 و17، انظر هذا البحث: ص

(6)- مثل ما قاله في الموضع 4 والموضع 11، انظر هذا البحث: ص

(7)- نحو ما قاله في الموضع 5 والموضع 15. انظر هذا البحث:

(8)- سورة آل عمران: الآية 110.

الكريم: «لا تجتمع أمي على ضلالة»⁽¹⁾.

وليس الإجماع في صميمه إلا مراضيه أهل الحل والعقد من عقلاء الأمة، وأهل الرأي والنظر فيها، وذلك فيما جدّ من أمور لم يكن للشرعية رأي فيه.

وهذا من الإسلام، اعتراف بالجماعة الإنسانية، وبحقها في المشاركة في وضع دستور حياتها، الذي رسمت لها الشريعة حدوده... حيث يقوم الإجماع في الشريعة الإسلامية على الشوري»⁽²⁾.

* وقوله من حين لآخر: فيما بين يديّ من كتب التفسير، أو من أمهات كتب التفسير، وغيرها من العبارات التي تفيد تقييدا للمعنى الذي يفهم من إطلاق مصطلح الإجماع⁽³⁾.

* فضلا عن حكايته مخالفة الأغلبية كقوله "يكاد الإجماع" في نفس الموضع الذي يحكى فيه مخالفة الإجماع أكثر من مرة⁽⁴⁾، وهذه الملاحظة تؤكد احتمال عدم وجود نية مسبقة عند المخالفة، ويشهد لذلك أيضا نوعية النصوص المصرّح⁽⁵⁾ فيها بالمخالفة.

ثالثا: استنتاج:

أ- ثمة مصطلحات لا بد من التقييد بالمعنى المقصود منها عند استعمالها؛ كمصطلح "الإجماع"، ولا

(1) - الترميدي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، ط2، دار الفكر، أبواب الفتن، 7-باب لزوم الجماعة، حديث رقم 2254، رواه عمر بلفظ مشابه لهذا.

(2) - التفسير القرآني للقرآن: 547/5-548.

(3) - مثالا عند تفسير الآية 11 من سورة المائدة قال: «ومن عجب ألا أحد أحدا من المفسرين يقول بهذا الرأي.. فيما بين يديّ من كتب التفسير!». وعند تفسير الآية 34 وما بعدها من سورة ص، قال: «فإننا لم نر أحدا من المفسرين - فيما بين أيدينا من أمهات كتب التفسير - قد تأول الآيات هذا التأويل، وأقامها على هذا الوجه...». انظر التفسير القرآني للقرآن: 1050/3 و1091/12.

(4) - انظر مثالا: الهامش رقم من ص من هذا البحث.

(5) - لآثمة ثمة مواضع لم يصّرّح فيها بالمخالفة، وهي تبدو من قبيل مخالفة الإجماع نحو تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالْمُؤْمِنَاتُ ذِكْرًا﴾ الآية 5 من سورة المرسلات، وممن بحث هذه المسألة صاحب كتاب الإجماع في التفسير فقد قال بعد دراسة هذا المثال «الذي يظهر لي... أن الإجماع صحيح، لعدم ورود خلاف عن أئمة التفسير من السلف فيه، ولدلالة آيات القرآن عليه، ولتتابع جمع من أئمة التفسير على نقل الإجماع». ويقصد بقوله «إنّ الإجماع صحيح» أي أن معنى الملقبات الملائكة بإجماع. انظر: محمد بن عبد العزيز بن أحمد الحضير، ط1، دار الوطن، الرياض، 1999م، ص444-445.

ينبغي التساهل في ذلك، خاصة حينما يتعلق الأمر بتفسير كلام الله تعالى⁽¹⁾.

ب- عدم مطابقة أكثر من دعوى للواقع؛ يعني افتقاد الدقة في مجال تجب فيه، فهي دعوى فيها نظر، بل هذا أمر لا ينبغي أن يكون.

ج- مسألة التفرد لا تدل دائما على أن الصواب عند الجماعة، ومثال ذلك ما لوحظ عند المقارنة في المثال الأول والمثال الثاني في هذا المطلب.

د- مما لوحظ؛ أن ذكر نفس البيان في تفسير النص القرآني يعني: إن ذلك هو المعنى، أو إن المتأخر نقل عن المتقدم دون قصد منه للتحقيق في المعنى، أو...، فحينما يخالف من نيته البحث عن المعنى؛ فاحتمال الإصابة غير مستبعد، خاصة إذا كان المنهج المتبع سليما.

هـ- موافقة ما يقوله عبد الكريم الخطيب لمفسر أو أكثر، في عدة مواضع من المواضع التي صرح فيها بالمخالفة، تزيد من احتمال إصابة المعنى عند التفسير، لكن الملاحظ عند المقارنة أن عبد الكريم الخطيب يصرح بالمخالفة غالب الأحيان، بينما الوصف العام عند غيره عدم التصريح، أو التوقف عند حكاية الأقوال وقلة الترجيح.

ومع ذلك فإن التصريح بمخالفة لإجماع ينبغي الحذر منه كما أثر عن السلف.

رابعا: منهج التعامل مع التراث -إشارة للجانب النظري-:

أ- ربما تكون الإشارة لمسألة مخالفة الأولين -بإجمال- كافية لتقريب المقصود من الدراسة النقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع التراث، ومما جاء في هذا الصدد قول الشاطبي: اعلم أن المخالفة⁽²⁾ لعمل الأولين ليست على رتبة واحدة، بل فيها ما هو خفيف، ومنها ما هو شديد، والمخالف على ضربين:

-أحدهما: أن يكون من أهل الاجتهاد، فلا يخلو أن يبلغ في اجتهاده غاية الوسع، أولا، فإن كان كذلك فلا حرج عليه وهو مأجور على كل حال، وإن لم يعط الاجتهاد حقه وقصر فيه فهو آثم.

-والثاني: أن لا يكون من أهل الاجتهاد، وإنما أدخل نفسه فيه غلطا أو مغالطة، إذ لم يشهد

⁽¹⁾ وهذا ما سبق الإشارة إليه في المدخل: انظر هذا البحث: ص

⁽²⁾ يقول الشاطبي: «إنما المخالفة أن يعاند ما نقل عنهم بضده، وهو البدعة المنكرة». انظر: الموافقات: 52/3/2.

له بالاستحقاق أهل الرتبة، ولا رأوه أهلاً للدخول معهم، فهذا مذموم.

-وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين، إلا من هذا القسم؛ لأنّ المجتهدين لا يختلفون إلا فيما اختلف فيه الأولون، أو... فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به فهو أخرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل⁽¹⁾.

ب-ثم إنّ التصريح بهذه المخالفة فضلاً عن التصريح بمخالفة الإجماع⁽²⁾ لوحظ في جلّها عدم مطابقة ذلك للواقع، بل الغريب عدم مطابقة نقلاً عن عالم من العلماء لما قاله، أو عدم مناسبة نقل ما عن أحدهم للموضع أو المسألة التي استشهد عبد الكريم الخطيب به فيها.

فإذا كان المجتهد معذوراً في عدم إصابة الحق، فإنّ التماس العذر له في منهج؛ فيه نظر، يتبعه عند مزاولة البيان عن الله تعالى ولو في مواضع معدودة، غير مسلم به.

(1)-الموافقات: 54-53/3/2 بتصرف.

(2)-مما جاء في بحث "الإجماع في التفسير" قول المؤلف: «اجتمع لدى من الإجماعات في التفسير (177) إجماعاً، تمّ استخلاصها من كتب التفسير الستة التي شملتها خطة البحث وهي: تفسير الطبري... هذا وقد اتضح لي بعد الدراسة عدم صحة الإجماع في (46) = موضعاً، لوجود الخلاف... وأما عدد الإجماع التي نقلتها من كل واحد من هؤلاء المفسرين... فهي على هذا النحو: 1- تفسير الإمام الطبري، نقلت منه (24) إجماعاً، وتبين لي عدم صحة دعوى الإجماع في (6) منها...». انظر: ص 474-475.

الفصل الثاني:
دراسة نقدية لمنهج عبد
الكريم الخطيب في تفسير
القرآن بالقرآن

تمهيد:

تفسير القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير كما قرر العلماء، وتصريح عبد الكريم الخطيب باتباعه لهذه الطريقة أو لهذا المنهج⁽¹⁾ وهو يفسر القرآن الكريم، مقتصرًا عليه دون غيره -ولذلك سمّي تفسيره "التفسير القرآني للقرآن"- يكفي في الحكم على تفسيره بأنه من أحسن التفاسير نظريًا.

لكن الدراسة التحليلية لمنهجه في التفسير هي التي أسفرت عن الحكم على تفسيره إلى حدّ ما، وذلك من خلال نقد انتقاده للتفسير الموروث دون قيد في الفصل السابق. وفي هذا الفصل مزيد من البيان لهذا النقد، حيث سنقف على مدى صحة تطبيق منهج تفسير القرآن بالقرآن وهو يفسر النصوص القرآنية، بعد تسليط الضوء على الجانب النظري لهذا المنهج عند العلماء في المبحث الأول من مبحثي هذا الفصل:

(1)- المنهج أو المناهج في اللغة هو الطريق الواضح، انظر: لسان العرب: 8/714.

وفي الاصطلاح:

المبحث الأول:
دراسة نقدية للجانب النظري
لهذا المنهج
عند عبد الكريم الخطيب

تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب يقوم على أساس إعمال العقل، وهو يفسر النص القرآني؛ إما بنص قرآني آخر، أو بما يدل عليه القرآن، وإعمال العقل هو التدبر، وسنعرف حقيقة التدبر عند العلماء بعد تحديد مفهوم "تفسير القرآن بالقرآن" عندهم كمنهج في التفسير، لذلك تأتي هذه الدراسة النقدية في عدة مطالب:

المطلب الأول: تحديد مفهوم "تفسير القرآن بالقرآن" كمنهج في التفسير:

أولاً: مصطلح "تفسير القرآن بالقرآن" يطلق على أحسن طرق التفسير:

"تفسير القرآن بالقرآن" مصطلح يطلق على أحسن أو أصح طرق التفسير، وهذا هو المشهور⁽¹⁾، والظاهر أن ابن تيمية هو أول من يعزى إليه استعمال هذا المصطلح في هذا المعنى، وذلك حينما أجاب السائل عن أحسن طرق التفسير قائلاً: «إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن»⁽²⁾. والملاحظ أن إجابة ابن تيمية هذه؛ جاءت عقب حديثه عن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، قال ابن تيمية: «الحمد لله نستعينه ونستغفره... أما بعد فقد سألتني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل...»⁽³⁾ إلى أن قال: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير فالجواب: إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن...»⁽⁴⁾.

فتفسير القرآن بالقرآن إذن سيُنطلق فيه من مرجعية فكرية معلومة؛ وهي ما تسمى بقواعد التفسير وأصوله، وذلك هو المجال الذي يتقيد به المفسر وهو يعمل عقله ليفسر النص

(1) قال ابن كثير: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب): إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن...» تفسير القرآن العظيم، 15/4. وقال الزركشي: «قيل: أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن...». البرهان: ص 432. وقال السيوطي: «أحسن طرق التفسير: قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن...». الإتيان: ص 853. وقال الشنقيطي: «إنَّ أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله». أضواء البيان: 35/1. وتحت فصل بعنوان "المنهج الأمثل في التفسير معالم وضوابط" قال القرضاوي: «وثاني هذه المعالم هو: تفسير القرآن بالقرآن...». انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، ص 220 وغيرها.

(2) -مجموع الفتاوى: 363/13.

(3) -المصدر السابق: 363-329/13.

(4) -المصدر السابق: 363 /13.

القرآني بالقرآن كأحسن وأصحّ تفسير له ما استطاع إلى ذلك سبيلا، و يدخل في هذا المجال: تحري الثابت من النقل في هذا النوع، نحو ما صحّ عن النبي ﷺ في تفسير القرآن بالقرآن، كتفسيره للظلم من سورة الأنعام بالشرك من سورة لقمان، وهكذا تحري ما صح عن الصحابة ثم عن التابعين ثم عن السلف الصالح، فإذا لم يصح شيء من النقل في ذلك، كان إعمال العقل مقيدا بأصول التفسير وقواعده.

ثانيا: أول من دعى إلى تطبيق هذا المنهج الرسول ﷺ:

«عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]»⁽¹⁾. و أقل ما يستنتج من هذا الحديث أن إعمال العقل في تفسير القرآن بالقرآن له ضابطان: -الضابط الأول: عرض ما يتوصل إليه عقلا على ما ثبت نقلا احترازاً من الزلل عند التدبر، وهذا ما يفهم من رفع الإشكال إلى النبي ﷺ.

-والضابط الثاني: تقديم تفسير القرآن بالقرآن الذي طريقه النقل الصحيح -وهو مراتب- على إعمال العقل وإن لم يخالفه في التفسير، وهذا ما فعله سيد الأنام، حيث فسّره بالنص القرآني لا بنصه هو ﷺ.

وثمة عدّة أمور تؤخذ من هذا الحديث؛ نحو القول بأن هذا التفسير حجة لأن مصدره الوحي، بينما لو فسّر بدليل سياق السورة⁽²⁾ مثلاً، فينظر في ذلك من حيث صحّة المنهج فلا يُحكم عليه بأنّه حجة إلاّ بشروط.

ثالثاً: تعريف تفسير القرآن بالقرآن:

(1) -متفق عليه. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب: الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث 124، 338/1. واللفظ له. وانظر: صحيح البخاري فقد ذكره في كتاب الإيمان برقم 23، 18/1. وكتاب أحاديث الأنبياء برقم 3360 و3428 و3429، 141/2، 160-161. وكتاب تفسير القرآن برقم 4629، 4776، 424/2، 476. وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم برقم 6918، 337/3.

(2) -كما جاء في التفسير القرآني للقرآن عند تفسير هذه الآية. انظر هذا البحث، ص

أ- تعريف التفسير:

^١ لغة: التفسير هو البيان، أو هو الإبانة وكشف المغطى، أو هو كشف المراد عن المشكل، تقول فسرت الشيء أفسره فسرا: أي بينته^(١).

^٢ اصطلاحاً: التفسير هو البيان والتفصيل^(٢)، أو هو إظهار المعنى المعقول^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(٤)، وعُرف أيضاً بقولهم: هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية^(٥).

ب- تعريف تفسير القرآن بالقرآن:

كلمة "بالقرآن" في هذا المصطلح قيد لمعنى التفسير الذي هو البيان، فتفسير القرآن بالقرآن إذن هو بيان القرآن بالقرآن، وبما أن عملية التفسير ستكون للسورة مجزأة؛ فيمكن القول أن تفسير القرآن بالقرآن هو بيان النص القرآني بنص قرآني آخر، وبذلك يخرج من التعريف بيان النص بما يفهم منه أو بما يفهم من سياقه!

لكن السؤال عن هذا الذي يفهم من النص؛ فلا شك أنه ينسب إلى القرآن، فهو معنى قرآنياً، يقول الشاطبي عن تفسير النبي ﷺ للنص القرآني: «فذلك هو المعنى المراد من الآية، لا أن نقول: إن السنة أثبتت هذه الأحكام دون الكتاب، كما إذا بين لنا مالك^(٦) أو غيره من المفسرين معنى آية... فعملنا بمقتضاه، فلا يصح لنا أن نقول: إنا عملنا بقول المفسر الفلاني دون أن نقول عملنا بقول الله^(٧)»، ولذلك يمكن تسميته بالتفسير القرآني للقرآن شرط أن يكون ذلك التفسير صحيحاً؛ أي هو المقصود من النص.

ج- أقوال بعض العلماء عن "تفسير القرآن بالقرآن":

(١)- انظر: الصحاح: ص 888 ولسان العرب: 101/7 والقاموس: ص 411.

(٢)- جامع البيان: 17/19/11.

(٣)- المفردات: ص 395.

(٤)- سورة الفرقان: الآية 33.

(٥)- مناهل العرفان: 6/2 بتصرف.

(٦)- مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الإمام الحافظ فقيه الأمة شيخ الإسلام أبو عبد الله الأصمعي المدني الفقيه إمام دار الهجرة. قال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم (ت 179هـ). انظر: تذكرة الحفاظ: 207/1.

(٧)- الموافقات: 310-309/4/2.

1- يقول ابن تيمية:

«أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر»⁽¹⁾، ويمثل هذا أو بشيء من الاختلاف قال ابن كثير⁽²⁾ والزرکشي⁽³⁾ والسيوطي⁽⁴⁾ وغيرهم⁽⁵⁾.

2- يقول ابن الوزير⁽⁶⁾:

«وأما مراتب التفسير فيما يرجع منه إلى الدراية، فهي ترجع إلى سبعة أنواع ... النوع الثاني: تفسير القرآن بالقرآن، وذلك حيث يتكرر في كتاب الله تعالى ذكر الشيء ويكون بعض الآيات أكثر بيانا وتفصيلا»⁽⁷⁾.

3- يقول الذهبي:

«لا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا، وبما جاء مبينا على فهم ما جاء مجملا، وليحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله»⁽⁸⁾.

4- ولعل ما قاله الشاطبي في الموافقات أكثر تفصيلا ودقة كتعريف لتفسير القرآن بالقرآن، يقول الشاطبي:

«لا يقتصر ذو الاجتهاد على التمسك بالعام مثلا حتى يبحث عن مخصصه، وعلى المطلق حتى ينظر: هل له مقيد أم لا؛ إذ كان حقيقة البيان مع الجمع بينهما، فالعام مع خاصه هو

(1)- مجموع الفتاوى: 363/13.

(2)- انظر: تفسير القرآن العظيم: 15/1.

(3)- انظر: البرهان: ص 432.

(4)- انظر: الإتيان: ص 853.

(5)- انظر مثلا: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: 35/1 وأصول التفسير وقواعده: ص 79 وص 81.

(6)- محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين من آل الوزير، من علماء الزيدية باليمن،

ت 840هـ. انظر: معجم المفسرين: 468/2.

(7)- إيثار الحق على الخلق: ص 149-150.

(8)- التفسير والمفسرون: 37/1.

الدليل، فإن فقد الخاص صار العام مع إرادة الخصوص فيه من قبيل المتشابه، وصار ارتفاعه زيغا وانحرافا عن الصواب... فالبيان مقترن بالمبين، فإذا أخذ المبين من غير بيان صار متشابها وليس بمتشابه في نفسه شرعا⁽¹⁾.

ومن خلال هذه النقول يمكن القول: أن تفسير القرآن بالقرآن⁽²⁾ هي عملية اجتهادية تقوم على إعمال العقل والفكر في بيان النص القرآني بنص قرآني آخر، أو بما يدل عليه القرآن، والشرط في ذلك عدم ثبوت نقل يفسر ذلك النص بهذه الطريقة، فإذا ثبت فهو تفسير بالمنقول أو بالمأثور لأن المصدر حينئذ النقل وليس العقل.

وإعمال العقل هو ما يُسمّى بالتدبر، والتدبر عند العلماء هو:

المطلب الثاني: مفهوم التدبر

أولا: تعريف التدبر

أ- لغة:

دبر الأمر وتدبره: نظر في عاقبته، والتدبر في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر الفكر فيه⁽³⁾.

ب- اصطلاحا:

تدور أقوال العلماء عن التدبر حول النظر والتأمل والتفكير؛ لمعرفة تأويل ما لم يحجب عن الناس تأويله من آي القرآن كما قال الطبري⁽⁴⁾، وقبل أن نذكر أمثلة لذلك ننقل ما جاء في

(1)- انظر: 64-63/2/2.

(2)- المقصود النص القرآني الذي لم يثبت ولم يصح في تفسيره نقل عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين أو عن الأئمة المعترين.

(3)- انظر: الصحاح: ص359. والمفردات: ص223. واللسان: 289/3. والقاموس: ص352.

(4)- جامع البيان: 45/1/1. لكن ثمة أمر لا بد من الإشارة إليه وهو أن التدبر نوعان أو قسمان: تدبر في مقدور كل مخاطب بهذا القرآن: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِنَدَّبَرُوا إِلَيْهِ﴾ [سورة ص: الآية 29]، وهذا النوع خاص بالتدبر ليحصل له الاهتمام بحسب الأسباب المتوفرة له، والتدبر الآخر وهو النظر الذي يطلب من العلماء في هذا القرآن ليلغوا معانيه بحسب ما توقّر لكل ناظر، ونقصد بذلك النظر الشرعي على حد قول ابن تيمية. وهذا هو التدبر المقصود الإشارة إليه في البحث. وقد تحدث الشنقيطي عن هذه المسألة بشيء من التفصيل في أضواء البيان: 206-256/7. وأشار إلى ذلك الزرقاني في مناهل العرفان: 44/2.

التعريفات: التدبر «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»⁽¹⁾. ومما قاله العلماء عن التدبر:

- 1- قول الطبري: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾⁽²⁾، الأمر بتدبر القرآن موجه لمن يعلم بما يدل عليه آيه، وهذا هو تفسير المفسرين، عن الضحاك: التدبر هو النظر في القرآن⁽³⁾.
- 2- وقول الغزالي: «عن ابن مسعود رضي الله عنه «من أراد علم الأولين والآخرين فلي تدبر القرآن» وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر، لأن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه»⁽⁴⁾.

- 3- وقول ابن تيمية: «إن الله تعالى قال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾⁽⁶⁾ وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾⁽⁷⁾ وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن. وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽⁸⁾ وعقل الكلام متضمن لفهمه»⁽⁹⁾.

- 4- وقول الزركشي: أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكير⁽¹⁰⁾.
- 5- وقول دراز: «التدبر في فقه النصوص حتى تتفق في المقصود منها، وذلك بتفسير بعضها ببعض بتخصيص، أو تقييد، أو تعميم وهكذا من وجوه الفهم»⁽¹¹⁾.

⁽¹⁾ ص 63.

⁽²⁾ سورة ص: الآية 29.

⁽³⁾ جامع البيان: 46/1/1 بتصرف.

⁽⁴⁾ الإحياء: 435/1.

⁽⁵⁾ سورة ص: الآية 29.

⁽⁶⁾ سورة النساء: الآية 82.

⁽⁷⁾ سورة المؤمنون: الآية 68.

⁽⁸⁾ سورة يوسف: الآية 2.

⁽⁹⁾ مجموع الفتاوى: 331-332.

⁽¹⁰⁾ البرهان: ص 435 بتصرف.

⁽¹¹⁾ الموافقات: 266/3/2. الهامش رقم 8

ثانيا: شروط التدبر:

والتأمل في أقوال العلماء عن التدبر يمكنه القول أن عملية النظر والتفكير والتأمل؛ أي عملية تدبر⁽¹⁾ القرآن هذه مشروطة بأمرين أو قل بشرطين أساسيين:

الشرط الأول: أن يكون المتدبر من أهل العلم والإيمان:

* يقول الطبري: «فالأمر بالتدبر موجه لمن يعلم بما يدل عليه آية»⁽²⁾.

* ويقول الزركشي: «وأعلم أنه لا يحصل للنظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق أو متعمدا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعا إلى [معقوله]⁽³⁾؛ وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها أكد من بعض»⁽⁴⁾.

(1) والناظر في القرآن الكريم يلاحظ أن مادة التدبر وردت في أربعة مواضع بحسب ترتيب نزولها: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنْ﴾ [سورة ص: 29]، وهي مكية نزلت قبل سورة المؤمنون وهي مكية أيضا، وقد ورد فيها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 68]، بعدها نزل قوله

تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوهُ أَخْلَقًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: 82]، وهي مدنية ثم نزل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ﴾ = ﴿أَفْقَالُهَا﴾ [سورة محمد: 24] وهي مدنية. وخلاصة المعنى أن التدبر مطلوب من كل إنسان، كل حسب قدرته، وذلك يحصل بإعمال نعمة العقل المودعة فيه من قبل الخالق عز وجل والانفكاك من التقليد، فإذا لم يحصل المطلوب من التدبر وهو الاهتداء فالخلل حتما في القلب ﴿أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾. انظر في هذه

المسألة: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ص 320. جامع البيان: 1/44-46 و 4/235-236. والإيتان: ص 38. الإحياء: 1/424-425، 442-443. وتفسير القرآن العظيم: 2/331، 4/483-484 و 5/379، 604. ومحاسن التأويل: 3/240-241. وتفسير الشعراوي: 16/10086 وما بعده. ومن كتب في هذه المسألة: عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، ط2، دار القلم: دمشق، 1989م، ومساعد بن سليمان الطيار: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ملتقى أهل الحديث www.ahlalhdeth.com. وفي مواضع متفرقة من الموافقات كلام دقيق بل تعييد جيد لمسألة التدبر وتفسير القرآن الكريم.

(2) -جامع البيان: 1/46.

(3) -كتبت في البرهان "معقولة": ص 435.

(4) -البرهان: ص 435.

*ويقول الشاطبي: «لا يسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد، حتى يكون ريان من علم الشريعة، أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير مُخلد إلى التقليد والتعصب للمذهب»⁽¹⁾ وفي موضع آخر يقول: «وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات... وهي ثلاث:

- إحداها: العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه...

- والثانية: أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم... وهكذا كان شأن السلف الصالح...

- والثالثة: الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بأدبه، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ، واقتداء التابعين بالصحابة، وهكذا في كل قرن... فلما ترك هذا الوصف رفعت البدع رءوسها، لأن ترك الاقتداء... أصله اتباع الهوى»⁽²⁾.

والشرط الثاني: أن يلتزم المنهج المعتمد عند العلماء وهو يتدبر القرآن:

فلا يخرج تدبره وإعمال عقله لفهم المقصود من أي الكتاب من حدود ما ثبت نقلاً عند العلماء؛ وما ثبت نقلاً عندهم يمكن تلخيصه في ثلاثة أمور:

- الأول: ما صح عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين والسلف الصالح.

- والثاني: ما قرره العلماء من أصول وقواعد لفهم وتدبر القرآن.

(1)-الموافقات: 58/1/1.

(2)-الموافقات: 62/1/1-64. وقال في موضع آخر: «إذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف البتة... قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24] فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد... قال بعضهم: الكلام في القرآن على ضربين:

-أحدهما: يكون برواية ليس يعتبر فيها إلا النقل.

-والآخر: يقع بفهم فليس يكون إلا بلسان من الحق إظهار حكمة على لسان العبد؛ وهذا الكلام يشير إلى معنى كلام على فقد روي عنه أنه سئل: هل عندكم كتاب؟ فقال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، وهذا الكلام هو المراد بقولهم أن للقرآن ظاهراً وهو المفهوم العربي وباطناً وهو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه. انظر: الموافقات: 266/3/2 بتصرف، وفي هذا المقام أكد أن النظر فيما جاء في هذا الكتاب لا ينبغي إغفاله فهو عظيم النفع في علم التفسير.

-والثالث: أن يكون ما يتوصل إليه بعد التدبر غير مخالف مخالفة تضاد لما يتوصل إليه غيره من العلماء المعترين.

والدليل على ما سبق ذكره ما قرره العلماء بهذا الشأن نحو:

* ما قاله الغزالي: «فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط»⁽¹⁾ واعلم «أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً⁽²⁾. ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب... فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعلیم اللغة التي لا بد منها للفهم»⁽³⁾.

* وما قاله ابن تيمية: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين الا تبعا لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه؛ بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعا لقوله، وعلمه تبعا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله... وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول؛ بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه، وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضا أو حرفوها تأويلا»⁽⁴⁾. * ويؤكد الشاطبي هذا المنهج بقوله: «كثيرا من الناس يأخذون

(1)-الإحياء: 438/1.

(2)-قال ذلك بعد ذكر أمثلة الغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع، ومما لا بد فيه من السماع: الإيجاز بالحذف والإضمار،

والمبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف، و«التدريج في البيان كقوله عز

وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار، وبأن بقوله عز

وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وربما يظن في الظاهر

الاختلاف بين هذه الآيات، فهذا وأمثاله مما لا يعني فيه إلا النقل والسماع، فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا

الجنس لأنه أنزل بلغة العرب، فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم

وتأخير». انظر: المصدر السابق: 438/1-442 بتصرف.

(3)-المصدر السابق: 438/1.

(4)-مجموع الفتاوى: 63-62/13.

أدلة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها، لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع، وفي ذلك فساد كبير وخروج عن مقصود الشارع⁽¹⁾». وقوله: «إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل»⁽²⁾ ذلك أن النظر في الكتاب «لا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين، آخذ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة»⁽³⁾.

وما ذكرناه من أقوال كمثال عما قرره العلماء من شروط يجب التحقق بها عند تدبر النص القرآني، ليس إلا قطرة من بحر؛ لكن فيه الإشارة الكافية للمنهج الذي يجب اتباعه لفهم معاني الوحي، أو قل منهج التدبر والنظر؛ وهذا هو النظر الشرعي كما يسميه ابن تيمية⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: حقيقة التدبر ودرجاته:

أولاً: حقيقة التدبر تُسقط دعوى تعارض العقل مع النقل:

أ- ثمة مسألة بل هي دعوى تسمى بتعارض العقل والنقل؛ لأن التدبر هو الطريق الموصل إلى البيان، وافترض دعوى التعارض هذه لا تقبل جدلاً إلا من جهتين:

* إحداهما: عدم ثبوت أو عدم صحة النقل؛ الذي هو بمثابة البيان للنص. وفي هذه الحالة لا يوجد نقل؛ فأين التعارض إذن؟.

* والثانية: عدم اهتداء المتدبر إلى البيان الحقيقي أو الصحيح للنص، وفي هذه الحالة التعارض المفترض هو بين نظر الناظر والبيان المنقول للنص فلا تعارض أيضاً.

ثم إن التدبر يستند إلى مرجعية مسلم بها، والمتدبر ينطلق من هذه المرجعية؛ وفي مقدمتها السنة النبوية، لأنها أول مصدر للبيان ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾⁽⁵⁾،

(1) - وقد بين هذه المسألة في كتاب المقاصد كما قال. انظر: الموافقات: 1/305-306.

(2) - الموافقات: 1/31.

(3) - المصدر السابق: 1/58.

(4) - المصدر السابق: 2/240. ويكمل ذكر باقي الشروط الموصلة إلى فهم وتدبر القرآن.

(5) - مجموع الفتاوى: 13/101.

(6) - سورة النحل: الآية 44.

وبيان الرسول ﷺ حجة، يليه بيان الصحابة ثم بيان التابعين ثم بيان السلف الصالح - مع التفصيل في ذلك - فالعقل إذن يكون محكوماً بالنقل أو تابعا له لا متقدما عليه.

فذكر هذه المسألة؛ مسألة تعارض العقل مع النقل، حدثت نتيجة للمنهج غير الصحيح الذي اتبعه البعض في تفسير القرآن، ولذلك ظهر ما يُسمى مثلاً "بالمدرسة العقلية"، تغليباً للمنهج المتبع في التفسير، حيث يظهر فيه إعمال العقل غير مُقيد بالنقل رواية ودراية.

ب- ولمزيد من التوضيح نذكر بعض ما قرره العلماء بهذا الشأن:

1- يقول الغزالي: «ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات... فذموا العقل والمعقول... فإن كان الحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع؟ فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً... نريد بالعقل... نور الإيمان، وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور؛ وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ»⁽¹⁾.

2- ويقول ابن تيمية: «لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، والنقل - يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين - أما أن يفوض وأما أن يؤول»⁽²⁾، بل ان تدبر القرآن هو فهمه وفهمه هو عقل الكلام كما سبق نقل قوله في ذلك.

⁽¹⁾ - الإحياء: 137/1. هذا ما قاله بعد الحديث عن حقيقة العقل وأقسامه، ومما جاء فيه: أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان - كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدّة -، فالأول: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حدّ العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء. ثم يذكر الأقسام الثلاثة المتبقية وبعدها يقول: وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت، ومثاله الماء في الأرض، فإنه يظهر بحفر البئر ويجمع ويتميز بالحس، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ

بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى [الأعراف: 172]، فالمراد به إقرار أنفسهم لا إقرار الألسنة، وبعد ذلك يتحدث عن تفاوت النفوس في العقل. انظر: الإحياء: 131-135 بتصرف.

⁽²⁾ - مجموع الفتاوى: 29-28/13.

3-وما يقوله الشاطبي في هذه المسألة أكثر تفصيلا وبيانا:
الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول، والدليل على ذلك من وجوه:

*أحدها: أنها لو نافتها لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعي ولا غيره، لكنها أدلة باتفاق العقلاء،

*والثاني: أنها لو نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفا بما لا يطاق، وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدق العقل ولا يتصوره،

*والثالث: أن مورد التكليف هو العقل، وذلك ثابت قطعا بالاستقراء التام، حتى إذا فقد ارتفع التكليف رأسا.

*والرابع: أنه لو كان كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به؛ لأنهم كانوا في غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله ﷺ؛ فتارة يقولون: ساحر، وتارة مجنون؛ بل كان أولى ما يقولون: إن هذا لا يعقل، أو هو مخالف للعقول، فلما لم يكن من ذلك شيء دل على أنهم عقلوا ما فيه، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول.

*والخامس: أن الاستقراء دل على جريانها على مقتضى العقول، بحيث تصدقها العقول الراجحة، وتنقاد لها طائفة أو كارهة، لا أن العقول حاكمة عليها، وبسط هذا الوجه مذكور في بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام⁽¹⁾.

وفي موضع آخر يشير إلى افتقار كل من النقل والرأي إلى الآخر «لأن الاستدلال بالمنقول لا بد فيه من النظر، كما أن الرأي لا يعتبر شرعا إلا إذا استند إلى النقل»⁽²⁾. لذلك قال ابن تيمية: الرأي المذموم هو ما قال السلف إنه المخالف للشرع والعقل⁽³⁾.

ثانيا: درجات التدبر:

من المسلم به أن النص القرآني الذي يراد فهمه وتدبره خفي الدلالة، ثم إن درجات

(1)-الموافقات: 20/3/2-21 بتصرف.

(2)-الموافقات: 29/3/2-30.

(3)-مجموع الفتاوى: 147/13 بتصرف.

الفهم تتفاوت من مفسر لآخر بل ومن زمن⁽¹⁾ لآخر؛ لذلك فإنّ البيان يكون مختلفا اختلافاً تنوع لأنّ اختلاف التضاد منفي بنص القرآن ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾ وأقوى درجات التدبر ما يكون فيه البيان بالقرآن ذاته، والعبرة بالتزام المنهج الصحيح عند التدبر؛ بل قل بتطبيق التدبر المقصود من النص.

فإذا خالف أحدهم السلف في التفسير فضلاً عن تصريحه بمخالفتهم؛ فلا شك أن المنهج الذي اعتمده في التفسير فيه نظر عموماً، ومما قرره العلماء في ذلك:

1- ما قاله ابن تيمية: «قد استفاضت النصوص الصحيحة عنه أنه قال ﷺ: «خير القرون قرني الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»⁽³⁾، فجملة القرن الأول أفضل من القرن الثاني، والثاني أفضل من الثالث، والثالث أفضل من الرابع»⁽⁴⁾. «لهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير وأصول الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة... وأما المتأخرون الذين لم يتحرّوا متابعتهم وسلوك سبيلهم، ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم، بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به، لا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك»⁽⁵⁾. والمقصود أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، وأن كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على

(1) وإن كان عنصر الزمن لا يشترط لفهم الخطاب؛ يقول الشاطبي: إن ما يتوقف عليه معرفة المطلوب قد يكون له طريق تقريبي يليق بالجمهور فهو المطلوب الأوّل المنبّه عليه؛ كما إذا طلب معنى الإنسان، فقليل: إنّه هذا الذي أنت من جنسه، فيحصل فهم الخطاب مع هذا الفهم التقريبي حتى يمكن الامتثال، وعلى هذا وقع البيان في الشريعة. لأنّ الأمة أمية فلا يليق بها من البيان إلا الأمي. وأما المطلوب الثاني: وهو ما لا يليق بالجمهور، فعدم مناسبتة للجمهور أخرجه عن اعتبار الشرع له، لأنّ مسالكة صعبة المرام، كما إذا طلب معنى الإنسان، فقليل: «هو الحيوان الناطق المائت»، وما أشبه ذلك من الأمور التي لا تعرفها العرب، ولا يوصل إليها إلا بعد قطع أزمنة في طلب تلك المعاني، ومعلوم أن الشارع لم يقصد إلى هذا ولا كلف به. وهذا المعنى تقرر، وهو أن ماهيات الأشياء لا يعرفها على الحقيقة إلا باريها. انظر: الموافقات: 40-38/1/1 بتصرف.

(2) سورة النساء: الآية 82.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، 1-باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم 3650 و3651، 204/2. وذكره أيضاً في كتب أخرى. وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه.

(4) مجموع الفتاوى: 66/13.

(5) مجموع الفتاوى: 25-24/13.

القرآن، ولا على الإيمان الذي جاء به الرسول؛ بخلاف السلف؛ فلهذا كان السلف أكمل علما وإيمانا، وخطئهم أخف وصوابهم أكثر⁽¹⁾.

2- وما قاله الشاطبي: «فالتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما بلغه المتقدم، وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري، فأعمال المتقدمين - في إصلاح دنياهم ودينهم - على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن، ومن طالع سيرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم، أبصر العجب في هذا المعنى، وأما الخبر ففي الحديث: «خيرُ القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»⁽²⁾، وفي هذا إشارة إلى أن كل قرن مع ما بعده كذلك». ثم يذكر أثرا⁽³⁾ لابن مسعود و يعلق عليه قائلا: «ومعناه موجود في الصحيح في قوله: «ولكن ينتزعه مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون»⁽⁴⁾». ⁽⁵⁾.

وهكذا كان شأن السلف الصالح؛ وأول ذلك ملازمة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ، وأخذهم بأقواله وأفعاله، واعتمادهم على ما يرد منه، كائنا ما كان، فهموا مغزى ما أراد به أولا، حتى علموا وتيقنوا أنه الحق الذي لا يُعارض، قال أحدهم: «أيها الناس! اتهموا رأيكم، والله لقد رأيته يوم أبي جندل، ولو أني أستطيع أن أردد أمر رسول الله ﷺ لرددته»⁽⁶⁾. وصار مثل ذلك أصلا لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهاوا، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وقلما وجدت فرقة زائغة، ولا أحد مخالف للسنة، إلا وهو مخالف لهذا

(1)- المصدر السابق: 60/13 بتصرف.

(2)- سبق تخريجه في البحث: ص

(3)- «ليس عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عامٌ أمطرٌ من عام... و لكن ذهاب خياركم و علمائكم، ثم سيحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيهدم الإسلام ويثلم».

(4)- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا، تقل: قال تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، حديث رقم 7307 رواه عبد الله بن عمرو، 429/3.

(5)- الموافقات: 65/1/1.

(6)- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، حديث رقم 430، 7308/3.

الوصف، وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم⁽¹⁾.

وسنرى في البحث لاحقاً منهج العلماء في التعامل مع النقل وهم يفسرون القرآن؛ حيث يغلب محاولة إيجاد التخريج والتأويل لما يُروى من أخبار ونقل عند تفسير النصوص، إحترازاً من الوقوع في مخالفة السلف؛ حتى وإن كان ما يُروى فيه نظر وفيه قول، بينما يبدو تغليب الرأي في هذا الكتاب —أي التفسير القرآني للقرآن، كما هو مبين في الفصل السابق— حالة التعارض على حد تصريح المفسر.

المطلب الرابع: المصطلحات المستعملة عند التدبر:

حينما نتأمل العبارات التي تستعمل عند تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر، نحو قولهم: المطلق والمقيد، العام والخاص، المجمل والمفصل⁽²⁾؛ نجد أنها تندرج تحت مصطلحين قرآنيين هما: المحكم والمتشابه، أو المحكم والمنسوخ، وممن تحدث في ذلك بالتفصيل ابن تيمية والشاطبي.

أولاً: أنموذج من أقوال ابن تيمية والشاطبي في ذلك:

أ— يقول ابن تيمية:

«إن الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة، ومقابل المنسوخ أخرى. والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف —العام— كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام، وتقييد المطلق، فإنّ هذا متشابه لأنّه يحتمل معنيين، ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه، وإحكامه رفع ما

(1) —الموافقات: 62/1/1-63 بتصرف.

(2) —هذا الكلام هو تلخيص لما ورد في البحوث التي خُصصت فيها مسألة تفسير القرآن بالقرآن بالدراسة. انظر:

—تفسير القرآن بالقرآن —دراسة تاريخية ونظرية—، ما ذكره في الباب الأول —أي الدراسة التاريخية—.

—تفسير القرآن بالقرآن —من أول القرآن إلى آخر سورة النساء جمعاً ودراسة— المبحث الخامس: أوجه تفسير القرآن بالقرآن: ص74 وما بعده.

—ما قاله سليمان الطيار في عدّة بحوث نحو:

*مصادر التفسير (1) تفسير القرآن بالقرآن، ص3-4.

*بحث مفاده الحديث عن الجانب التعقدي لأصول التفسير وقواعده، ص22-26. (مركز تفسير للدراسات القرآنية).

*شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ط2، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1428هـ، ص271-278.

—مقال البريدي: تفسير القرآن بالقرآن، أوجه تفسير القرآن بالقرآن: 2/2-7.

—مبحث تفسير القرآن بالقرآن لبكار، سوريا.

يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد، وكذلك ما رفع حكمه، فإن في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معاني القرآن؛ ولهذا كانوا يقولون: هل عرفت النسخ من المنسوخ؟ فإذا عرف النسخ عرف المحكم، وعلى هذا فيصح أن يقال: المحكم والمنسوخ، كما يقال المحكم والمتشابه⁽¹⁾. و يقول أيضا: «و"الأسماء المشتركة في اللفظ" هي من المتشابه، وبعض "المتواطئة" أيضا من المتشابه، ويسمى أهل التفسير "الوجوه، والنظائر"... فالوجوه في الأسماء المشتركة، والنظائر في الأسماء المتواطئة»⁽²⁾.

ب- يقول الشاطبي:

«إن المتشابه الواقع في الشريعة على ضربين: أحدهما حقيقي، والآخر إضافي.

* فالأول: معناه راجع إلى أنه لم يجعل لنا سبيل إلى فهم معناه، ولا شك في أنه قليل لا كثير، ولا يكون إلا فيما لا يتعلق به تكليف سوى مجرد الإيمان به.

* والثاني: وهو الإضافي لأنه لم يصير متشابهاً من حيث وضع في الشريعة، ولكن الناظر قصر في الاجتهاد أو زاغ عن طريق البيان اتباعاً للهوى⁽³⁾؛ ومن أمثلة هذا الضرب: قطع العام عن الخاص، أو قطع المطلق عن المقيد أو قطع الآية عما قبلها وبعدها⁽⁴⁾؛ فإذا جمع الناظر بين العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ وغير ذلك زال التشابه ولذلك سمي المحكم⁽⁵⁾. وعن مصطلح النسخ يقول الشاطبي: «أن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين: فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمحمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً؛ لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر يقتضي أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جاء به

(1)- مجموع الفتاوى: 272/13-273.

(2)- مجموع الفتاوى: 276/13.

(3)- الموافقات: 64/3-65 بتصرف.

(4)- وهذا هو تفسير النص بما يدل عليه السياق الخاص، أو ما يسميه المعاصرون ضرورة أخذ الوحدة الموضوعية للسورة بعين الاعتبار عند التفسير.

(5)- المصدر السابق: 65/3/2 بتصرف.

آخراً، فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به»⁽¹⁾.

وهذا المعنى جارٍ في تقييد المطلق، وكذلك العام والخاص والمبين مع المبهم كالمقيد مع المطلق، فلما كان كذلك استسهل إطلاق لفظ النسخ في جملة هذه المعاني؛ لرجوعها إلى شيء واحد⁽²⁾.

ثانياً: تعقيب:

التأمل في النقل السابق عن ابن تيمية وعن الشاطبي يلاحظ أن المصطلحات المتداولة عند المفسرين في بيان النص القرآني بنص قرآني آخر ترجع إلى ثلاثة مصطلحات هي: المحكم والمتشابه والنسخ.

* أما المحكم: فهو البين في الأصل، وبيانه يدرك بعد التدبر، لكنه في الظاهر متشابه، وهذا الذي سماه ابن تيمية المنسوخ وسماه الشاطبي المتشابه الإضافي⁽³⁾؛ ويدخل فيه: العام والمطلق والمنسوخ - في اصطلاح المتأخرين - والمحمل والمبهم... وكل ذلك متشابه قبل البيان بـ: الخاص والمقيد والناسخ والمفصل والمبين...

* وأما المتشابه: فهو النص الذي في بعض معانيه الغنى عن معرفته؛ لذلك استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله إلا الله⁽⁴⁾، أما تفسيره فمعلوم وفي هذا يقول ابن تيمية: «فالتأويل هو الحقيقة

(1)- المصدر السابق: 75/3/2.

(2)- المصدر السابق: 75/3/2-76 بتصرف.

(3)- وهذا هو القسم الثاني من قسمي المحكم الذي تحدث عنه الطبري، حيث قال: أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسول الله ﷺ، فإنما أنزله عليه بيانا له ولأئمة وهدى للعالمين. وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل، لكن في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى، فإن في ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا، وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه؛ نحو بيان الحروف المقطعة، وكل ما عدا هذا المتشابه محكم سواء:

- كان محكما لا تأويل له غير تأويل واحد، وقد استغني بسماعه عن بيان بيئته.

- أو كان محكما ذا وجوه وتأويلات، والدلالة على المعنى المراد منه؛ إما من بيان الله تعالى ذكره عنه (وهذا هو تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر الذي سبيله التدبر)، أو من بيان رسول الله ﷺ لأئمة.

ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأمة لما قد بينا. انظر: جامع البيان: 227/3/3-228 بتصرف.

(4)- المصدر السابق.

الخارجة، وأما معرفة تفسيره ومعناه فهو معرفة الصورة العلمية...»⁽¹⁾ وهذا هو المتشابه الحقيقي كما سماه الشاطبي؛ ولا يظهر الإجمال إلا فيه كما يقول: «الإجمال إما متعلق بما لا ينبي عليه تكليف، وإما غير⁽²⁾ واقع في الشريعة»⁽³⁾

وإنما يظهر هذا الإجمال في المتشابه الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾⁽⁴⁾ وهذا ليس فيه تكليف إلا الإيمان به على المعنى المراد منه، لا على ما يفهم المكلف منه⁽⁵⁾.

* وأما النسخ: فيطلق على كل رفع؛ سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة، وهذا المعنى العام للنسخ عند السلف كما يقول ابن تيمية⁽⁶⁾.

ثالثاً: استعمال هذه المصطلحات عند البيان:

أ- عندما نتأمل بعض تفاسير القرآن الكريم، نلاحظ أن استعمال هذه المصطلحات عند التفسير أمر نسبي بصفة عامة؛ بمعنى أن الالتزام باستعمالها يكون في المصنفات المخصصة لهذه المسائل.

أما التفاسير فتستعمل فيها عبارات: هذا مجمل وتفصيله...، أو هذه الآية بينها قوله تعالى...، أو بيان قوله تعالى... جاء في سورة...، أو هذه الآية منسوخة بقوله تعالى...، وغيرها؛ والعبرة بالجمع بين النص الذي يراد بيانه والنص الذي يبينه، عدا ما يطلق عليه مصطلح النسخ والنسخ؛ فلا بد من التزام المعنى المقصود من المصطلح عند البيان.

ب- فالظاهر إذن أن البحث عما يسمى بتحديد أوجه البيان بين النصوص القرآنية، محله بصفة خاصة كتب علوم القرآن؛ والدليل على ذلك ما يلاحظ عند الاطلاع على بعض ما جاء

(1)- مجموع الفتاوى: 283/13. وقال ابن قتيبة: «لم نر المفسرين توقفوا عن شيء من القرآن فقال: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أمرّوه كله على التفسير». انظر: تأويل مشكل القرآن، ط2، دار التراث، القاهرة، 1973م، ص100.

(2)- قال دراز في الهامش: «إذا قلنا: إن الراسخين يعلمون المتشابه، أما إن قلنا: إنهم لا يعلمونه، فليس التكليف واقعاً إلا بالإيمان به، على أنه من عند الله وأنه على ما أراده منه حق». انظر: الموافقات: 236/3/2.

(3)- الموافقات: 237/3/2.

(4)- سورة آل عمران: الآية 7.

(5)- الموافقات: 237/3/2 بتصرف.

(6)- مجموع الفتاوى: 274/13 بتصرف.

في التفاسير التي قارنت بها، وهذا ما يؤكده الشنقيطي في تفسيره، عند الحديث عن أنواع بيان القرآن بالقرآن، وإن حصر⁽¹⁾ ذلك غير ممكن، فضلاً عن احتمال الاختلاف في تعيين الرابط بين النصين.

كما أن كتب علوم القرآن يمكن تقسيمها إلى قسمين:

*قسم⁽²⁾ ورد فيه الحديث عن علوم القرآن المختلفة نحو: المتشابه، الناسخ والمنسوخ، المبهم، غريب القرآن، موهم المختلف، المشكل، الوجوه والنظائر، فهذا القسم يعين الباحث على تحديد أوجه البيان بين النصوص القرآنية؛ لكن بصورة مجملة.

*وقسم أفرد فيه الحديث عن كل علم من هذه العلوم في مصنف مستقل نحو: الناسخ والمنسوخ، مبهمات القرآن، ملاك التأويل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التزيل، تفسير غريب القرآن، تأويل مشكل القرآن، أسرار التكرار، إصلاح الوجوه والنظائر، وفي هذه المصنفات تجد تفصيلاً أكثر لمسألة تحديد أوجه البيان بين النصوص القرآنية.

جـ- إلا أن الجانب التنظيري لهذه المسألة؛ يقتضي من الباحث استقراء المنهج المتبع في كل هذه المصنفات، علماً أن المصادر التي تعتمد في هذه المصنفات: كتب التفسير الأولى - والمعتبرة-، لذلك لا بد من الرجوع إلى العلماء المحققين في علوم الدين، ممن يسهل الإفادة من تنظيرهم⁽³⁾، كأبي حامد الغزالي وابن تيمية والشاطبي؛ لأنه مبسوط في كتب لا يطلب من دارسها غير الفهم الصحيح والمتكامل، هذا ما ظهر لي عندما اطلعت على مجموع الفتاوى، وإحياء علوم الدين، والموافقات بعد تلخيصه.

والملاحظ كما سبق وأن ذكرت أن أوجه البيان بين النصوص القرآنية نحو القول: عاماً خصص، مطلقاً قيداً، منسوخاً نسخ، مجعلاً فصل، مبهماً بين، وغيرها تؤول إلى مصطلحين، هما: المحكم والمتشابه أو المحكم والمنسوخ، أي أن النص القرآني محكم في الأصل، لكن الحاجة إلى بيانه

(1)-انظر: أضواء البيان: 51/1.

(2)-وفي مقدمته البرهان للزمر كشي والإتقان للسيوطي. ومن الدراسات المعاصرة في هذا الصدد: أنواع التصنيف المتعلقة

بتفسير القرآن الكريم. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، 2010م.

(3)-اقصد أن التنظير يقوم على أساس النظرة الكلية لعلوم الدين. والظاهر أن هذا ما يشير إليه كتاب تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية لإبراهيم عقيلي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994م.

جعلته متشابهاً إلى أن يبين بعد التدبر والتأمل فيظهر أنه محكم، لذلك قلنا: أن العبرة في هذا البحث بصحة الجمع بين النصوص القرآنية؛ لكن هذا لا يعني جواز التساهل في ذكر أوجه البيان بين النصوص؛ نحو الحديث عن النسخ في غير محله.

المبحث الثاني:
دراسة نقدية للجانب التطبيقي
لمنهج تفسير القرآن بالقرآن
عند عبد الكريم الخطيب

سنأخذ في هذا المبحث بعض النماذج من تفسير عبد الكريم الخطيب للنص القرآني بنص قرآني آخر، أو بما يدلّ عليه القرآن، ونُقارنها بتفسير هؤلاء الأعلام؛ ليتبين لنا أكثر منهج عبد الكريم الخطيب؛ وهو يفسر النص القرآني بالقرآن ذاته على حدّ تسميته له بـ"التفسير القرآني للقرآن". ويمكن تقسيم هذه النماذج إلى أربعة أنواع، من حيث المصطلح الذي يحسن إطلاقه عليها، فتأتي هذه الدراسة في أربعة مطالب:

المطلب الأول: أنموذج من تفسير النص الجمل بالمفصل:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾.

أ- المقارنة:

1- يقول الطبري: «يعني: إلا أولوا العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيهِ. فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة إلا أولي الحُجَا والحُلُوم، وأن الذكرى غير ناهية إلا أهل النُهي والعقول»⁽²⁾.

2- ويقول ابن كثير: «أي: وما ينتفع بالموعظة والتذكّار إلا من له لب وعقل، يعي به الخطاب ومعنى الكلام»⁽³⁾.

3- ويقول القاسمي: ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽⁴⁾، أي: ذوو العقول من الناس، الخالصة من شوائب الهوى. وهم الحكماء. والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآية في معنى الإنفاق»⁽⁵⁾.

4- ويقول الشعراوي: «فالحق سبحانه يعلمنا أن نؤمن على أبنائنا بالعمل الصالح، وهذه هي الحكمة عينها التي لا يصل إليها إلا أصحاب العقول القادرة على الوصول إلى عمق التفكير السديد»⁽⁶⁾.

(1) - سورة البقرة: الآية 269.

(2) - جامع البيان: 148/3/3.

(3) - تفسير القرآن العظيم: 635/1.

(4) - سورة البقرة: الآية 269.

(5) - محاسن التأويل: 251/2.

(6) - تفسير الشعراوي: 1179/2.

وفي تفسير نفس الآية من سورة آل عمران⁽¹⁾ يقول: «فمن هم أولوا الألباب؟ تكون إجابة الحق: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽²⁾»⁽³⁾.

ب- تعقيب:

حينما نتأمل طريقة تفسير الآية عند هؤلاء العلماء ونقارن ذلك بتفسير عبد الكريم الخطيب لها⁽⁴⁾ نلاحظ:

1- أن مسألة تفسير عبد الكريم الخطيب لهذا النص بنص آخر غير مخالف لما ذكره هؤلاء المفسرين.

2- والظاهر أنه تسجيل لما حضره من معنى، بدليل تعدد ذكر هذه الآية في القرآن⁽⁵⁾، وإمكانية فهم المقصود من قوله تعالى: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁽⁶⁾ بما قاله الشعراوي -على سبيل المثال⁽⁷⁾- حيث فسّره بما جاء بعده مباشرة.

3- وهذا أنموذج يصدق فيه القول أن مجال التدبر في القرآن رحب ومتسع، وكل يبين المعنى حسب قدرته وفهمه.

4- إلا أن ما لوحظ في "التفسير القرآني للقرآن" مما سبق الإشارة إليه: إن في بعض المواضع نظر، وفي المنهج المتبع بصفة عامة نظر؛ يجعل الحاجة إلى موافقة الجماعة، أو إلى إسناد ما يذكره من تفسير، قاطع لتطرق أي احتمال فيما يقوله.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾⁽⁸⁾:

(1)- وهي الآية 190.

(2)- سورة آل عمران: الآية 191.

(3)- تفسير الشعراوي: 1963/4.

(4)- انظر هذا البحث: ص

(5)- ورد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ذكر 16 موضعا لهذا النص في القرآن، انظر: ص 818.

(6)- سورة آل عمران: الآية 190.

(7)- أما ابن كثير مثلا فلم يفسر الآية على هذا النحو، تفسير القرآن العظيم: 170/2-171.

(8)- سورة النمل: الآية 12.

أ-المقارنة:

1-يقول الطبري:«الآيات التسع:هن الآيات التي بينها في ماضي⁽¹⁾... قال ابن زيد⁽²⁾، في قوله: ﴿تِسْعَ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾⁽³⁾ قال:هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم»⁽⁴⁾.

2-ويقول ابن كثير:ثم أمره أن يلقي عصاه من يده⁽⁵⁾ أمّا قوله تعالى:﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾⁽⁶⁾ هذه آية أخرى،وقوله تعالى:﴿فِي تِسْعَ آيَاتٍ﴾⁽⁷⁾ أي:هاتان اثنتان من تسع آيات أؤيدك بهنّ،وأجعلهن برهانا لك إلى فرعون وقومه،وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾⁽⁸⁾ كما تقدم تقرير ذلك هنالك⁽⁹⁾؛حيث قال عند تفسير هذا النص:«فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة⁽¹⁰⁾ هي المرادة ها هنا،وهي المعنية»⁽¹¹⁾ في قوله تعالى:﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾⁽¹²⁾ الآيات⁽¹²⁾» فذكر

⁽¹⁾يقول عند تفسيرها من سورة الإسراء الآية 101: «اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ» ولا يرجح بعد حكاية

الروايات. انظر: جامع البيان: 209/15/9-212.

⁽²⁾أظنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، ضعفه. له "التفسير" و"الناسخ

والمنسوخ"،ت182هـ.انظر:طبقات المفسرين: 265/1.

⁽³⁾سورة النمل:الآية 12.

⁽⁴⁾جامع البيان:11/19/163؛ وهذا تفسير آخر للآيات التسع ولا يرجح أيضا.

⁽⁵⁾فهو لم يذكر النص ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ الآية 10 من سورة النمل، وذكر مباشرة التفسير. انظر: تفسير القرآن العظيم: 658/4.

⁽⁶⁾سورة النمل:الآية 12.

⁽⁷⁾سورة النمل:الآية 12.

⁽⁸⁾سورة الإسراء:الآية 101.

⁽⁹⁾تفسير القرآن العظيم:658/4 بتصرف.

⁽¹⁰⁾يقصد بهم: ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة، وقد علّق بعد ذكر أقوالهم قائلا: «وهذا

القول ظاهر جلي حسن قوي». انظر: تفسير القرآن العظيم: 187/4.

⁽¹¹⁾تفسير القرآن العظيم: 187/4.

⁽¹²⁾10-12 من سورة النمل.

هاتين الآيتين العصا واليد، وبين الآيات الباقيات في "سورة الأعراف" وفصلها. وقد أوتي موسى -عليه السلام- آيات أخر كثيرة، منها... ولكن ذكر هاهنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر، وكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحوداً⁽¹⁾.

«فهذا كله مما يدل على أنّ المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا، واليد، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه، وخوارق ودلائل على صدق موسى... وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث⁽²⁾...»⁽³⁾.

3- ويقول القاسمي: «﴿فِي تِسْعٍ ءَايَاتٍ﴾⁽⁴⁾ أي: غيرها توثقها، إذا جحد فرعون رسالتك. وهي ضرب ماء النهر بالعصا فينقلب دماً. وإصعاد الضفادع على أرض مصر وضرب التراب فتتليء الأرض قملاً وإرسال الجراد عليهم، والوباء الشديد. وإصابة أجسادهم بالقروح والدمامل والبثور، وإهلاك حصادهم بالبرد الشديد، وتغشيتهم بظلام كثيف على ما روى⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

وعند تفسير النص من سورة الإسراء، قال مضى الكلام عليها في الأعراف⁽⁷⁾، وفي سورة الأعراف اقتصر على تفسير النص، حيث ذكر في تفسيره خمس آيات⁽⁸⁾.

4- ويقول الشعراوي: «وهذه التسع هي: العصا... ثم اليد، واثنان هما الجذب، ونقص

الثمرات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

⁽¹⁾ -تفسير القرآن العظيم: 4/187.

⁽²⁾ -وهو الحديث الذي أورده أيضا الطبري عند تفسير الآيات من سورة النمل ولم يرجح، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير هاهنا؛ فابن كثير في هذا الموضع قدم المعنى القرآني كدليل على صحة الجمع بين النصين ورد الحديث لسببين، ثانيهما أن له تأويلا آخر غير ما سيق له من أنه بيان لهذا النص.

⁽³⁾ -تفسير القرآن العظيم: 4/188.

⁽⁴⁾ -سورة النمل: الآية 12.

⁽⁵⁾ -لم أجد هذه الروايات في المواضع التي يفترض ذكرها فيها؛ أي عند تفسير النص من سورتي الأعراف والإسراء كما سيأتي بيانه.

⁽⁶⁾ -محاسن التأويل: 7/510.

⁽⁷⁾ -محاسن التأويل: 6/537 بتصرف.

⁽⁸⁾ -المصدر السابق: 5/173-174.

يَالسِّينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ... ﴿١٣٠﴾ [الأعراف] ثم: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. هذه تسع آيات، تُثبت موسى أمام فرعون وقومه»⁽¹⁾.

وتفسيره هذا سبق ذكره بالتفصيل عند تفسير الآيتين 130 و 133 من سورة الأعراف⁽²⁾، وأكدّه عند تفسير النص -وقد جاء مجملاً- من سورة الإسراء وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾⁽³⁾ حيث قال: «المراد بالآيات التسع هنا هي الآيات الخاصة بفرعون؛ لأنّ كثيرين يخلطون بين معجزات موسى إلى فرعون، ومعجزاته إلى بني إسرائيل... وهي: العصا التي انقلبت حية، واليد التي أخرجها من جيبه بيضاء منورة، وأخذ آل فرعون بالسنين ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ثم لما كذبوا أنزل الله عليهم الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه تسع آيات خاصة بما دار بين موسى وفرعون»⁽⁴⁾.

ب- تعقيب:

عندما نتأمل تفسير هذا النص عند هؤلاء الأعلام، ونقارنه بتفسير عبد الكريم الخطيب⁽⁵⁾ له نلاحظ:

1- ما قاله عبد الكريم الخطيب يوافق ما ذكره ابن كثير والشعراوي؛ من حيث الجمع بين هذا النص والنص الذي يفسره، ومن حيث المعنى أيضاً بصفة عامة.

2- ثم ان التفصيل الذي أورده ابن كثير؛ يقوم بمثابة الدليل على صحة ذلك التفسير هذا، من جهة، ومن جهة أخرى طريقة ابن كثير تنبّه إلى مصدر تفسير هذا النص بنص آخر، فمصدره النقل. وهنا لطيفة وهي أن التفسير المنقول، أو التفسير المأثور، قد يكون أصله نصاً قرآنياً، لكن لا يصرح بذلك؛ فلا بد إذن من عدم إغفال ما ثبت نقلاً عند التفسير، وفهمه الفهم الصحيح.

(1)- تفسير الشعراوي: 10749/17-10750.

(2)- المصدر السابق: 4316/7، 4322.

(3)- الآية 101.

(4)- تفسير الشعراوي: 8776/14.

(5)- انظر هذا البحث: ص

3- ولذلك نلاحظ عدم الترجيح بعد حكاية الأقوال أو ذكر الروايات عند الطبري، وكأن في ذلك إشارة لمزيد من البحث في المسألة، وتلك ميزة من الميزات التي جعلت هذا التفسير -جامع البيان- أهم كتب التفسير عند العلماء.

4- أمّا ما يمكن قوله في مثل هذا الحال: إن التحري في إرجاع التفسير إلى مصدره، يزيد المنهج المتبع سلامة، والقلب اطمئنانا في مصنف كهذا؛ أي التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب.

المطلب الثاني: أنموذج من تفسير النص المنسوخ بالناسخ:

أولاً: قوله تعالى: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁽¹⁾:

أ- المقارنة:

1- الطبري: يفسر الآية كلها ثم يحكي الاختلاف في كونها محكمة أو منسوخة دون تعقيب على ذلك⁽²⁾.

2- وابن كثير: يفسر الآية ثم يذكر من قال بنسخها ومن قال هي محكمة دون تعليق⁽³⁾.

3- أمّا القاسمي: فيقول بعد تفسيرها: «زعم بعضهم أن هذه الجملة من الآية منسوخة

بآية: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]... وهذا الزعم لم يصب المحز، فإن كلا من الآيتين سيق في معنى خاص به...»⁽⁴⁾.

4- والشعراوي: يفسر الآية بطريقة تؤكد القول بأنها محكمة، ثم ينبه إلى الفهم الخاطئ

لقوله تعالى: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾⁽⁵⁾، وأنه ليس تخفيفاً جاء بعد قوله تعالى: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁽⁶⁾.

(1)- سورة آل عمران: الآية 102.

(2)- جامع البيان: 38/4/3-42.

(3)- تفسير القرآن العظيم: 77/2-78.

(4)- محاسن التأويل: 2/418.

(5)- سورة التغابن: الآية 16.

(6)- سورة آل عمران: الآية 102.

ب-تعقيب:

من خلال مقارنة دعوى عبد الكريم الخطيب عند تفسير هذه الآية⁽²⁾ بأقوال هؤلاء المفسرين نلاحظ:

1-مطابقة الدعوى للواقع، وموافقة ما قاله القاسمي والشعراوي لما قاله عبد الكريم الخطيب.

2-الظاهر ان مسألة الخلاف في كون الآية محكمة أو منسوخة؛ إنما هو خلاف على مستوى المصطلح؛ بل على مستوى المقصود من المصطلح⁽³⁾، بدليل طريقة تفسير الطبري وابن كثير للآية وعدم التعليق بعد ذكرهما الروايات في ذلك، ولعل توجيه الشاطبي: «فإنما أرادوا إطلاق آل عمران مقيد بالتغابن»⁽⁴⁾. للرأي القائل بالنسخ كان دقيقا وفي محله.

3- وثمة أمر آخر يلاحظه المطلع على أقوال المفسرين وآرائهم، حيث تأتي مرة مفصلة وأخرى مجملة، وفي موضوعات أو نصوص قرآنية تلمس نية الوصول إلى القول الفصل فيها، بينما تلاحظ حكاية الأقوال دون تعليق في مواضع أخرى، ولذلك فإنّ المقارنة أصلا أمر نسبي؛ فلا بد من فهم أو الأخذ بعين الاعتبار منهج المفسر جملة وتفصيلا، من حيث قصده وطريقته وغير ذلك، بل وكذلك مسألة الاهتداء وتفوت درجات الفهم.

(1)-تفسير الشعراوي: 3/1667-1668. وهو لا يشير لمسألة النسخ هذه نهائيا.

(2)-انظر هذا البحث: ص

(3)-وهذا دليل آخر على ما قلناه أن العبرة بصحة الجمع بين النصوص القرآنية وليس بتحديد أوجه البيان بينها: انظر مثلا: ذكر الزركشي لهذا النص كمثال تحت فصل "الأسباب الموهمة للاختلاف"، وذلك عند حديثه عن النوع 35 من أنواع علوم القرآن "معرفة موهم المختلف". البرهان: ص 363-364. وكذلك السيوطي في الإتقان: ص 538. مع أن ما نقلناه ورد فيه مصطلح النسخ. والملاحظ أن السيوطي يذكره أيضا ضمن ما يرى فيه نسخا لقوله: «وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية» أي آية آل عمران. انظر: الإتقان: ص 523.

(4)-الموافقات: 2/80/3: قال الشاطبي: «قال قتادة في قوله: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102]، إنه منسوخ بقوله: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وقاله الربيع بن أنس والسدي وابن زيد، وهذا من الطراز المذكور، لأنّ الآيتين مدينتان، ولم تنزلا إلا بعد تقرير أن الدين لا حرج فيه، وأن التكليف بما لا يستطاع مرفوع، فصار معنى قوله: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102] فيما استطعتم، وهو معنى قوله: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]». المصدر السابق.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾⁽¹⁾:

أ- المقارنة:

1- يقول الطبري: «اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية، هل هو محكم أو منسوخ؟ فقال بعضهم: هو محكم... وقال آخرون: منسوخة... وقال آخرون: هي محكمة وليست بمنسوخة... وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: هذه الآية محكمة غير منسوخة، وإنما عني بها: الوصية لأولى قربى الموصي، وعني باليتامى والمساكين: أن يقال لهم قول معروف»⁽²⁾.

2- ابن كثير: يحكي عند تفسيرها الاختلاف بينهم في القول بإحكامها أو نسخها، وكذلك الاختلاف بينهم في تفسيرها⁽³⁾، ويعلق على الطبري قائلا: «وقد اختار ابن جرير هاهنا قولاً غريباً جداً... هذا مضمون ما حاوله بعد طول العبارة والتكرار، وفيه نظر، والله أعلم»⁽⁴⁾ ثم يختم بتفسير للآية: يُفهم منه أنه يرجح القول بإحكامها، مستدلاً على ذلك بما جاء في القرآن والسنة⁽⁵⁾.

3- القاسمي: بعد تفسير الآية ينقل عن ابن كثير ما ختم به من بيان لمعناها. وكأنه يستدل بذلك على تفسيره لها، ثم يذكر بعض الروايات التي تؤكد بأن الآية محكمة⁽⁶⁾ ويختتم قائلاً: «وقد ذكر ههنا كثير من المفسرين آثاراً عن بعض السلف بأن هذه الآية منسوخة بآية الميراث، وهي من الضعف. يمكن، ولقد أبعد القائل بالنسخ عن فهم سر الآية فيما ندبت إليه من هذه المكرمة الجليلة... فالآية بيّنة بنفسها، واضحة في معناها وضوح الشمس في الظهيرة، لا تنسخ أو تقوم الساعة»⁽⁷⁾.

4- الشعراوي: لا يشير لمسألة النسخ هذه، وطريقة تفسيره للآية تدل دلالة واضحة

(1) - سورة النساء: الآية 8.

(2) - جامع البيان: 330/4/3-338.

(3) - تفسير القرآن العظيم: 196/2-198.

(4) - المصدر السابق: 198/2.

(5) - المصدر السابق: 198/2.

(6) - محاسن التأويل: 34/3.

(7) - المصدر السابق.

على أن الآية بينة بنفسها؛ فهي إذن محكمة كما يفهم ذلك من تفسيره لها⁽¹⁾.

ب- تعقيب:

من خلال مقارنة دعوى عبد الكريم الخطيب عند تفسير هذه الآية⁽²⁾ بتفسير هؤلاء العلماء لها نلاحظ مايلي:

1- عدم مطابقة هذه الدعوى لما ذكره القاسمي والشعراوي بصريح العبارة، ودلّ عليه ضمنا ما ختم به ابن كثير تفسيره للآية، أما رأي الطبري فيقوم بمثابة الشاهد لأقوال هؤلاء المفسرين.

2- فليس هناك إذن إجماع على القول بنسخ الآية.

3- ثم إن عبد الكريم الخطيب قد استشهد بما يقوله السيوطي عن السور التي مسها النسخ - وإن كان في استشهاده ذاك مقال - فكيف يغيب عنه قوله في هذه الآية: «تھاون الناس في العمل بها»⁽³⁾، بل كيف يغيب عنه ما قاله الطبري وابن كثير وهما ممن استشهد بأقوالهم في تفسيره؛ فيحكي الإجماع في موضع ليس فيه إجماع؟ وكيف يغيب عنه أيضا قول الشاطبي في الآية: «فهو من بيان الحمل والمبهم»⁽⁴⁾، وهو ممن ينقل عنهم؟

المطلب الثالث: أنموذج من تفسير النص المبهم بالمبين:

أولا: قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽⁵⁾:

أ- المقارنة:

1- يقول الطبري: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽⁶⁾: وخلق من النفس

(1)- تفسير الشعراوي: 4/2024-2025.

(2)- انظر هذا البحث: ص

(3)- الإتيان: ص524.

(4)- الموافقات: 2/78/3 بتصرف.

(5)- سورة النساء: الآية 1.

(6)- سورة النساء: الآية 1.

الواحدة زوجها، يعني بـ "الزوج" الثاني لها، وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها، حواء⁽¹⁾ ثم يذكر من قال ذلك: مجاهد وقتادة⁽²⁾ وغيرهما، وفي تلك الروايات ورد خبر خلق حواء من ضلع آدم⁽³⁾.

2- ويقول ابن كثير: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽⁴⁾ وهي حواء عليها السلام، خلقت من ضلعه⁽⁵⁾ الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه... وفي الحديث الصحيح: «إن المرأة خلقت من ضلع، وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»⁽⁶⁾،⁽⁷⁾.

3- و يقول القاسمي: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽⁸⁾ أي من نفسها، يعني من جنسها ليكون بينهما ما يوجب التآلف والتضام، فإن الجنسية علّة الضم. وقد أوضح هذا بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁹⁾،⁽¹⁰⁾.

4- ويقول الشعراوي: «والناس تريد أن تدخل في متاهة، هل خلق منها المقصود به خلق حواء من ضلع آدم أي من نفس آدم؟ أناس قالوا ذلك، وأناس قالوا: لا، "منها" تعني من

(1)- جامع البيان: 281/4/3.

(2)- مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المقرئ المفسر الإمام، ت 101هـ أو 102هـ أو 103هـ أو 104هـ، بمكة وهو ساجد. انظر: طبقات المفسرين: 305/2.

- وقتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي، الحافظ العلامة أبو الخطاب البصري، الضير الأكمه المفسر، ت 118هـ. انظر: المصدر السابق: 43/2.

(3)- المصدر السابق: 281/4/3-282.

(4)- سورة النساء: الآية 1.

(5)- جاء في اللسان: الضلع والضلع لغتان: محنية الجنب، مؤنثة، والجمع أضلع وأضلاع وأضلاع وضلوع. انظر: 517/5.

(6)- صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم 3331، رواه أبو هريرة، 133/2.

(7)- تفسير القرآن العظيم: 185/2.

(8)- سورة النساء: الآية 1.

(9)- سورة الروم: الآية 21.

(10)- محاسن التأويل: 7/3 بتصرف.

جنسها، ودلوا على ذلك قائلين:

حين يقول الله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [من الآية 128 سورة التوبة] أخذ الله محمدا ﷺ من نفوسنا وكونه؟ لا، إنما هو رسول من جنسنا البشري، وكأنه سبحانه قد أشار إلى دليل؛ لأن خلق حواء قد انطمست المعالم عنه، ولأنه أعطانا بيان خلق آدم وتسويته من طين ومراحل خلقه إلى أن صار إنسانا، ولذلك يجوز أن يكون قد جعل خلق آدم هو الصورة لخلق الجنس الأول، وبعد ذلك تكون حواء مثله، فيكون قوله سبحانه: «خلق منها»⁽¹⁾ أي من جنسها، خلقها من طين ثم صورها إلخ؛ ولكن لم يعد علينا التجربة في حواء كما قالها في آدم، أو المراد من قوله: "منها" أي من الضلع، وهذا شيء لم نشهد أوله، والشيء الذي لم يشهده الإنسان فالحجة فيه تكون ممن شهده، وسبحانه أراد أن يرحمنا من متاهات الظنون في هذه المسألة، مسألة كيف خلقنا، وكيف جئنا؟ إن كيفية خلقك ليس لك شأن بها، فالذي خلقك هو الذي يقول لك فاسمع كلامه... لذلك نقول: هذا أمر لم نشهده فيجب أن نستمع ممن فعل، والحق سبحانه يقول: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾⁽²⁾ «⁽³⁾».

ب- تعقيب:

عندما نقارن تفسير عبد الكريم الخطيب للآية⁽⁴⁾ بتفسير هؤلاء الأعلام نقف على أمرين بارزين:

1- وضوح مسألة التقيد بالتفسير المنقول للنص القرآني عند الطبري وابن كثير وعدم تجاوزه؛ إلا أن الطبري حكى في ذلك ما قاله السلف -مجاهد وقتادة وغيرهما- بينما ابن كثير فسره بالنص النبوي.

2- تجاوز التفسير المنقول إلى ما يدل عليه النص ذاته، والاستعانة بالسياق القرآني، دون إشارة لهذا التفسير المنقول كما جاء عند القاسمي.

(1)- سورة النساء: الآية 1.

(2)- سورة الكهف: الآية 51.

(3)- تفسير الشعراوي: 4/1994-1995.

(4)- انظر هذا البحث: ص

3- موقف وسط عند التعارض الذي يبدو بين التفسير المنقول للنص والتفسير المعقول الذي يحتمله؛ بمعنى آخر ما يُوصل إليه التدبر للنص لا يعني ردًا للتفسير الظاهر له أو المنقول له كما صرح الشعراوي.

4- وهذا الموقف خير ما يُردّ به على دعوى عبد الكريم الخطيب: «والقصة التي تقول إن "حواء" خلقت من ضلع آدم، هي من واردات الأساطير...»⁽¹⁾؛ فهذا انتقاد فيه نظر بل هو رد ضمني لما ثبت عن النبي ﷺ في هذه المسألة - كما جاء على الأقل عند ابن كثير -، بغض النظر عن مدى صحة ما ذهب إليه، معتمدا في ذلك على ما يدل عليه القرآن عند تفسير النص؛ والظاهر أن هذا الرأي محتمل، بدليل ما قاله القاسمي، وأشار إليه الشعراوي، مع الفارق في المنهج المتبع عندهما: إجلال للتفسير المنقول - كما صرح الشعراوي - والتوقف عند هذا التفسير دون إشارة له فضلا على انتقاده كما جاء عند القاسمي.

فلماذا يجعل من الرأي حكما أو دليلا على ردّ النقل الثابت حالة التعارض الظاهر - عند النظر -؟؟

إنّ منهج عبد الكريم الخطيب فيه نظر؛ وهو يقف حجر عثرة للتسليم بما يتوصل إليه وإن احتمل الصواب كما في هذا المثال.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾⁽²⁾:

أ- المقارنة:

1- يقول الطبري: «وأما قوله: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾⁽³⁾، فإنّ أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي شجرة الزقوم»⁽⁴⁾ ويذكر من قال ذلك: ابن عباس ومسروق والحسن وأبي مالك وعكرمة وسعيد بن حبير ومجاهد وقتادة...⁽⁵⁾، وقال آخرون: هي

(1)- التفسير القرآن للقرآن: 682/2.

(2)- سورة الإسراء: الآية 60.

(3)- سورة الإسراء: الآية 60.

(4)- جامع البيان: 140/15/9.

(5)- المصدر السابق: 140/15/9-143 بتصرف.

الكشوث»⁽¹⁾، ويذكر من قال ذلك؛ وهي رواية واحدة⁽²⁾، ثم يقول: «وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عني بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك»⁽³⁾.

2- و يقول ابن كثير: «قال البخاري:... عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ... ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾⁽⁴⁾: شجرة الزقوم⁽⁵⁾، وكذا رواه أحمد⁽⁶⁾ وعبد الرزاق⁽⁷⁾، وغيرهما، عن سفيان بن عيينة⁽⁸⁾، به. وكذا رواه العوفي⁽⁹⁾، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-... فهي شجرة الزقوم، كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم، فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل -عليه لعائن الله-: هاتوا لنا تمرا وزبدا، وجعل يأكل هذا بهذا، ويقول: تزقموا، فلا نعلم الزقوم غير هذا⁽¹⁰⁾، حكى ذلك ابن عباس،

(1)-المصدر السابق: 143/15/9. والكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر، من غير أن يضرب بعرق في الأرض. قال الشاعر:

هو الكشوث، فلا أصل، ولا ورق
ولا نسيماً، ولا ظل، ولا ت

فهو نبات مقطوع الأصل. انظر: اللسان: 667/7.

(2)-جامع البيان: 143/15/9.

(3)-المصدر السابق.

(4)-سورة الإسراء: الآية 60.

(5)-صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا الزُّبْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]، حديث رقم 452-451/4716.

(4)-أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي البغدادي، شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره الحافظ الحجة، ت 241هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 431/2.

(5)-عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ الكبير أبو بكر الحميري، صاحب التصانيف، ت 211هـ، المصدر السابق: 634/1.

(6)-سفيان بن عيينة بن ميمون العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الهلال الكوفي. محدث الحرم مولى محمد بن مزاحم، ت 198هـ. انظر: المصدر السابق: 262/1.

(7)-العوفي محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي العوفي، محدث من أهل بغداد. قيل: كان لنا في الحديث وله "تفسير القرآن"، ت 276هـ. انظر: معجم المفسرين: 531/2.

(8)-أخرجه ابن جرير عن قتادة، قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾، وهي شجرة الزقوم، خوف الله بها عبادة،

فافتنوا بذلك، حتى قال قائلهم -أبو جهل بن هشام-.. وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد؛ فترقموا، فأنزل الله تعالى: ﴿

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ الآيتان: 64-65 من سورة الصافات. انظر: جامع البيان: 142/15/9.

(9)-مسروق بن الأجدع الإمام أبو عائشة الهمداني الكوفي الفقيه أحد الأعلام، من كبار التابعين، ت 63هـ. تذكرة

الحفاظ: 49/1. (10)-تفسير القرآن العظيم: 159-158/4.

ومسروق⁽¹⁾، وغير واحد: وكل من قال: إنها ليلة الإسراء، فسرّه كذلك بشجرة الزقوم. وقد قيل: المراد بالشجرة الملعونة: بنو أمية، وهو غريبٌ ضعيفٌ.

3- ويقول القاسمي: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾... الأكثرون على أنها شجرة الزقوم المذكورة في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٣) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) ...»⁽²⁾.

4- ويقول الشعراوي: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾⁽³⁾... أي: وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس أيضا، وإن كانت الفتنة في الإسراء كامنة في زمن حدوثه، فهي في الشجرة كامنة في أنها تخرج في أصل الجحيم، في قعر جهنم، ومعلوم أن الشجرة نبات لا يعيش إلا بالماء والري، فكيف تكون الشجرة في جهنم؟

ومن هنا كانت الشجرة فتنة تمحص إيمان الناس؛ لذلك لما سمع أبو جهل هذه الآية جعلها مشكلة، وخرج على الناس يقول: اسمعوا ما يحدثكم به قرآن محمد، يقول: إن في الجحيم شجرة تسمى "شجرة الزقوم"، فكيف يستقيم هذا القول، والنار تحرق كل شيء حتى الحجارة؟⁽⁴⁾. ثم يذكر قولاً يفهم منه أن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم⁽⁵⁾.

ب- تعقيب:

حينما تتأمل تفسير هذه الآية عند عبد الكريم الخطيب⁽⁶⁾، وتقارن ذلك بتفسير هؤلاء الأعلام تلاحظ:

(11)- سورة الإسراء: الآية 60.

(2)- محاسن التأويل: 6/492.

(3)- سورة الإسراء: الآية 60.

(4)- تفسير الشعراوي: 14/8650-8651.

(5)- يقول: «وقد قال ابن الزبيري حينما سمع قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٣) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)»⁵

[الصافات]. فقال: والله ما عرفنا الزقوم إلا الزبد على التمر، فقوموا تزعموا معي أي: استهزاء. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) المصدر السابق: 14/8651. بكلام الله، وتكذيباً لرسوله

(6)- انظر هذا البحث: ص

1-عدم مطابقة قوله:«ذهب المفسرون مذاهب شتى في هذه الشجرة»⁽¹⁾، لما قاله هؤلاء على الأقل.

2-ثم ما سجله من معنى للنص لا يخالف ما قاله هؤلاء المفسرين.

3-إلا أن المصدر الذي اعتمده كما يبدو القرآن ذاته.

4-بينما مصدر هؤلاء المفسرين في الظاهر النقل؛ بيد أن هذا النقل هو القرآن أيضا، على ما صرح به القاسمي، وأشار إليه الشعراوي.

5-والنقل المعتمد عند الطبري وابن كثير؛ يحمل في طيه مسألة التقيد بتقديم التفسير المنقول الصحيح، على تفسير النص بالنص الذي طريقه التدبر، لأن تفسير النبي ﷺ والصحابة للنص القرآني أقوى من أي تفسير طريقه النظر، كما هو الحال في هذا المثال؛ فهو حكاية لما جاء في القرآن ذاته من بيان لذلك؛ وإن لم يكن بلفظ القرآن كلية.

6-وأهم شيء نسجله في هذا المقام: أن تفسير النص القرآني بالنص القرآني، إذا كان له شاهد من التفسير بالحديث والأثر وغير ذلك، فعلى الأقل يشار لذلك، حتى لا يُظن أن الفضل يعود إلى التدبر المحض أي للعقل في هذا البيان. بدليل ما جاء في "التفسير القرآني للقرآن": «ذهب المفسرون مذاهب شتى في هذه الشجرة، والذي نتخذه دليلا في بحثنا عن تلك الشجرة...»⁽²⁾، فأين الاستقراء أو شبهه، بل وأين الانطلاق من أولى مآخذ التفسير ومصادره؟.

المطلب الرابع: أنموذج من تفسير النص الذي له علاقة بملابسات التزول -

التاريخ - : أولا: قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾⁽³⁾:

أ-المقارنة:

1-يقول الطبري: «يعني بذلك جل ثناؤه: والله سميع عليم حين همّت طائفتان منكم أن

⁽¹⁾-التفسير القرآني للقرآن: 512/8.

⁽²⁾-المصدر السابق.

⁽³⁾-سورة آل عمران: الآية 122.

تفشلا. والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر لنا أنهم بنو سلمة وبنو حارثة»⁽¹⁾ ثم يذكر من قال ذلك: مجاهد وقتادة والسدي⁽²⁾ وغيرهم.

2- ويقول ابن كثير: «قال البخاري: قال عمرو⁽³⁾: سمعت جابر⁽⁴⁾ بن عبد الله يقول: فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾⁽⁵⁾ قال: نحن الطائفتان؛ بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب وقال سيفيان مرة: وما يسرني أنها لم تنزل لقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾⁽⁶⁾، وكذا رواه مسلم⁽⁷⁾ من حديث سفيان بن عيينة به، وكذا قال غير واحد من السلف: إنهم بنو حارثة وبنو سلمة»⁽⁸⁾.

3- ويقول القاسمي: «﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ﴾ أي: بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس... روى الشيخان عن جابر⁽⁹⁾ قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾⁽⁹⁾ قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب وقال سيفيان مرة: وما يسرني أنها لم تنزل لقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾⁽¹⁰⁾»⁽¹¹⁾.

(1)- جامع البيان: 92/4/3 وبنو سلمة وبنو حارثة، حيان من الأنصار، وكان ذلك يوم أحد. حيث همت الطائفتان

بالانصراف عن الرسول ﷺ فعصمهم الله مما هموا به. انظر: المصدر السابق: 93/4-94.

(2)- هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير، أبو محمد الكوفي الأعور صاحب "التفسير"، ت: 127هـ. انظر: طبقات المفسرين: 109/1.

(3)- عمرو بن دينار الحافظ الإمام، عالم الحرم أبو محمد الجمحي مولا هم المكي الأثرم، سمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك، ت: 126هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: 113/1.

(4)- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الإمام أبو عبد الله الأنصاري الفقيه مفتي المدينة في زمانه، حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا نافعا، ت: 78هـ. المصدر السابق: 43/1.

(5)- سورة آل عمران: الآية 122.

(6)- سورة آل عمران: الآية 122. وانظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: 122]. حديث رقم 2، 294/4051، وسفيان المذكور هو ابن عيينة.

(7)- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار ﷺ، حديث رقم 2505، 250/8.

(8)- تفسير القرآن العظيم: 98/2.

(9)- سورة آل عمران: الآية 122.

(10)- سورة آل عمران: الآية 122.

(11)- سبق تخريجه في البحث: ص

4- ويقول الشعراوي: «الطائفتان هما "بنو حارثة" من الأوس "وبنو سلمة" من الخزرج،... وقد قال واحد من الطائفتين: والله ما يسرنى أنى لم أهم -أي لقد انشرح قلبي لأني هممت- لأني ضمنت أنى من الذين قال الله فيهم: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾⁽²⁾، وحسي ولاية الله...»⁽³⁾.

ب-تعقيب:

عندما تتأمل تفسير هذه الآية عند هؤلاء الأعلام، وتقارنه بتفسير عبد الكريم الخطيب له⁽⁴⁾ تلاحظ:

1- اتفاق هؤلاء المفسرين على بيان الطائفتين بما ثبت نقلاً في ذلك⁽⁵⁾، وتفرّد عبد الكريم الخطيب، حيث اكتفى بالنص القرآني عند البيان، مستدلاً بعدم تعيين هاتين الطائفتين كما دلّ النص في رؤية على ذلك.

2- ما قاله عبد الكريم الخطيب عن المفسرين -دون تقييد- وهم يفسرون هذا النص غير مطابق للواقع، وأسلوبه في تلك الدعوى غير مقبول.

3- وأما ما ختم به تلك الدعوى فيدلّ على الإعراض عن النقل الثابت في تفسير النص، مع أنّ هذا النقل هو جزء لا يتجزأ من التاريخ أو ملابسات نزول النص، فلماذا يأخذ بذلك حيناً ويُعرض عنه حيناً آخر؟

4- هل هذا الإعراض يعني أنّه ينقل عن مراجع معينة؛ يعتبرها موثوقة؟ إذا كان ذلك، ففي منهجه إذن نظر من حيث عدم الاستقراء وعدم التثبت.

(1)-محاسن التأويل: 450/2.

(2)-سورة آل عمران: الآية 122.

(3)-تفسير الشعراوي: 1737/3.

(4)-انظر هذا البحث: ص

(5)-مع ملاحظة في تفسير الطبري للنص قائلاً: «ذكرنا أنهم...»، وهذا إنّ دلّ على شيء إنما يدلّ على التسليم لما يثبت نقلاً في تفسير القرآن وحكاية ذلك بأمانة وإسناده لمن قال به، أمّا النص فقد قال طائفتان منكم دون تعيين لهما.

5- أم أن ذلك تسجيل لما يحضره دون الرجوع للمصادر المعلومة عند التفسير، وما يحضره مبني على أساس أن في النقل نظر، وأن تعيين ما أجمعه القرآن يؤخذ من القرآن ذاته لا من غيره. إن في منهج عبد الكريم الخطيب نظر.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾⁽¹⁾:

أ- المقارنة:

1- يقول الطبري: وائل يا محمد على قومك ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾⁽²⁾، يعني: خبره وقصته، واختلف أهل التأويل فيه، فقال بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل، وقال آخرون: كان هذا من أهل اليمن، وقال آخرون... وقال آخرون... واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيتها، فقال بعضهم... وقال آخرون... وقال آخرون...

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته، وهي الآيات. هذا هو الصواب؛ أن يقال فيه ما قاله الله، ويقر بظاهر التزويل على ما جابه الوحي من الله⁽³⁾.

2- وابن كثير: يذكر روايات في تفسير هذه الآية ولا يعلق⁽⁴⁾؛ إلى أن ينتهي من تفسير القصة كما جاء في الأخبار⁽⁵⁾.

3- ويقول القاسمي: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾⁽⁶⁾ أي: على قومك أو على اليهود ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾⁽⁷⁾ أي: علم الكتاب، فلفظ به حتى تعلم وفهم المعاني، وصار عالما بها ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾⁽⁸⁾ بأن نزع العلم عنه، فكفر بها، وخرج منها خروج الحية من جلدها

(1)- سورة الأعراف: الآية 175.

(2)- سورة الأعراف: الآية 175.

(3)- جامع البيان: 6/149-154 بتصرف.

(4)- تفسير القرآن العظيم: 3/234-238.

(5)- المصدر السابق: 3/238-239.

(6)- سورة الأعراف: الآية 175.

(7)- سورة الأعراف: الآية 175.

(8)- سورة الأعراف: الآية 175.

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾⁽¹⁾ أي: فلحقه وأدركه وصار قرينا له حتى أضله ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾⁽²⁾ ثم يختم تفسير القصة بقوله: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾، اعلم أن من السلف من ذهب إلى أن هذه الآية مثل ضربه الله لمن عرض عليه الإيمان فأبى أن يقبله وتركه، وهو قول قتادة وعكرمة... ومنهم من ذهب إلى... وقيل... وقيل... وقيل... ومن الأقوال التي تناقلها المفسرون أنها نزلت في بلعام بن بَعُور، ويحكى عنه قصة لم تُروَ في جوامع الآثار الصحيحة عندنا، ولا هي مطابقة لما عند أهل الكتاب⁽⁵⁾.

4- ويقول الشعراوي: «النبأ هو الخبر المهم وله جدوى اعتبارية ويمكن أن ننتفع به وليس مطلق خبر... ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾⁽⁶⁾، كأن هذا النبأ كان مشهورا جدا، ويقال: إنه قد قيل في «ابن بعوراء» أو أمية بن أبي الصلت، أو عامر الراهب، أو هو واحد من هؤلاء، والمهم ليس اسمه، المهم أن إنسانا آتاه الله آياته ثم انسلخ من الآيات، فبدلا من أن ينتفع بها صيانة لنفسه، وتقربا إلى ربه ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ واتبع هواه ومال إلى الشيطان.

وكلمة "انسلخ" دليل على أن الآيات محيطة بالإنسان إحاطة قوية لدرجة أنها تحتاج جبروت معصية لينسلخ الإنسان منها⁽⁷⁾.

والملاحظ أن في طريقة تفسير الشعراوي للقصة نحو قوله: «وقول الحق: ﴿فَأَقْصَصَ﴾⁽⁸⁾ يوضح لنا أن الله لا يريد أن يعلمنا تاريخا، لكنه يعلمنا كيف نأخذ العبرة من التاريخ، بدليل أنه يكرر القصة أكثر من مرة وكل مرة يأتي سبحانه بلقطة جديدة... لأنّ القصة أمر واقعي...»⁽⁹⁾. وكذلك قوله عند تفسير قوله تعالى:

(1)- سورة الأعراف: الآية 175.

(2)- سورة الأعراف: الآية 175.

(3)- محاسن التأويل: 226/5.

(4)- سورة الأعراف: الآية 177.

(5)- محاسن التأويل: 227/5-228.

(6)- سورة الأعراف: الآية 175.

(7)- تفسير الشعراوي: 4456/7.

(8)- سورة الأعراف: الآية 176.

(9)- تفسير الشعراوي: 4463/7.

﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾⁽¹⁾: «حين نقول: أنفسهم يظلمون، فمعنى ذلك أنه لا يتعدى ظلمهم أنفسهم، ويكون الكلام فيه قصر وتخصيص...»⁽²⁾ تأكيد لما ذهب إليه بأنه لا يهم تعيين هذا المبهم.

ب-: تعقيب:

1- أول ملاحظة يسجلها المتأمل في تفسير عبد الكريم الخطيب لهذا النص، اعتماده على التاريخ أو ملاسبات نزول الآية، وهذا يناقض طريقته في تفسير آية آل عمران في المثال السابق في تعيين ما أجمعه القرآن هنا ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾⁽³⁾ الآية، وربط ذلك بما يدل عليه النص ذاته، والسياق العام، والإشكال ليس في طريقة تدبره ومحاولة فهم النص بما يدلّ عليه القرآن والتاريخ.

2- إنما الإشكال في انتقاد منهج غيره من المفسرين عند التفسير، حيث كان الظاهر الاعتماد على التفسير المنقول للآية؛ دون تصريح منهم بأن هذا هو التفسير الثابت والصحيح: -فالطبري يرجح ما دلّ عليه النص في منطوقه بعد ذكر الاختلاف فيما نُقل في تفسيره. -وابن كثير يذكر الروايات والأخبار عند التفسير دون تعليق.

-والقاسمي يفسر النص بما يدلّ عليه في منطوقه، ويختتم بالإشارة لما رُوي في ذلك، مؤكداً أن في ذلك نظراً.

-أمّا الشعراوي فيكتفي بما يدلّ عليه النص في منطوقه ومفهومه -دون انتقاد أو ردّ لما يُروى- أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾⁽⁴⁾ الآية، معلوم لدى المخبرين بذلك، ولذلك صدر تفسيره قائلاً: «كأنّ هذا النبأ كان مشهوراً جداً»⁽⁵⁾.

(1)- سورة الأعراف: الآية 177.

(2)- تفسير الشعراوي: 4471/7.

(3)- سورة الأعراف: الآية 175.

(4)- سورة الأعراف: الآية 175.

(5)- تفسير الشعراوي: 4456/7.

3- فكان إذن الأولى عند تدبر النص عدم الإعراض عن التفسير المنقول؛ على الأقل لاحتفال أن ذلك ثابت وصحيح.

هذا وقبل ذكر أهم نتائج البحث أقول كخلاصة لهذه الدراسة:

تفسير ضخّم للقرآن الكريم من ستة عشر جزءاً موضوع على الرفوف منذ السبعينات، وعنوانه يشير إلى أنّه من أصحّ التفاسير، ثم تستأنس بما جاء في بعضه بأنّه من التفاسير التي يصلح الاعتماد عليها في هذا العصر، لأنّه يتناول جملة من المسائل القرآنية بالتفسير حسب منهج التفسير الموضوعي كما يبدو، فقد ترجع إليه وتعتمد عليه فيقع اختيارك مثلاً على مواضع لم يصرح فيها بمخالفة المفسرين، ولا بمخالفة الإجماع، ولا برد الأخبار والروايات، نحو تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالْمُفَصِّلَاتِ ذِكْرًا﴾⁽¹⁾، وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾⁽²⁾، وتنقل أقواله، وهنا يظهر أثر مثل هذه المصنفات؛ فإنّه ليس بوسع الباحث استقراء كل ما يقال في المسألة الواحدة، كما ليس في مقدور كل باحث الانتباه لما فيه نظر.

إلا أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽³⁾، يمكن استحضاره وأنت تبحث بصدق عن معاني القرآن الكريم، مهما كان مستواك العلمي. فتنتبه، بدءاً من سلامة الفطرة المهيأة لفهم الخطاب، ولذلك قال عز وجل: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾⁽⁴⁾؛ وهو أوّل نص نزل في مسألة تدبر القرآن الكريم.

أن كتاباً كـ "التفسير القرآني للقرآن":

- يصرح فيه بمخالفة المفسرين بكثرة، وبمخالفة الإجماع في العديد من المواضع، وينتقد التفسير والمفسرون دون تمييز.

- ويقف من النقل: الحديث والأثر وسبب النزول وقول السلف واللغة؛ موقف المحدث واللغوي، وتجده يرجع عما قاله في المسألة ذاتها أكثر من مرة.

- وقد ينقل عن غيره نقلاً مبتوراً، أو يستشهد بقول في غير محله، أو يستعمل مصطلحاً في غير موضع استعماله.

(1)- سورة المرسلات: الآية 5. انظر: ص 148 و 203 الهامش 2 من هذا البحث.

(2)- سورة الفلق: الآية 4.

(3)- سورة الحجر: الآية 9.

(4)- سورة ص: الآية 29.

- كما تلاحظ عدم مطابقة انتقاده لمن ينتقده في أكثر من موضع،

كل ذلك يجعل القارئ في دهشة وتعجب لا سيما وأسلوب الانتقاد المستعمل في ثنايا الكتاب: هذا قول ساقط، هذا هراء، لا أحد من المفسرين انتبه لهذا... كيف يصدر هذا من مفسر؟ لعلنا في عصر التساهل في الحكاية عن الله، بعد فشو خلق الفتوى من كل من هب ودب. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾⁽¹⁾، فاللهم اهدنا سواء السبيل.

⁽¹⁾ - سورة الإسراء: الآية 36.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وبعد:

* فإن هذا البحث الموسوم بالدراسة النقدية لكيفية تطبيق منهج تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب قادي إلى النتائج الآتية:

1. إن تفسير القرآن بالقرآن يشمل كل تفسير يدل عليه النص القرآني؛ ومدلول النص القرآني يؤخذ أولاً من النقل، وبالترتيب؛ فلا يقدم تفسير الصحابة على تفسير النبي ﷺ، ولا يقدم تفسير التابعين على تفسير الصحابة، ولا تفسير الخلف على تفسير السلف في الغالب الأعم.

2. وأخذ التفسير من النقل، لا يشمل الأقوال فحسب؛ وإنما يشمل سيرة الرسول ﷺ، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا ما أشار إليه أحد العلماء المحققين -الشاطبي- بقوله: الصحابة ربوا على المحكم في مكة، ولم يعرف النسخ؛ بما في ذلك تخصيص العام، وتقييد المطلق، إلّا في العهد المدني.

3. وعليه فإن إعمال العقل أو تدبر القرآن الكريم مشروط بفهم منهج التعامل مع النقل؛ الذي هو المصدر الأول للبيان؛ قال عزّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية 44].

وتقرير الخيرية في الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت عن النبي ﷺ، يعني انسحاب الخيرية إلى كل من يتصف بما اتّصفت به هذه القرون الثلاثة

4. وبناء على ذلك: فإن منهج تفسير القرآن بالقرآن:

- مبثوث في تفاسير السلف المعترين؛ فهي المظان الأولى لهذا المنهج تطبيقياً.
- أما نظرياً؛ فإن مصنفات علوم القرآن، بما في ذلك: مصنفات أصول الفقه - كما تسمى اليوم - ومصنفات علم الحديث، التي تزامنت وتفسير القرآن الكريم؛ هي المظان التي يؤخذ منها كلها تقرير تفاصيل هذا المنهج، بما في ذلك العبارة أو المصطلح المتداول الذي لا ينبغي التصرف فيه.

5. فلا يعقل أن يتجاوز تراث الأمة الضخم و المتكامل، أو ينتقد الإجماع؛ من طرف من يتعذر عليه في عصرنا الحالي الاتّصاف بتكامل المنهج المعرفي؛ فلقد كان المفسّر من السلف محدّثا و لغويا و أصوليا... أو قل كان جامعا للقدر المطلوب لمزاولة مهمة البيان عن الله تعالى، و مع ذلك ينذر بل لا يلاحظ في مصنفاتهم انتقاد كالاتقاد المسجل في كتاب "التفسير القرآني للقرآن".

6. وهذا أحد جوانب الإخفاق البارز في كتاب "التفسير القرآني للقرآن"؛ وهو إخفاق يؤكّده عدم تطابق دعوى مخالفة المفسرين و ما يقولونه بصفة عامّة، فضلا عن عدم تطابق ما يستشهد به من نقول للواقع.

7. إنّ المبدأ الذي جعل عبد الكريم الخطيب يسهب في الانتقاد إلى حدّ الخروج عن الثابت الذي لا يتغيّر، وهو إعمال العقل، قد وظّف توظيفاً مجانباً للصواب؛ لأنّ التدبر الذي يكون بالعقل، من أولى شروطه الاعتماد على النقل الثابت، وهذا مفقود عموماً بشكل واضح في هذا الكتاب. و لذلك فإنّ الإصابة في بعض المواضع دليل قاطع على أن إعمال العقل إعمالاً صحيحاً ليس إلّا إثباتاً لما هو مقرّر شرعاً بالنص القرآني.

* وإلى جانب هذه النتائج التي سجلتها لهذا الجهد المتواضع، أوّدُ تقديم بعض التوصيات تمثل امتداداً لهذا البحث، وقد تولّدت هذه الأفكار في نفسي أثناء مشوار البحث والقراءة المتكررة لكتاب التفسير القرآني للقرآن، فتبين لي أن هذا الكتاب جدير بالدراسة والتقويم من أكثر من زاوية، وأحسبُ أن قراءتي للكتاب كانت من زاوية واحدة هي تفسير القرآن بالقرآن عند المؤلف.

- فأوصي بدراسة مسلك المؤلف في تعامله مع القصص القرآني، وكذا مفهومه لبعض قضايا علوم القرآن، وفي مقدمتها موضوع النسخ في القرآن الكريم وأوجهه المختلفة.

*وفي الأخير، وعلى الرغم من هذا الجهد المتواضع الذي بذلته في هذه القراءة النقدية لكتاب التفسير القرآني للقرآن للعلامة عبد الكريم الخطيب، فإن الشعور بالقصور والضعف لم يفارقني طيلة هذا المشوار كله، ولا يسعني في نهاية المطاف إلا أن أسجل اعتذاري عن كل عبارة أو موقف أو حكم قد يكون فيه مبالغة، أو تحامل، أو تسرع، أو ميول ذاتية، أو خطأ في فهم بعض عبارات المؤلف أو سوء ظن به، أو عدم إلمام ببعض القرائن و الملابسات التي شهدها المؤلف وغابت عنا نحن. فما أصبت فيه فمن توفيق الله وحفظه، وما أخطأت فيه فمن نفسي ومن الشيطان.

والله أعلى وأعلم، وصلى الله على النبي الأكرم والحمد لله أولاً وآخراً.

جميلة: يوم 13 مارس 2013م

الملخصات

ملخص البحث:

تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب

-دراسة نقدية-

التفسير الصحيح للقرآن الكريم، والفهم السليم لمعاني الذكر الحكيم؛ لا يكون إلا بفهم النص القرآني بما يدل عليه هو ذاته، سواء استعين بسياقه الخاص والعام أم لا.

لكن: هل فهم النص القرآني لا يشترط فيه التقيد بما ثبت نقلاً في تفسيره؟ أو قل: هل الإقدام على تفسير القرآن يعني إمكانية الاستغناء عن النقل (الحديث وسبب النزول وقول الصحابي واللغة وقول السلف)؟

تلك هي إشكالية هذا البحث، وذلك ما يفهم من خلال تتبع "التفسير القرآني للقرآن" كلمة كلمة؛ وهو كتاب معاصر في تفسير القرآن الكريم، ظهر سنة 1970م، ويقع في ست عشرة جزء، مؤلفه عبد الكريم محمود يونس الخطيب، وُلد سنة 1910م بالقاهرة، له عدّة مؤلفات في علوم الدين، يُوصف بالأستاذ والمفكر، وهناك من تكلم فيه، وتوفي سنة 1985م.

لكن الذي يفهم من خلال الاطلاع على بعضه فقط، ضرورة عدم الاستغناء عنه؛ لأنّه يتبع أصح وأحسن طرق التفسير كما قرر العلماء؛ وهو تفسير القرآن بالقرآن، وهذا ما يشير إليه اسم الكتاب، وتصريح المؤلف في المقدمة، وفي مواضع عدة منه، وكذلك طريقة تناوله لجملة من الموضوعات نحو: خلق الإنسان، القضاء والقدر، الزمن، الشيطان وإبليس، السماء والأرض، السمع والبصر، النسخ، نفي التكرار، القصص القرآني خاصة قصة موسى وفرعون، من خلال القرآن الكريم.

بل إنّ هذا النوع من التفسير يذكرنا بمنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهو منهج يلح العلماء في هذا العصر خاصة على ضرورة اتباعه لفهم القرآن فهماً صحيحاً، فهل يمكن إغفال مثل هذا المصنف؟

إنَّ أهمية موضوع البحث تتجلى إذن حسب هذا الظاهر؛ في معرفة وجهة نظر مفسر في كيفية تفسير القرآن بالقرآن من أوّله إلى آخره، وذلك أمر ليس بالهين، فما هي معالم هذا المنهج حسب وجهة نظر هذا المفسر؟

لقد توصل عدّة باحثين إلى أن مسألة تفسير القرآن بالقرآن لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث الدقيق، وهذا الذي توصل إليه هذا البحث أيضا في الباب الثاني منه، أمّا الباب الأوّل منه فقد كان كالمقدمة أو كالدليل العملي لهذه النتيجة، وتفصيل ذلك كما يلي:

عنوان البحث: "تفسير القرآن بالقرآن عند عبد الكريم الخطيب" —دراسة نقدية—، والدّراسة النقدية تقتضي مني تقسيم البحث إلى قسمين أو باين:

الباب الأوّل: خُصص لتحليل منهج عبد الكريم الخطيب، وهو يفسر القرآن بالقرآن، ولما كان منهجه يتمحور حول أمرين بارزين:

الأوّل: انتقاد عبد الكريم الخطيب للتفسير والمفسرين دون تمييز، بسبب عدم اعتماد القرآن مصدرا للتفسير كما يقول.

والثاني: تقديم التفسير الذي ينبغي؛ وهو الانطلاق من القرآن ذاته عند البيان، فإذا تعارض ذلك المعنى وما جاء في النقل قُدّم عليه.

قسّمنا هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأوّل: نبين فيه منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع النقل: السنة النبوية وأسباب النزول في مبحث، ثم اللغة والتراث في مبحث ثالث، أمّا المبحث الأوّل فكان كالتمهيد لمعرفة نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير، فقد عرفنا من خلاله: من هو عبد الكريم هذا، وما هي مصادره في التفسير، وما هي الطريقة العامة المتبعة عند التفسير، ثم يأتي:

الفصل الثاني: حيث نركز فيه على بيان منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن وفق الترتيب التالي:

في المبحث الأوّل: نقف على تعريفه هو ذاته بهذا المنهج، وأن دعامته الأساسية التدبّر والتأمّل ثم تفسير النص.

وفي المبحث الثاني: نقف على منهجه في تفسير النصّ بنصّ آخر بعد التدبر ويتضح ذلك في الناسخ والمنسوخ وبيان المبهمة بصفة خاصة.

وفي المبحث الثالث: نقف على منهجه في تفسير النصّ بما يدل عليه القرآن ذاته.

ثم يأتي الباب الثاني: وقد خصص لتقديم نقد لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن، فكان:

الفصل الأول منه: يدور حول نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير وأن في ذلك النقد نظراً، وركّزنا على منهجه في التعامل مع السنة باعتبارها البيان الأوّل للقرآن، ثمّ أتممنا الحديث عن منهج تعامله مع النقل في التفسير في المبحث الثاني، لتكتمل صورة قولنا: إن في نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير نظراً.

أما الفصل الثاني: فقد خصص:

للحديث عن الدعامة الأساسية لتفسير القرآن بالقرآن كما قال وهي التدبر، فكان النقل، والتقيد بالنقل، والانطلاق من النقل، أوّل شرط لعملية التدبر هذه، وأن افتراض التعارض بين النقل والعقل لا أصل له إلا من جانبيين:

إمّا عدم ثبوت النقل، وإمّا عدم فهم منهج التعامل مع هذا النقل عند تفسير النص، وفي هذه الحالة التعارض هو بين نظر الناظر والمعنى، وليس بين معنى النص القرآني ومعنى النقل، وهذا هو المبحث الأول: معرفة حقيقة تفسير القرآن بالقرآن القائم على التدبر، ومعنى حقيقة التدبر.

وذلك هو الجانب النظري لمنهج تفسير القرآن بالقرآن ثم يأتي الجانب التطبيقي في:

المبحث الثاني: فنقارن منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر، بمنهج ثلّة من المفسرين المعترين من السلف والخلف، لتكتمل صورة الدراسة النقدية؛ لمسألة اشرنا في مقدمة هذا التلخيص للنتيجة المتفق عليها إلى زمن هذه الدراسة: أنّها لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث الدقيق.

لكن هذا البحث جعلني على يقين: بأن تفسير القرآن بالقرآن كمنهج واضح

المعالم؛ يؤخذ من تفاسير السلف المعتبرين، ومن سار على دربهم من الخلف، لأنّ الفهم الصحيح للقرآن يقوم أساساً على فهم منهج التعامل مع النقل، بعد الإحاطة به.

والسلف أقرب إلى الصواب في فهم هذا المنهج من الخلف عموماً، ويؤخذ أيضاً من كتب علوم القرآن المختلفة، بما في ذلك ما صُنّف في أصول الفقه؛ لأنّها تعني بآيات الأحكام، وهذه الآيات يتضح فيها منهج تفسير النص القرآني بنصّ قرآني آخر بدقة، نحو تقييد المطلق، وتخصيص العام، وتفصيل المجمل، وتبيين المبهم، والناسخ والمنسوخ - في اصطلاح الخلف -.

فالنقل إذن، وفهم منهج التعامل مع النقل، شرط أساسي عند إعمال العقل، أو قل عند التدبر في تفسير القرآن، والعقل تابع للنقل وليس العكس، ولذلك فإنّ كتاب "التفسير القرآني للقرآن" فيه نظراً من حيث المنهج.

وإذا قيل أن عنصر الزمن - وأقصد الأحوال السياسية والفكرية والاجتماعية - كان له الأثر الكبير في هذا التوجه، قلنا ولماذا لم يكن له نفس الأثر مع تفسير معاصر له، بل ومن نفس البلد وهو تفسير الشعراوي.

إن منهج تفسير القرآن الكريم بالقرآن، أو بغير القرآن واضح المعالم، وقواعده وأصوله ثابتة، وما العقل إلّا أداة أُمر المخاطب بإعمالها لاكتشاف ما هو ثابت، فإذا توافق العقل والنقل فما هو إلّا اكتشاف لما ثبت نقلاً، وإذا تعارضاً فالخلل حتماً في إعمال العقل، هذا واستغفر الله إنه غفور رحيم.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقمها	ص
الفاتحة	مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ	4 6 7	112-2 34 119-34-6
البقرة	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ وَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ حُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ مَا نَنْسَخْ	10-8 34 35 60 63 106 124	33 35 144-120 77 135 143 112-111
آل عمران			
النساء	يا أيها الناس ولقد وصينا	1	118-62

289	131		
62	1	يا أيها الذين ءامنوا...	المائدة
298	51	وأنذر به...	الأنعام
298	69	وما على الذين ... وأنّ هذا صراطي...	
298	153	وهو الذي جعلكم...	
63	165		
63	3	اتبعوا ما أنزل...	الأعراف
14	26	يا بني ءادم ... وإذ قالت ...	
298	164	وتراهم ينظرون ... إن الذين اتقوا ...	
70	198		
294	201		
13	4	أولئك هم ... كما أخرجك ..	الأنفال
13	5		
13	82	فليضحكوا قليلا ... أفمن أسس ..	التوبة
289	109		
322	1	الر تلك ... واتبع مايوحى ...	يونس
119	109		

119	1	الر كتاب ...	هود
160	13	أم يقولون ...	
160	17	أفمن كان ...	
89	71	فبشرناها بإسحاق ...	
90	73	رحمت الله ...	
161	112	فاستقم كما ...	
89	120	وكلا نقص ...	
119	123	فاعبده وتوكل ...	
89	3	نحن نقص ...	يوسف
90	6	ويتم نعمته ...	
88	105	وكأين من آية ...	
88	106	وما يؤمن ...	
88	107	افأمنوا	
88	108	قل هذه ...	
330-322	1	ألمر تلك ...	الرعد
88	2	الله الذي ...	
88	3	وهو الذي ...	
		ولقد أرسلنا ...	
		ويقول الذين ...	

333	43-38		
333	43		
325	52	هذا بلاغ...	إبراهيم
385-364	9	إنا نحن ...	الحجر
136-134	87	ولقد ءاتيناك ...	
	89	وأنزلنا عليك ...	النحل
322	1	سبحان الذي ...	الإسراء
325	88	وقالوا اتخذ...	مريم
297	113	وكذلك أنزلناه ...	طه
293	--48	ولقد ءاتينا...	الأنبياء
	49<		
16	33	ولا يأتونك بمثل...	الفرقان
183	9	وإنّ ربّك...	الشعراء
14	87	ولاتخزني ...	
14	88	يوم لاينفع...	
182	88	وإليه ترجعون ...	القصص
297	69	والذين جاهدوا...	العنكبوت

326	7-6	وعد الله.... فاصبر إن ...	الروم
326	60		
144	9	إن في ذلك ...	سبأ
187-182	3<--1	يس والقرءان ...	يس
183	5	تنزيل العزيز ...	
144	11	إنما تنذر ...	
182	83	وإليه ترجعون ...	
189	1	والصافات ...	الصافات
70	89--88	فنظر نظرة...	
144	2--1	ص والقرءان ...	ص
	4	وعجبوا أن جاءهم ...	
145		هذا ذكر ...	
	49	هذا وإن ...	
15		إن هو إلا ...	
	55		
15			
185	88-87		
313	23	كتابا متشابها ...	الزمر
		ولقد ضربنا ...	
298	28-27	والذي جاء ...	
	33	أو تقول ...	
294			
	57		
294			

11	39-38	وقال الذي ءامن...	غافر
145	9	قل أئنكم...	فصلت
		وجعل فيها ...	
145	10	فقضاهن ...	
		فإن أعرضوا ...	
145	12	إن الذين ...	
		قل أرأيتم ...	
160	14--13		
160	30		
160	52		
145	14	وإنّ الذين	الشورى
116	61	وإنه لعلم ...	الزخرف
294	69-66	هل ينظرون ...	

157-152	2-1	حم تنزيل...	الجائية
156	18	ولا تتبع ...	
		لآيات ...	
154	3	ءايات ...	
		ويل لكل	
154	4	ثم يصر ...	
		هذا هدى ...	
157-155	7	هذا بصائر ...	
155		أفرايت ...	
	8	وأما الذين ...	
157-154-153		ذلكم بأنكم ...	
157-155-153	11		
153	20		
157	23		
157	31		
	35		
161	5-4	قل ارءيتم ...	الأحقاف
	8	أم يقولون ...	
160		قل ارءيتم ...	
	10	قل ارءيتم ...	
160		إنّ الذين ...	
	12-10	واذكر أبا ...	
160	13	أولم يروا ...	
160	21		
160	33		

145			
297	17	والذين اهتدوا ...	محمّد
289	26	وألزمهم كلمة ...	الفتح
296-289	13	إنّ أكرمكم ...	الحجرات
145	2--1	ق والقرءان ...	ق
	15	أفعبينا بالخلق ...	
145		ألقيا في جهنّم ...	
	24	هذا ما توعدون ...	
145		ولقد خلقنا ...	
	33-32	فذكر بالقرءان ..	
144	38		
145	45		
185-144			
189	1	والذاريات ...	الذاريات
293	19--15	إن المتقين ...	
15	49	وإدبار النجوم ...	الطول
15	1	والنجم إذا هوى ..	النجم
315	4--3	وما ينطق ...	
12	76--75	فلا أقسم بمواقع ...	الواقعة
175-118	96	فسبح باسم ...	
192-118	1	سبح لله ...	الحديد
13		وما ينزل من السماء...	

	4		
192	1	قد سمع ...	المجادلة
192	1	سبح لله ...	الحشر
192	1	يا أيها الذين ...	الممتحنة
192	1	سبح لله ...	الصف
192	1	يسبح لله ...	الجمعة
185	52	وما هو إلا ...	القلم
12	19	إن الإنسان ...	المعارج
11	21-20	إذا مسّه ...	
116	17-16	لا تحرك به ...	القيامة
13	31	فلا صدق ...	
89	--33	فإذا جاءت ...	عبس
	42<		
89	1	إذا الشمس ..	التكوير
92	1	إذا السماء ...	الانفطار
		وإذا الكواكب ...	
92	2	وإذا البحار ...	
		وإذا القبور	
92	3	وإن عليكم ...	
		إن الأبرار ...	

92	4	وما أدراك ...	
92	10		
92	13		
92	17		
69	17	أفلا ينظرون ...	الغاشية
188	1	والفجر	الفجر
188	1	لأقسم ...	البلد
188	1	والشمس	الشمس
188	1	والليل ...	الليل
295	18-17	وسيجنبها ...	
188	1	والضحى...	الضحى
376	3	الذين ءامنوا...	العصر

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم - رواية حفص - :

• إبراهيم عقيلي :

1. تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1994م.

• ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام :

2. مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة : بيروت.

3. مجموع الفتاوى، جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، المكتب التعليمي الشعوري بالمغرب : الرباط.

4. دقائق التفسير، ط2، جمع وتحقيق : د. محمد السيد الجليل، مؤسسة علوم القرآن : دمشق، 1984م.

5. تفسير آيات أشكلت (على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ)، ط1، دراسة وتحقيق : عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد : الرياض، 1997م.

• ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي :

6. فتح الباري شرح صحيح البخاري، مقدمة و13 ج، دار المعرفة، بيروت.

• ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد :

7. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق : علي محمد الجاوي، ط1، دار الجليل : بيروت، 1992م

• ابن قتيبة أبو محمد عبد السلام بن مسلم :

8. تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، ط2، دار التراث : القاهرة، 1973م.

9. تفسير غريب القرآن، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية: بيروت، 1978م.

• ابن كثير أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي :

10. تفسير القرآن العظيم، ط2، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي : بيروت، 2002م.

11. قصص القرآن، ط1، جمع وترتيب : احمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا : القاهرة، 2003م.

• ابن الزبير الغرناطي أبو جعفر بن إبراهيم :

12. ملاك التأويل (القاطع بذوي الاحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التزليل) ط1،

تحقيق : سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي : بيروت، 1983م.

13. المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه، دراسة وتحقيق : د. رشيد الحمداوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2003م.

• ابن القيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر :

14. زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، دار الآثار : القاهرة، 2005م.

15. التبيان في أقسام القرآن، تصحيح وتعليق : طه يوسف شاهين، دار الطباعة الحمديّة : القاهرة، 1968م.

• ابن الوزير أبو عبد الله محمد بن المرتضي :

16. إثبات الحق على في ردّ الخلافات إلى المذهب الحق على الخلق من أصول التوحيد، ط1، 1983م، ط2، 1987م، دار الكتب العلمية : بيروت.

• ابن منظور :

17. لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة، دار الحديث : القاهرة، 2003م.

• أبو حامد الغزالي محمد بن محمد :

18. إحياء علوم الدين وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من
الأخبار،

المكتبة التوفيقية : القاهرة، 2008م.

• د. أبو شهبة محمد بن محمد :

19. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط1، دار الجيل : بيروت، 1992م.

• أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي :

20. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية : بيروت.

• د. أحمد إبراهيم مهنا :

21. من التفسير الموضوعي الإنسان في القرآن، المكتبة العصرية : بيروت.

• د. أحمد إسماعيل نوفل :

22. مجاهد المفسر والتفسير ، ط1، دار الصفوة : القاهرة، 1990م.

• د. أحمد بدر :

23. أصول البحث العلمي ومناهجه، ط 5، دار المعارف : مصر، 1989م.

• أحمد بن حنبل :

24. مسند أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر.

• أحمد بن عثمان رحمان :

25. مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، ط1، عالم الكتب الحديث :
إربد، 2008م.

26. التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، منشورات جامعة باتنة : الجزائر، 1998م.

• أحمد بن محمد البريدي :

27. تفسير القرآن بالقرآن، مقال من جزأين، 13ص، جامعة القصيم.

• د. أحمد جمال العمري :

28. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ط1، مكتبة الخانجي : القاهرة، 1986م.

• أحمد قشيري سهيل :

29. المفسر (شروطه، آدابه، مصادره)، دراسة تأصيلية، ط1، مكتبة الرشد : القاهرة، 2008م.

• امرئ القيس :

30. ديوان امرئ القيس، تحقيق : د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية : بيروت، 2009م.

• د. باجورة (حسن محمد) :

31. تأملات في سورة الإسراء، دار الاعتصام : مكة، 1975م.

32. تأملات في سورة الفرقان، دار النور : مصر، 1976م.

33. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف -عليه السلام-، ط2، جدة، 1983م.

34. تأملات في سورة العاديات، ط2، دار بوسلامة : تونس، 1985.

• د. بكار بكلية الشريعة، دمشق :

35. تفسير القرآن بالقرآن، المبحث الثاني من بحث قدمه الأستاذ عند زيارتي للمشاركة به في ملتقى. تحصلت عليه لسوريا عام 2010م، شهر مارس.

• جاكيتي عمر بن بكري :

36. تفسير القرآن بالقرآن (من أول القرآن إلى آخر سورة النساء جمعا ودراسة) من 786ص، الجامع

الإسلامية بالمدينة المنورة.

• حبنكة عبد الرحمن حسن الميداني :

37. معارج التفكير ودقائق التدبر، ط1، دار القلم : دمشق، 2000م.

38. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله -عز وجل- (تأملات)، ط2، دار القلم : دمشق، 1989م.

• حجة الله الدهلوي :

39. الفوز الكبير في أصول التفسير، دار قتيبة : بيروت، 1989م.

• خالد بن عثمان السبت :

40. قواعد التفسير (جمعها ودراسة)، ط1، دار ابن عفان : القاهرة، 1421هـ.

• د. دراز محمد عبد الله :

41. مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن)، ط3، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار القلم : الكويت، 1981م.

42. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ط4، دار القلم : الكويت، 1977م.

• د. رؤوف شلبي :

43. تفسير الطيب من القول (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ط2، ج1، البقرة، آل عمران، النساء، دار الأنصار : القاهرة، 2001م.

• د. زغلول راغب محمد النجار :

44. خلق الإنسان في القرآن الكريم (من آيات الإعجاز العلمي)، ط1، دار المعرفة : بيروت، 2008م.

• د. سامر عبد الرحمن شواني :

45. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم -دراسة نقدية- ط1، دار الملتقى : حلب، 2009م.

• سعيد حوى :

46. الأساس في التفسير، دار السلام : الأزهر، ط1، 1985م، ط2، 1989م.

• د. صبري المتولي :

47. منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) دار الثقافة : القاهرة، 1986م.

48. منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم، عالم الكتب : القاهرة، 1981م.

• د. صلاح عبد الفتاح الخالدي :

49. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط2، دار القلم : دمشق، 2006م.

• د. طاهر محمود محمد يعقوب :

50. أسباب الخطأ في التفسير (دراسة تأصيلية)، ط1، دار ابن الجوزي : المملكة العربية
السعودية،
1425هـ.

• عائشة بنت جمعان بن حمدان الزهراني :

51. الأمير الصنعاني منهجه وجهوده في التفسير (عرضا ودراسة)، جامعة أم القرى، المملكة
العربية
السعودية، 2007م.

• عادل نويهض :

52. معجم المفسرين، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط1، 1983، ط2،
1986م، مؤسسة نويهض الثقافية.

• د. عبد الله حوري الحوري :

53. أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، ط1، دار النوادر : سوريا،
2005م.

• د. عبد الستار فتح الله :

54. المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية : القاهرة، ط1 :
1986م، ط2 : 1991م.

• د. عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله :

55. نقد الصحابة والتابعين للتفسير (دراسة نظرية تطبيقية)، ط1، دار التدمرية : الرياض،
2008م.

• د. عبد العزيز بن الدردير :

56. التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة القرآن : القاهرة.

- د. عبد الغفور محمود مصطفى جعفر :
57. التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، ط1، دار السلام : القاهرة، 2007م.
- د. عبد القادر محمد الحسين :
58. معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ط1، دار الغوثاني : دمشق، 2008م.
- د. عبد الكريم زيدان :
59. الوجيز في أصول الفقه، ط7، مؤسسة الرسالة : بيروت، 1998م.
- د. عدنان بن محمد بن عبد الله آل شلش :
60. العلامة الشنقيطي مفسراً (دراسة منهجية على تفسيره المسمى : أضواء البيان في إيضاح القرآن
_____ القرآن
بالقرآن)، ط1، دار النفائس : الأردن، 2005م.
- د. علي عبد المعطي محمد بن محمد السرياقوسي :
61. أساليب البحث العلمي، ط1، مكتبة الفلاح : الكويت، 1988م.
- د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي :
62. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3، مؤسسة الرسالة : بيروت، 1997م.
- فواز الشعار :
63. الشعراء العرب، دار الجيل : بيروت.
- د. كمال اليازجي :
64. أبو العلاء ولزومياته، ط1، دار الجيل : بيروت، 1988م.
- الإسكافي الخطيب :
65. درة التزليل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، ط3، رواية
ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الآفاق الجديدة : بيروت، 1979م.
- الأصفهاني الراغب :

66. مفردات ألفاظ القرآن، ط1، تحقيق: ناصر أحمد بن النجار الدميّاطي، مكتبة فياض: المنصورة، 2009م.

● الألو سي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود :

67. روح المعاني في تفسير العظيم والسبع المثاني ، ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

● الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد :

68. الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر : بيروت، 2003م.

● البلسني أبو عبد الله محمد بن علي :

69. تفسير مبهمات القرآن، الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكمية _____،
دراسة وتحقيق : د. حنيف بن القاسمي، ط1، دار الغرب الإسلامي : بيروت،
1991م.

● الترمذی محمد بن عیسیٰ :

70. سنن الترمذي، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، دار الفكر.

● الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف :

71. التعريفات (معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي)، تحقيق : د. عبد المنعم الحفني، دار
الرشد : القاهرة.

● الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حمّاد :

72. تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به : د. محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث : القاهرة، 2009م.

● د. الحسيني أبو فرحة :

73. الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات القرآنية، ج1، طبعة خاصة بالمؤلف، جامعة الأزهر : القاهرة.

74. الفتوحات الربانية، ج2، ط3، 1983م.
75. الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات القرآنية، ج1، طبعة خاصة بالمؤلف.
- الخطاب البستي: أبو سليمان حمد بن محمد:
76. معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد، 2مج، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م،
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي :
77. صحيح البخار، ط1، طبعة جديدة منقحة موافقة لترقيم وتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الصفا : الأزهر، 2003م.
- الدامغاني الحسين بن محمد :
78. قاموس القرآن (أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهر، دار العلم للملايين : بيروت، 1985م.
- الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد :
79. طبقات المفسرين، ط1، تحقيق علي محمد عمر، دار الكتب، 1972م
- الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد :
80. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية : بيروت.
- الزرقاني محمد عبد العظيم :
81. مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي : بيروت، 1999م.
- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله الشافعي :
82. البرهان في علوم القرآن، تحقيق : أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث : القاهرة، 2006م.
83. البحر المحيط، ط1، حققه لجنة من علماء الأزهر، دار الكتب : الجمهورية، 1994م.

• السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :

84. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي : بيروت، 2004م.

85. لباب النقول في أسباب النزول، ط1، خرج أحاديثه أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة

الصفاء : القاهرة، 2002م.

86. تناسق الدرر في تناسب السور المسمى "أسرار ترتيب القرآن"، ط1، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة : تونس، 1983م.

87. معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

• الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي أبو إسحاق :

88. الموافقات في أصول الشريعة، وعليه شرح جليل بقلم الشيخ عبد الله دراز، دار الحديث : القاهرة، 2006م.

89. الاعتصام، تحقيق : سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2003م.

• الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس :

90. الرسالة، ط1، برواية بن سليمان المراوي، تحقيق : د. محمود مطرجي، دار الفكر : بيروت، 2009م.

• الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني :

91. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 10 ج، دار الحديث : القاهرة، 2006م.

• الطبري أبو جعفر محمد بن جرير :

92. جامع البيان عن تأويل القرآن، 15 مج، تحقيق : أ. محمود شاكر، ط1، دار الإعلام : الأردن، دار ابن حزم : بيروت، 2002م.

• العجلوني إسماعيل بن محمد :

93. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط3، دار إحياء التراث العربي : بيروت.

• العك خالد عبد الرحمن :

94. أصول التفسير وقواعده، ط2، دار النفائس : بيروت.

• الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب :

95. القاموس المحيط، ضبط وتوثيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر : بيروت، 2010م.

• القاسمي محمد جمال الدين :

96. محاسن التأويل، 9مج، تحقيق أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث : القاهرة، 2003م

• القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي :

97. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق : عامر الجزار، دار الحديث : القاهرة، 2004م.

• القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري :

98. الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتاب العربي : بيروت.

• المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية جمهورية مصر العربية :

99. الموسوعة القرآنية المتخصصة، 16مج، وزارة الأوقاف، إشراف وتقديم : د. محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، القاهرة، 2007م.

• الكرمانى محمود بن حمزة بن نصر :

100. أسرار التكرار في القرآن، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا، القاهرة، 1977م.

• المرادي الحسن بن قاسم :

101. الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية : بيروت، 1992م.

• المناوي محمد عبد الرؤوف :

102. فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط2، دار الفكر، 1972م.

• النابغة الذبياني :

103. ديوان النابغة الذبياني، المكتبة الثقافية : بيروت.

• النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي صاحب السنن :

104. تفسير النسائي، بتحقيق مركز السنة للبحث العلمي، مؤسسة الكتب الثقافية.

• النووي محي الدين أبي زكريا بن شرف :

105. صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة جديدة موافقة لترقيم، أ. محمد فؤاد عبد الباقي، 9ج، مكتبة الإيمان : المنصورة، القاهرة.

• د. محمد إبراهيم شريف :

106. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، ط1، دار السلام : القاهرة، 2008م.

• محمد باقر الصدر :

107. المدرسة القرآنية، محاضرات التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم، السنن التاريخية في القرآن الكريم، عناصر المجتمع في القرآن الكريم، ط2، دار التعارف : بيروت، 1981م.

• د. محمد بديع موسى :

108. تأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه، ط1، دار الاعلام : الأردن، 2008م.

• د. محمد بن عبد الله بن علي الخضير :

109. تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة، 2مج، ط1، دار الوطن : الرياض، 1999م.

• محمد بن عبد العزيز بن أحمد علي الخضير :

110. الإجماع في التفسير، رسالة ماجستير بإشراف د.علي سليمان العبيد، دار الوطن (كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1416هـ).

• د. محمد حسين علي الصغير :

111. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم -دراسة مقارنة- ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات : بيروت، 1983م.

112. المستشرقون والدراسات القرآنية، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات : بيروت، 1986م.

• د. محمد حسين الذهبي :

113. الإسرائيليات في التفسير والحديث، ط4، مكتبة وهبة : القاهرة، 1990م.

114. التفسير والمفسرون، ط2، 1976م.

• محمد فؤاد عبد الباقي :

115. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بمحاوية المصحف الشريف)، ط4، دار المؤيد، دار

الفكر : بيروت، 1997م.

• محمد عبد الخالق عضيمة :

116. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث : القاهرة.

• محمد علي الصابوني :

117. صفوة التفاسير، 3 مج، ط1، دار الكتب العلمية : بيروت، 1999م.

• د. محمد عناية الله أسد سبحاني :

118. إمعان النظر في نظام الآي والسور، ط1، دار عمار : عمان، 2003م.

119. البرهان في نظام القرآن، ط1، دار الكتب، 1994م.

• محمد قجوي :

120. تفسير القرآن بالقرآن (دراسة تاريخية ونظرية)، 2 ج، أطروحة دكتوراه بإشراف د. الشاهد البوشيخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهرارز فاس، 2001م.

• محمد الخضري بك :

121. أصول الفقه، ط7، دار إحياء التراث العربي : بيروت، 1991م.

• محمد الخضري الدمياني :

122. رسالة في مبادئ علم التفسير، اعتنى به وحرّجه وعلّق عليه عبد العزيز بن بوزيد إبراهيمي الدوسني، ط1، دار النهضة : سوريا، 2007م.

• محمد الصادق عرجون :

123. القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مكتبة الكليات الأزهرية، 1966م.

124. نحو منهج لتفسير القرآن، ط3، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1979م.

• محمد العفيفي :

125. القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، ذات السلاسل : الكويت، 1986م.

• محمد الغزالي :

126. كيف نتعامل مع القرآن، ط7، نهضة مصر، 2005م.

127. خلق المسلم، دار السلام.

128. نظرات في القرآن، ط6، نهضة مصر، 2005م.

129. المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ط5، دار الصحوة : القاهرة، 2000م.

130. نحو تفسير موضوعي لسورة القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ط2، دار الشروق، 1992م.

• محمد متولي الشعراوي :

131. تفسير الشعراوي (خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم) 17ج، أخبار اليوم، قطاع الثقافة : الأزهر.

• د. محمد محمود حجازي :

132. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

• د. محمود أحمد سعيد الأطرش :

133. دراسة موضوعية حول شكر النعمة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار الإيمان : الإسكندرية، 2007م.

• د. محمود بن الشريف :

134. الطبري ومنهجه في التفسير، ط1، شركة مكتبات عكاظ : المملكة العربية السعودية، 1984م.

• د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطبار :

135. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، بحث من 79ص، ملتقى أهل الحديث، www.ahlaahadeeth.com.

136. بحث - في شكل كتاب - في أصول التفسير، من 141ص، منقول من مركز تفسير للدراسات القرآنية.

137. أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، 2010/04/06، www.almosahm.blogspot.com, www.tafsir.net

138. المحرر الوجيز في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، جدة، ط2، 2010/04/03.

■ بحوث في التفسير :

139. التفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل، من 5 ص.

140. التفسير بالرأي مفهومه، حكمه، أنواعه، من 15 ص.

141. مصادر التفسير (1) تفسير القرآن بالقرآن (2) تفسير القرآن بالسنة من 14ص.

142. مصادر التفسير (3) تفسير الصحابة للقرآن، من 14 ص.

143. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ط2، دار ابن الجوزي : المملكة العربية السعودية، 1428هـ، من 382ص.

144. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ط1، دار ابن الجوزي : المملكة العربية السعودية، 1422هـ، من 734ص، 2010/04/03، المملكة العربية السعودية.

• د. مصطفى الصاوي الجويني :

145. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ط3، دار المعارف : القاهرة.

• د. مصطفى محمد الحديدي الطير :

146. اتجاهات التفسير في العصر الحديث (منذ عهد الإمام محمد عبده إلى مشروع التفسير الوسيط) - بحث ألقى في المؤتمر السادس لمجمع البحوث - مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

• د. مصطفى مسلم :

147. مباحث في التفسير الموضوعي، ط2، دار القلم : دمشق، 1997م.

• مكي بن أبي طالب القيسي :

148. تفسير المشكل من غريب القرآن، تحقيق : د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف : الرياض، 1985م.

• مناع خليل القطان :

149. مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف : الرياض، 2000م.

• د. منصور كافي :

150. مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق، دار العلوم : عنابة، 2006م.

• نوشتة محمد محمدديان :

151. الفهرست الموضوعي لآيات القرآن (1) آيات التوحيد، مؤسسة انتشارات مشكوة : طهران،.

• د. يوسف القرضاوي :

152. الصبر في القرآن الكريم (من التفسير الموضوعي)، ط3، مكتبة وهبة : القاهرة، 1989.

153. كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق : القاهرة.

فهرس الموضوعات

أ-ظ	مقدمة
21-1	مدخل: تعريف بمجال الدراسة
2	تمهيد:
3	المسألة الأولى: التفسير القرآني للقرآن عند عبد الكريم الخطيب -أمودج-
9	المسألة الثانية: نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير -أمودج-
16	المسألة الثالثة: ضرورة التزام معنى المصطلح المشهور تداوله في المنهج - أمودج-
154-22	الباب الأول: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب -دراسة تحليلية للمنهج-
97-23	الفصل الأول: نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير
24	تمهيد
25-40	المبحث الأول: التعريف بالتفسير القرآني للقرآن
26	المطلب الأول: كلمة عن عبد الكريم الخطيب
26	أولاً: عبد الكريم الخطيب في أسطر
26	ثانياً: مؤلفات عبد الكريم الخطيب
28	المطلب الثاني: التعريف العام بكتابة "التفسير القرآني للقرآن"
31	المطلب الثالث: طريقة عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن
31	أولاً: الخطوات التي يتبعها عبد الكريم الخطيب في تفسير السورة القرآنية
33	ثانياً: التفسير أو المعنى الذي يسجله للنص القرآني
35	ثالثاً: جمع أجزاء المسألة القرآنية عند تفسيرها

37	المطلب الرابع: المصادر التي اعتمدها عبد الكريم الخطيب في التفسير
38	في التفسير وعلوم القرآن وما يتعلق بهما
39	في الفلسفة والاستشراق والديانات ومؤلفاته الخاصة
41-70	المبحث الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع السنة وأسباب التزول
42	المطلب الأول: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع السنة
42	أولاً: معنى النص القرآني هو الأصل في قبول أو رد الحديث النبوي
48	ثانياً: المواضع التي صرح فيها بعدم الأخذ بأحاديث نبوية
55	ثالثاً: الاختصار على النص القرآني عند التفسير
58	المطلب الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع أسباب التزول
59	أولاً: عدم التصريح بذكر روايات أسباب التزول
62	ثانياً: الأخذ بأسباب التزول حسب معنى النصوص
59	ثالثاً: التصريح برد روايات أسباب نزول تعارضت ومعنى النصوص
71-97	المبحث الثالث: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع اللغة والتراث
72	المطلب الأول: منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع اللغة
72	أولاً: معنى النص القرآني أصل في أخذ باللغة
76	ثانياً: الاستعانة بالإعجاز البياني للقرآن والاستشهاد بمأثور العرب في التفسير وعدم الالتزام بشرح المفردات الغامضة
82	المطلب الثاني: موقف عبد الكريم الخطيب من التراث
83	أولاً: استشهاد عبد الكريم الخطيب بأقوال المفسرين والعلماء
85	ثانياً: تصريح عبد الكريم الخطيب بمخالفة المفسرين

89	ثالثا: المواضع التي صرح فيها بمخالفة الإجماع
	الفصل الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن
99	تمهيد
100-116	المبحث الأول: تعريف عبد الكريم الخطيب بمنهجه في التفسير
101	المطلب الأول: أهم ما صرح به عبد الكريم الخطيب كتعريف بمنهجه في التفسير
101	أولا: التعريف الذي صرح به في المقدمة
103	ثانيا: تعريف صرح به في معرض حديثه عن النفقة للمتوفى عنها زوجها
105	المطلب الثاني: استمداد هذا المنهج من منهج القرآن ذاته
105	أولا: مسألة التدرج والمرحلية
107	ثانيا: مسألة الإجمال والتفصيل
108	المطلب الثالث: المصطلحات التي يستعملها عند تفسير القرآن بالقرآن
109	أولا: ألفاظ قرآنية تدور حول معنى بيان القرآن بالقرآن
109	ثانيا: استعماله صيغة "والقرآن يفسر بعضه بعضا" وما يشبهها
111	ثالثا: استعماله عبارة "تفصيل مجمل" وما يدور في معناها
112	رابعا: وقد لا يستعمل أي عبارة
113	المطلب الرابع: التدبر دعامة أساسية في تفسير عبد الكريم الخطيب القرآن بالقرآن
113	أولا: التدبر نقطة انطلاق لتفسير النص
114	ثانيا: التدبر لا يتعدى حدود ألفاظ النص عند التفسير
115	ثالثا: فهم المعنى العام شرط عند التدبر
117-132	المبحث الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر

118	المطلب الأول: أهم ميزات هذا المنهج
118	أولاً: من حيث مصدر البيان
118	ثانياً: من حيث دليل البيان
118	ثالثاً: من حيث مصطلح البيان
119	رابعاً: من حيث الالتزام بهذا المنهج
119	المطلب الثاني: منهج عبد الكريم الخطيب في تعيين وجه البيان بين نصين قرآنيين
119	أولاً: أمثلة لم يذكر عند تفسيرها دليل البيان
122	ثانياً: أمثلة ذكر عند تفسيرها دليل البيان
125	المطلب الثالث: منهج عبد الكريم الخطيب في تعيين وجه البيان بين الناسخ والمنسوخ
125	القسم الأول: الناسخ والمنسوخ من سورة واحدة
129	القسم الثاني: الناسخ والمنسوخ من سورتين
133-154	المبحث الثالث: منهج عبد الكريم الخطيب في تفسير النص القرآني بما يدل عليه القرآن
134	المطلب الأول: النص القرآني حرف أو كلمة
134	أولاً: النص القرآني حرف من الحروف
138	ثانياً: النص القرآني كلمة
142	المطلب الثاني: النص القرآني عبارة عن آية أو جزء منها أو أكثر
142	أولاً: التفسير القرآني النصوص التي استدلت بها على وجود النسخ في القرآن الكريم
144	ثانياً: التفسير القرآني لنصوص قرآنية هي من قبيل المبهم

146	ثالثا: التفسير القرآني لنصوص متفرقة
149	المطلب الثالث: النص القرآني عبارة عن موضوع
الباب الثاني: دراسة نقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن	
156	تمهيد
الفصل الأول: نقد عبد الكريم الخطيب للتفسير فيه نظر	
158	تمهيد
160-177	المبحث الأول: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع السنة
161	المطلب الأول: تفسير القرآن بالسنة - الجانب النظري -
161	المسألة الأولى: السنة أول مصدر يجب الاعتماد عليه في تفسير القرآن
162	المسألة الثانية: هل كل السنة تفسير للقرآن
163	المسألة الثالثة: افتراض التعارض بين النص القرآني والنص النبوي
166	المطلب الثاني: تفسير القرآن بالنسبة - الجانب التطبيقي -
166	النص الأول: الآية 80 من سورة التوبة
169	النص الثاني: الآية 01 من سورة القمر
172	المطلب الثالث: تفسير القرآن بالسنة - تلخيص لنقد المنهج -
172	أولا: الآية 65 من سورة الكهف قوله تعالى
174	ثانيا: الآية 01 من سورة الشرح قوله تعالى
178-205	المبحث الثاني: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع أسباب النزول واللغة والتراث
179	المطلب الأول: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع أسباب النزول
179	أولا: منهج التعامل مع أسباب النزول - الجانب النظري -

181	ثانيا: منهج التعامل مع أسباب النزول -الجانب التطبيقي-
187	المطلب الثاني: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع اللغة
187	أولا: منهج التعامل مع اللغة -الجانب النظري-
188	ثانيا: منهج التعامل مع اللغة -الجانب التطبيقي-
192	ثالثا: بعض المسائل التي انتقدها عبد الكريم الخطيب في تفسيره
194	رابعا: خلاصة
195	المطلب الثالث: نقد منهج عبد الكريم الخطيب في التعامل مع التراث
197	أولا: منهج التعامل مع التراث -الجانب التطبيقي
201	ثانيا: تلخيص
203	ثالثا: استنتاج
204	رابعا: منهج التعامل مع التراث -إشارة للجانب النظري-
الفصل الثاني: دراسة نقدية لمنهج عبد الكريم الخطيب في تفسير القرآن بالقرآن	
207	تمهيد
208-228	المبحث الأول: دراسة نقدية للجانب النظري لهذا المنهج عند عبد الكريم الخطيب
209	المطلب الأول: تحديد مفهوم "تفسير القرآن بالقرآن" كمنهج في التفسير
209	أولا: مصطلح "تفسير القرآن بالقرآن" يطلق على أحسن طرق التفسير
210	ثانيا: أول من دعى إلى تطبيق هذا المنهج الرسول ﷺ
211	ثالثا: تعريف تفسير القرآن بالقرآن
213	المطلب الثاني: مفهوم التدبر
213	أولا: تعريف التدبر

215	ثانيا: شروط التدبر
218	المطلب الثالث: حقيقة التدبر ودرجاته
218	أولا: حقيقة التدبر تُسقط دعوى تعارض العقل مع النقل
221	ثانيا: درجات التدبر
223	المطلب الرابع: المصطلحات المستعملة عند التدبر
224	أولا: أنموذج من أقوال ابن تيمية والشاطبي في ذلك
225	ثانيا: تعقيب
226	ثالثا: استعمال هذه المصطلحات عند البيان
229-249	المبحث الثاني: دراسة نقدية للجانب التطبيقي لهذا المنهج عند عبد الكريم الخطيب
230	المطلب الأول: أنموذج من تفسير النص المجمل بالمفصل
230	أولا: الآية 269 من سورة البقرة
232	ثانيا: الآية 12 من سور النمل
235	المطلب الثاني: أنموذج من تفسير النص المنسوخ بالناسخ
235	أولا: الآية 102 من سورة آل عمران
237	ثانيا: الآية 80 من سورة النساء
238	المطلب الثالث: أنموذج من تفسير النص المبهم بالمبين
238	أولا: الآية 01 من سورة النساء
241	ثانيا: الآية 60 من سورة الإسراء
244	المطلب الرابع: أنموذج من تفسير النص الذي علاقة بملايسات التزول -التاريخ
244	أولا: الآية 122 من سورة آل عمران
247	ثانيا: الآية 175 من سورة الأعراف

250	خلاصة
255-252	الخاتمة
256	ملخص البحث
261-257	ملخص باللغة العربية
266-262	ملخص باللغة الفرنسية
271-267	ملخص باللغة الانجليزية
272	الفهارس العامة
290-273	فهرس الآيات القرآنية
293-291	فهرس الأحاديث و الآثار
307-294	قائمة المصادر والمرجع
316-308	فهرس الموضوعات